الطريق إلى ولاية الله

إعداد

الأمين الحاج محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد..

فهذه هي الطبعة الثانية، لكتابنا: "الطريق إلى ولاية الله"، مصححة، منقحة، مخرجة جل أحاديثها وآثارها.

نعيد طباعتها بعد نفاذ الطبعة الأولى لما فيها من تصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة، والاعتقادات الفاسدة التي لا تناسب الولاية والأولياء.

فما من مسلم إلا وهو يسعى أن يتولاه الله في الدنيا، وأن يرحمه ويرفع شأنه ويعلي مكانه في الآخرة بدخول جنة النعيم، والنظر إلى وجه ربنا الكريم العظيم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ويجد الجادون، ويشمر المشمرون.

فولاية الله ﷻ أساسها الإيمان والتقوى، وبقدر تحقيق المرء لإيمانه وتقواه يتولاه ربه ومولاه، والولاية ليست بالادعاء والانتساب، وإنما بالجد والمتابعة لرسول الله وصحبه ومن والاه، فمن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

والله أسأل أن يجعلنا وينظمنا في سلك الدين، ويجمعنا مع الذين رضي عنهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وصلى الله وسلم على الرسول الكريم، والنبي الأعظم، وعلى آله، وأصحابه، وكل من سار على نهجهم واتبع خطاهم، وعنا معهم بعفوه ومنه، آمين.

الأمين الحاج محمد

لسبع ليال مضت من ربيع الأول ١٩٢٩هـ

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِلّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده وخاتمُ رسله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

أولياء الله هم المؤمنون المتقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[1]، فكل مؤمن تقيّ فهو وليٌّ لله تعالى، ولكن المؤمنين يختلفون في ولايتهم كما يختلفون في إيمانهم وتقواهم، فمنهم السابقون المقربون، ومنهم أصحاب اليمين.

والله وليهم وناصرهم، فالجزاء من جنس العمل، فقد أحبهم الله كما أحبّوه، ورضي عنهم لرضاهم عنه: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[2].

وقد تولى الله الدفاع عن أوليائه، فقد أذن بمحاربة أعدائهم لأنهم هم في

---

(١) يونس: ٦٢ – ٦٤.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

الحقيقة أعداء الله، فقد جاء في الحديث الصحيح: **"من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** ..." الحديث، ولم يعلن الله ﷻ هذه الحرب إلا على المرابين التُّعَساء عبدة الدراهم والدنانير: **"تَعِس[1] عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة"**[2]، وعلى المعادين لأوليائه المخيفين المرهبين لعباده.

ومن أبرز صفات أولياء الله الحب في الله والبغض في الله، فقد روى الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله"**، قالوا: يا رسول الله! تخبرنا من هم؟ قال: **"هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموالٍ يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس"**، وقرأ هذه الآية: ﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[3].

وأولياء الله هم الذين زكّوا أنفسهم من الرذائل، وارتفعوا بها عن الصغائر، وراضوها وجاهدوها حق المجاهدة، قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾** ﴾[4].

قال العلامة ابن القيم[5]: "سبحان الله، في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل،

---

(١) تَعِس: هَلَك.

(٢) البخاري، جـ ١١/٢١٦.

(٣) قال عنه الشيخ محمود محمد شاكر: (صحيح الإسناد)، انظر تفسير الطبري بتحقيقه ج٢/ ١٢١.

(٤) يوسف: ٥٣.

(٥) الفوائد: ص: ٧٤-٧٥.

وعتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحة هامان، وهوى بلعام[1]، وحيل أصحاب السبت، وتمرّد الوليد، وجهل أبي جهل، وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجُعَل[2]، وعقوق الضبّ، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصوّلة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحيّة، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع، غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك، فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند".

وكما أن لله أولياء فإن للشيطان كذلك أولياء وحزب وأدعياء، فاحذر أخي المسلم أن تكون من حزب الشيطان وتذكر قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[3].

أما بعد..

فهذه رسالة تبحث في الطريق الموصلة إلى ولاية الله ﷻ، وتتكلم عن أهم صفات أولياء الله وما خصهم الله به من كرامات.

والله أسأل أن يجعلنا من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين، وعباده الصالحين، وجنده الموحدين، الذين آمنوا وكانوا يتقون، والذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وصلى الله وسلم على صفوة أوليائه وخاتم رسله وأنبيائه.

---

(١) بلعام بن باعوراء وهو من بني إسرائيل، وكان من قوم موسى، وكان مجاب الدعوة، فاتبع هواه فارتد على أعقابه فخسر الدنيا والآخرة، انظر الجامع لأحكام القرآن، جـ٧/٣١٩.

(٢) الجعل: حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية والجمع جعلان، المعجم الوسيط، جـ١/١٢٦، وهو الجعران.

(٣) فاطر: ٦.

الفصل الأول

تعريف الولاية

تعريف الولاية لغة واصطلاحاً

تعريف الولاية لغة

الولي هو الصديق والنصير، والولي ضد العدو، قال ابن منظور في لسان العرب[1]: "وليّ، من أسماء الله تعالى الولي هو الناصر، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق والقائم بها. قال سيبويه: الولاية بالفتح المصدر وبالكسر الاسم مثل: الإمارة والنقابة. والولي الصديق والنصير والولي ضد العدو".

وقال أبو العباس في قوله ﷺ: **"من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه"**: أي من أحبّني وتولاني فليتولّه. والموالاة ضد العداوة، وقوله ﷻ: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾[2]، قال ثعلب: كلُّ من عبد شيئاً من دون الله فقد اتخذه ولياً، وقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3].

قال أبو إسحاق: الله وليّهم في حجاجهم وهدايتهم وإقامة البرهان لهم، يزيدهم إيماناً وهداية كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾[4]، ووليهم أيضاً في نصرهم على عدوِّهم، وإظهارِهِم دينَهم على دين مخالفيهم. وقيل: وليهم: أي يتولّى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم.

وقال في المصباح المنير[5]: "الولي فعيل بمعنى فاعل من ولِيَه إذا قام به، ومنه

---

(١) جـ ١٥/٤٠٦ والصفحات التي تليها مادة ولي.

(٢) مريم: ٤٥.

(٣) البقرة: ٢٥٧.

(٤) محمد: ١٧.

(٥) جـ٢/٦٧٢-٦٧٣ مادة ولي.

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ والجمع أولياء. قال ابن فارس: وكل من ولي أمر أحد فهو وليه.

والولي بمعنى مفعول في حق المطيع فيقال: المؤمن ولي الله.

وقد يطلق الولي أيضاً على المُعتِق، والعتيق، وابن العم، والناصر، وحافظ النسب، والصديق، ذكراً كان أو أنثى، وقد يؤنّث بالهاء فيقال هي وليّة. قال أبو زيد: سمعت بعض بني عقيل يقول: هن وليات الله وعدوّات الله وأولياؤه وأعداؤه.

وقال العلامة ابن أبي العز ــرحمه اللهــ في تعريف الولاية لغة: "الولي من الولاية بفتح الواو، التي هي ضد العداوة وقد قرأ حمزة: ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [1] بكسر الواو والباقون بفتحها. وقيل هما لغتان. وقيل بالفتح النصرة، وبالكسر الإمارة. قال الزجاج: وجاز الكسر، لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكل ما كان كذلك مكسور، مثل الخياطة ونحوها". وقال كذلك: "والولي: خلاف العدو، وهو مشتق من الولاء وهو الدنوّ والتقرب". [2]

تعريف الولاية شرعاً

لقد بيّنت الآية التي في سورة يونس ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [3] أن كل مؤمن تقي

---

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٤٠٣.

(٣) يونس: ٦٢ – ٦٣.

فهو ولي الله، وإن كان المؤمنون يتفاوتون في إيمانهم وتقواهم فكذلك هم يتفاوتون في ولايتهم لله ﷻ.

روى سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ سئل: من أولياء الله؟ فقال: **«الذين يذكر الله برؤيتهم»**.

وروي عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى»**. قيل: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ وما أعمالهم فلعلنا نحبّهم؟ قال: **«هم قوم تحابّوا في الله، على غيرِ أرحامٍ بينَهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»**، ثم قرأ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.[1]

وقال الإمام علي ﷺ: "أولياءُ اللهِ قومٌ صفرُ الوجوهِ من السَّهَر، عمشُ العيونِ من العبَرِ، خُمُصُ البطونِ من الجوعِ، يُبْس الشفاه من الذوى".[2]

قال الزمخشري:[3] أولياء الله الذين يتولّونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة.

قال الآلوسي[4]: "إن الكثير ممن يدعي الولاية في زماننا، أو تدّعى له ليس له منها سوى الدعوة لإصراره والعياذ بالله على الكبائر، تقع منه في اليوم مراراً عافانا الله تعالى والمسلمين من ذلك".

---

(١) قال عنه محمود محمد شاكر: صحيح الإسناد، انظر تفسير الطبري بتحقيقه، جـ٢/١٢١.

(٢) الذوى: ذوى العود أي ذَبَلَ، المصباح المنير، جـ١/٢١١ مادة ذوي.

(٣) الكشاف، جـ٢/٢٤٣.

(٤) روح المعاني، جـ١١/١٤٩.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ...﴾:"يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسّرهم بهم فكل من كان تقياً كان لله ولياً".[1]

وقال الآلوسي كذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ...﴾ :"والآية ظاهرة في أن أولياء الله هم المؤمنون، وأقل ما يكفي في إطلاق الولي التقرب إليه سبحانه بالفرائض من امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والأكمل التقرب إليه جل شأنه بكل ما يمكن من التقرب. ثم قال: وليس في ذلك قول بالعصمة التي لم يثبتها الجماعة إلا للأنبياء عليهم السلام بل قصارى ما فيه القول بالحفظ".[2]

قال الإمام الطحاوي: "المؤمنون كلهم أولياء الرحمن" قال العلامة ابن أبي العز في شرحه لهذه العبارة: "فولي الله هو من والى الله بموافقته محبوباته والتقرب إليه بمرضاته".[3] وقال كذلك عن الولاية: "وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه. ليست بكثرة صوم ولا تملق ولا رياضة".[4]

الأدلة على أن كل المؤمنين أولياء الله

١. قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[5].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢/٤٢٢.

(٢) جـ١١/١٤٨.

(٣) شرح الطحاوية (٤٠٢-٤٠٤).

(٤) المصدر السابق، ص: ٤٠٦.

(٥) البقرة: ٢٥٧.

٢. وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾[1].

٣. وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2]

٤. وقوله ﷺ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[3]

٥. وقوله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[4].

قال ابن أبي العز: "فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم، فالله يتولى عباده المؤمنين، فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم، ويرضون عنه، ومن عادى له وليّاً فقد بارزه بالمحاربة. وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه. قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾[5]، فالله ليس له ولي من الذلّ، بل لله العزة جميعاً، خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذلّه وحاجته إلى ولي ينصره".[6]

وقال محمد رشيد رضا: "ومما يجب بيانه في تفسير هذه الآية: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ... ﴾ أيضاً الفرق بين ولاية الله للمؤمنين، وولايتهم له، وولاية بعضهم لبعض فإن الجاهلين لا يميّزون بين الولايتين، فيجعلون لبعض المؤمنين من الولاية ما هو لله

---

(١) محمد: ١١.

(٢) المائدة: ٥٥ – ٥٦.

(٣) التوبة: ٧١.

(٤) الأنفال: ٧٢.

(٥) الإسراء: ١١١.

(٦) شرح الطحاوية، ص: ٤٠٣.

تعالى وحده، وذلك شرك في التوحيد خفيّ عند الجاهل، جلي عند العارف ولا بد من تفصيل فيه.

أما كونه تعالى هو الوالي وحده لا ولي سواه: فالمراد به أنه هو المتولي لأمور العباد ... بما خلق لهم من المنافع ومن الأعضاء والقوى التي تمكّنهم من الانتفاع بها، وبما بيّن لهم من السنن. ومهّد لهم من الأسباب وهذه هي الولاية العامة المطلقة.

أما ولايته للمؤمنين خاصة فهي عبارة عن عنايته بهم وإلهامهم وتوفيقهم إياهم لما فيه الخير والصلاح الروحاني والجسماني بما اختاروا لأنفسهم من الإيمان به وبما جاء به رسله.

أما ولايتهم له فقد عبّر عنها بالإيمان والتقوى، أي يعتقدون أنه المتولي لأمورهم وحده.

أما ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً فهي عبارة عن تعاونهم وتناصرهم في الأمور المشتركة مع استقامتهم على الأعمال الصالحة".[1]

الولاية ليست بالوراثة

الله ﷻ ليس بينه وبين خلقه نسب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؛ وإنما قُرْب عباده منه وبعدُهم عنه بالتقوى والفجور. قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

---

(١) تفسير المنار جـ٣/٤٢-٤٤.

(٢) الحجرات: ١٣، والحديث أخرجه الترمذي رقم ٣٢٧٠ عن ابن عمر والألباني في الصحيحة رقم ٢٧٠٠.

وروي عنه ﷺ قوله: **"مَن أَحَبّ أن يكون أكرم الناس فليتّقِ الله"**.[1]

قال الإمام القرطبي ــرحمه اللهــ في تفسيره[2]: "وفي هذه الآية ما يدلك على أن التقوى هي المراعى عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ دون الحَسَب والنَسَب، فأكرم المؤمنين على الله أطوعهم له ولرسوله وأبعد الخلق عن الله وأشقاهم العصاة المعاندون، وقد بين الرسول ﷺ هذا المعنى في أحاديث كثيرة منها:

١. قوله ﷺ: **"لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب"**.[3]

٢. وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب بمكة فقال: **"يا أيها الناس! إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائها. فالناسُ رجلان: رجلٌ برٌّ تقيٌ كريمٌ على الله وفاجرٌ شقيٌ هيّنٌ على الله. والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾**[4].

٣- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر يقول: **"ألا إنّ آل أبي (يعني فلاناً) ليسوا لي بأولياء إنما وليّي الله**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٤٥/١٦، والحديث رواه حاكم في مستدركه، وصححه، رقم: ٧٨١٦، ويشهد لهذا الحديث ما صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٩٩٦، قال ﷺ: **"أكرم الناس أتقاهم لله"**.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٣٤٥/١٦.

(٣) قال في مجمع الزوائد ج٨٧/٨: "رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه وقال: ورجال البزار رجال الصحيح.

(٤) الحجرات: ١٣، والحديث أخرجه الترمذي رقم (٣٢٧٠) عن ابن عمر والألباني في الصحيحة رقم (٢٧٠٠).

وصالحُ المؤمنين".[1]

٤- وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ سئل من أكرم الناس؟ فقال: **"يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم". قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: "فأكرمهم عند الله أتقاهم". فقالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال: "عن معادن العرب؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهوا".**[2]

٥- وعن ابن عباس ﷺ قال: أقبل نبي الله ﷺ من سرية أو غزاة فدعا فاطمة فقال: **"يا فاطمة اشتري نفسك من الله فإني لا أغني عنك من الله شيئاً"، ثم قال: "ما بنو هاشم بأولى الناس بأمتي إن أولى الناس بأمتي المتقون، ولا قريش بأولى الناس بأمتي إن أولى الناس بأمتي المتقون، ولا الأنصار بأولى الناس بأمتي، إن أولى الناس بأمتي المتقون، ولا الموالي بأولى الناس بأمتي، إن أولى الناس بأمتي المتقون. إنما أنتم من رجل وامرأة، وأنتم كجمام[3] القناع ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى".**[4]

ولأمير المؤمنين علي ﷺ في هذا المعنى:

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهُم آدمُ والأمّ حواء
نفسٌ كنفسٍ وأرواحٌ مشاكلة ... وأعظُمٌ خلقت فيهم وأعضاء
فإن يكُن لهم من أصلهم حَسَب ... يفاخرون به فالطين والماء

---

(١) مسلم كتاب الإيمان، رقم (٣٦٦)، باب موالاة المؤمنين، وقد خشي أن يسمي هذا الرجل مخافة الفتنة والله أعلم.

(٢) مسلم كتاب فضائل الصحابة باب خيار الناس الرقم العام للحديث: (٢٥٢٦)، (وفَقُهوا) قال النووي في "رياض الصالحين" ص: ٤٧: "بضم القاف على المشهور، حُكِي كسرها أي: علموا أحكام الشرع"

(٣) الجمام: قال في المصباح ج١/١١٠ مادة جمم: جُمام القدح، ملؤه بغير رأس مثلث الجيم.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: (وأنذر عشيرتك الأقربين) رقم: ٣٤٨ بمعناه.

ما الفضل إلا لأهل العلم إنّهُـــمُ على الهدى لمن اســـتهدى أدلاء
وقدرُ كلّ امرئ ما كان يُحسنه وللرجال على الأفعـــال ســـيماء
وضد كلّ امرئ ما كان يجهلـــه والجاهلون لأهل العلـــم أعـــداء

طبقات الأولياء

أولياء الله ينقسمون إلى طبقين في الجملة:

١. **السابقون المقربون:** وهم الذين تقربوا إلى الله ﷻ بأداء الفرائض وإتقانها والإكثار من النوافل والقربات، وأصحاب هذه الطبقة هم أصحاب الولاية الكاملة.
٢. **وأصحاب اليمين:** وهم الذين تقربوا إلى الله تعالى بأداء ما افترضه عليهم ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المنكرات، وهذا الفريق هم أصحاب الولاية الناقصة.

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: "والولاية أيضاً نظير الإيمان فيكون مراد الشيخ أن أهلها في الأصل سواء، وتكون كاملة وناقصة: فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين كما قال تعالى: ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا**﴾[1] ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ منصوب على أنه صفة لأولياء الله، أو بدل عنه".[2]

ثم قال: "يجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه كما يكون فيه

---

(١) يونس: ٦٢ – ٦٤.

(٢) شرح الطحاوية، ص: ٤٠٤.

كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان".

المراد بالإيمان والتقوى

قال ﷻ في وصف أوليائه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ فما المراد بالإيمان والتقوى؟ قال الآلوسي في تفسير[1] قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾: "هم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى والمفضون إلى كل خير والمجتنبون عن كل شر".

الإيمان[2]

الإيمان لغة: هو التصديق والاستسلام.

الإيمان شرعاً: هو تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به عن الله وأن يتبع هذا قول باللسان، وعمل بالأركان.

وقد أجاب النبي ﷺ جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان: **"أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره". فقال له جبريل: صدقت".**[3]

وقد فسره ﷺ كذلك لوفد عبد القيس حيث قال لهم: **"آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك**

---

(١) روح المعاني، ج١١/١٤٦-١٤٧.

(٢) الإيمان: قال في المصباح المنير ج١/٣٤: آمنت بالله إيماناً أسلمت له.

(٣) متفق عليه، مسلم كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام، حديث رقم: (١)، جـ١/٣٦.

له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم".[1]

وقال ابن أبي العز الحنفي ــرحمه اللهــ في شرح الطحاوية[2] معلقاً على حديث وفد عبد القيس: "ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، ولما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب فعلم أن هذا مع إيمان القلب هو الإيمان .

ثم قال: والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك مما فسرتها السنة، والإيمان بيّن معناه الكتابُ والسنةُ.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾[4] وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[5].

فنفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية دلّ على أن هذه الغاية فرض على الناس، فمن تركها كان من أهل الوعيد، ولم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وُعِدَ أهله بدخول الجنة بلا عذاب. ولا يقال إن بين تفسير النبي ﷺ الإيمان في حديث

---

(١) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان رقم: (١٠)، كتاب الإيمان، جـــ١/٤، ومسلم كتاب الإيمان رقم الحديث العام: (٢٣).

(٢) ص: ٤٠٨-٤٠٩.

(٣) الأنفال: ٢.

(٤) الحجرات: ١٥.

(٥) النساء: ٦٥.

جبرائيل[1] وتفسيره إياه في حديث وفد عبد القيس معارضة، لأنه فسّر الإيمان في حديث جبرائيل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام، كما أن الإحسان متضمن للإيمان الذي قدم تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد عبد القيس، لأنه فسّره ابتداء لم يتقدم قبله تفسير الإسلام".

وأفضل أنواع الإيمان الإيمان بالغيب[2] كما روي ذلك عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب". ثم قرأ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[3].

التقوى[4]

التقوى لغة

قال الإمام القرطبي[5] ــرحمه اللهــ: التقوى يقال أصلها في اللغة قلة الكلام، حكاه ابن فارس. قلت: ومنه الحديث: **"التقي ملجم والمتقي فوق المؤمن والطائع"**، وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى، مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزاً بينك وبينه. قال: والأصل في التقوى

---

(١) جبريل وجبرائيل: لغتان كميكال وميكائيل.

(٢) الغيب: كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة، وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار، انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦٢/١.

(٣) البقرة: ٣.

(٤) التقوى: قال في المصباح: جـ١/٧٦: "رجل تقي أي زكي وقوم أتقياء، واتقى يتقي من باب تعب تقاة والتقى جمعها في تقدير رطبة ورطب واتقاه اتقاء والاسم التقوى وأصل التاء واو ولكنهم قلبوها".

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ١٦١/١.

وقوى على وزن فعلى، فقلبت الواو تاء من وقيته أقيه أي منعته، ورجل تقيّ أي خائف أصله وقى وكذلك تقاة كانت في الأصل وقاة كما قالوا: تجاه وتراث والأصل وجاه ووراث.

التقوى شرعاً

قال الإمام القرطبي ــرحمه اللهــ[1]: والتقوى معناها مراعاة حدود الله تعالى أمراً نهياً، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به والتنـــزّه عما نهاك عنه.

وقال ابن رجب الحنبلي[2]: وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية منه. فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه، ومن غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه، وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله ﷻ كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[4]. فإذا أضيفت التقوى إليه ﷻ فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه وهو أعظم ما يُتقى وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي.

ثم قال: ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرّمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٣٤٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ص: ١٤٨.

(٣) المائدة: ٩٦.

(٤) الحشر: ١٨.

قال ابن عباس[1]: "المتقون الذين يحذرون من الله وعقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى يرجون رحمته في التصديق بما جاء به".

وقال الحسن البصري[2]: "المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدّوا ما افترض الله عليهم".

وقال عمر بن عبد العزيز[3]: "ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرّم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير".

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: "أوصيك بتقوى الله ﷻ التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثاب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل جعلنا الله وإياكم من المتقين". ولما ولي الخلافة خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال: "أوصيكم بتقوى الله ﷻ، فإن تقوى الله ﷻ خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف".

وتقوى الله ﷻ هي السعادة في الدنيا والآخرة فالأتقياء هم السعداء والعصاة والفجرة هم الأشقياء. قال الإمام الشافعي ــرحمه اللهــ:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكنّ التقي هو السعــيد

---

(١) جامع العلوم والحكم ١٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الفصل الثاني

أهم صفات أولياء الله

أ. الاشتغال بالعلم الشرعي

العلماء هم الأولياء وإذا لم يكن العلماء هم الأولياء فليس لله ولي. ولهذا، فإن من أهم الصفات التي ينبغي أن يتّصف بها العبد الصالح الاشتغال بالعلم الشرعي، فالعلم أساس العمل، والعلم قائد والعمل تبع له. قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [1]، فقد أمر ﷻ بالعلم قبل العمل.

وقد مدح الله العلم والعلماء بآيات كثيرة منها قوله ﷻ:

- ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2].
- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [3]
- ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [4].
- ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ ﴾ [5]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح[6]: "قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم. ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب وبها ترتفع الدرجات ورفعتها تشمل المعنويات في الدنيا، بعلو المنـــزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو المنـــزلة في الجنة.

---

(١) محمد: ١٩.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) طه: ١١٤.

(٥) المجادلة: ١١.

(٦) جـ ١/١٤١.

• ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (١)

قال الإمام القرطبي في تفسيرها(٢): "في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم الملائكة كما قرن اسم العلماء".

كما مدح الرسول ﷺ العلم والعلماء وحثّ على العلم وشجع على طلبه، من ذلك:

- قوله ﷺ: **"من يُرِد الله به خيراً يفقّهه في الدين"**.(٣)
- وقوله ﷺ: **"العلماء ورثة الأنبياء"**.(٤)
- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "ضمني رسول الله ﷺ وقال: **"اللهم علّمه الكتاب"**.(٥)

وكما ذكرنا فالمراد بالعلم العلم الشرعي وهي معرفة ما يجب على المرء تعلّمه من أمور دينه. قال الحافظ في الفتح(٦): "والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته،

---

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٤١/١.

(٣) البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم: ٧.

(٤) حديث حسن، رواه أبو داود في العلم: (٣٦٤) والدارمي رقم (٣٩٤)، وابن ماجة (٢٢٣) في المقدمة وقال الحافظ في الفتح جـ١/١٤١: صححه مسلم و لم يخرجه البخاري لأنه اختلف فيه على الأعمش، والراجح أنه بينه وبين أبي صالح فيه واسطة والله أعلم.

(٥) البخاري في العلم رقم: ٧٥.

(٦) جـ ١/١٤١.

والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره، وتنـــزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه".

قال في مختصر منهاج القاصدين[1]: "وقد يكون بعض العلوم مباحاً، كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار. وقد يكون بعضها مذموماً، كعلم السحر، والطلسمات والتلبيسات. فأما علوم الشرع فكلها محمودة، وتنقسم إلى أصول وفروع.

فالأصول: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة، وآثار الصحابة.

والفروع: ما فهم من هذه الأصول من معان تنبهت لها لعقول حتى فهم ما اللفظ الملفوظ وغيره".

العلم بالتعلم

روى الطبراني في جامعه عن معاوية رضي الله عنه: "أيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلّم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقه في الدين".[2]

قال الحافظ في الفتح[3]: "والمعنى ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ من الأنبياء وورثتهم على سبيل التعلم".

فمن أراد معرفة الدين معرفة صحيحة فعليه بمجالسة أهل العلم وسؤالهم واستفسارهم. فقد أمر الله العامة بسؤال الخاصة فقال ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ

(١) ص: ١٩-٢٠.

(٢) قال الحافظ في الفتح جـ١/١٦١: إسناده حسن إلا أن فيه مبهماً اعتضد بمجيئه من وجه آخر.

(٣) المصدر السابق.

﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، وأهل الذكر هم العلماء بدليل قوله ﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقد جاء في الأثر: "كن عالماً، أو متعلماً، أو مستعلماً، أو محباً، ولا تكن الخامس فتهلك". والخامس هو المبتدع كما فسّره بعض أهل العلم.

وليس هناك من طريق لمعرفة أمور الدين المختلفة من الاعتقاد الصحيح، والحلال والحرام، ومعرفة السنة من البدعة إلا عن طريق مجالسة العلماء والاحتكاك بهم والحرص على ملازمتهم.

ويستدلّ بعض الجهلة من المسلمين بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام بأن الخضر استغنى عن موسى لأنه كان يعلم علم الباطن الذي هو أفضل من علم الظاهر في زعمهم.

قال الإمام القرطبي ــرحمه اللهــ في تفسيره[2] عند تعرّضه لقصة موسى مع الخضر: قال شيخنا الإمام أبو العباس: "ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هدم هذه الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم. وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوّها عن الأغبار، فتتجلّى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربّانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر فإنه استغنى بما تجلّى له من العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم. وقد جاء فيما ينقلون: استفتِ قلبَك وإن أفتاك المفتون.

---

(١) الأنبياء: ٧.

(٢) جـ ١١/٤٠-٤١.

قال شيخنا ــرضي الله عنهــ: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سنّته، وأنفذ حكمته، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك. كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [3] إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي، واليقين الضروري، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل. فمن قال إن هناك طريقاً آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغني عن الرسل فهو كافر يُقتل ولا يستتاب. ولا يحتاج معه إلى سؤال وجواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا محمد ﷺ، الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله فلا نبيّ بعده ولا رسول، وبيان ذلك أنّ من قال يأخذ من قلبه، وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، فإن هذا نحو ما قاله ﷺ: **"إن روح القدس نفث في روعي"** الحديث.

---

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الأنعام: ١٢٤.

(٣) البقرة: ٢١٣.

وقال العلامة ابن أبي العز رحمه الله[1]: "وأما ما يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدنّي، الذي يدّعيه بعض عن عدم التوفيق ــفهو ملحد زنديق، فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، و لم يكن الخضر مأموراً بمتابعته ولهذا قال له: أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، ولو كان موسى وعيسى حيّين[2] لكانا من أتباعه".

ب. محبة الله ورسوله ﷺ

محبة الله ورسوله ﷺ تعني طاعتهما واتباعهما في السر والعلن. قال الإمام القرطبي[3]: قال الزهري: "محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما".

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[4].

ومعنى محبة الله لعباده الصالحين إنعامه عليهم بالإيمان والغفران. قال ﷻ: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[5]. قال الإمام القرطبي: أي لا يغفر لهم.[6]

وحبّ الله ورسوله من علامات المؤمنين الصالحين ومن اتصف بذلك فقد

---

(١) شرح الطحاوية، ص: ٥٧٧.

(٢) لا شك في حياة عيسى عليه السلام، ومراد الشيخ: لو أنه في الأرض، ولهذا عندما ينـــزل في آخر الزمان يحكم بشرع محمد ﷺ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٤/٦٠.

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) آل عمران: ٣٢.

(٦) المصدر السابق.

ذاق طعم الإيمان. قال ﷺ فيما يرويه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: **"ثلاث من كنّ فيه وَجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممّا سواهما، وأن يحِبَّ المرءَ لا يحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكرهُ أن يُقْذَفَ في النار".**[1]

قال الحافظ ابن حجر ــرحمه اللهــ في الفتح[2] قال البيضاوي: "المراد بالحب هنا الحبّ العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هَوَى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعاً له، ويلتذّ بذلك التذاذاً عقلياً، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك".

وقال الحافظ: وقال غيره: محبة الله على قسمين: فرض وندب.

فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدّره، فمن وقع في معصية من فعل محرّم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدّم هوى نفسه. والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والإكثار منها، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية أو تستمر الغفلة فيقع. وهذا الثاني يسرع إلى الإقلاع مع الندم وإلى الثاني يشير الحديث: **"لا يزني الزاني وهو مؤمن"**. والندب أن يواظب على النوافل ويتجنّب الوقوع في الشبهات والمتصف عموماً بذلك نادر.

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان، رقم: ١٦.

(٢) جـ ١/٦٠-٦١.

قال: وكذلك محبة الرسول على قسمين كما تقدم يزاد أن لا يتلقّى شيئاً من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضاه. ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك.

قال الشيخ محي الدين ــالنووي ــ: ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول ﷺ.

وقال سهل بن عبد الله: علامة حبّ الله حبّ القرآن وعلامة حبّ القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حبّ النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب الله وحبّ القرآن، وحب النبي، وحبّ السنة، حبّ الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحبّ نفسه، وعلامة حبّ نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلا الزاد والبلغة".[1]

ولا يكتمل إيمان المرء حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ وحتى يحب الرسول ﷺ وما جاء به ويقدم حبه وطاعته على النفس والمال والولد والأهل. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"**.[2]

وعلى الرغم من أن هذا الحديث فيه مقال لأهل العلم بالحديث ــفي سندهــ إلا أن معناه موافق لظاهر كثير من الآيات والأحاديث منها:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٤/٦٠-٦١

(٢) قال النووي في الأربعين النووية: "رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم، ص: ٣٧٤-٣٧٥ فيه مجاهيل.

١. قوله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

قال ابن دقيق العيد في شرح الأربعين: "وسبب نزولها أن الزبير ﷺ كان بينه وبين رجل من الأنصار خصومة في ماء فتحاكما إلى رسول الله ﷺ فقال: **"اسق يا زبير وسرّح الماء إلى جارك"** يحضه بذلك إلى المسامحة والتيسير، فقال الأنصاري: إن كان ابن عمتك. فتلوّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال: **"يا زبير احبس الماء حتى يبلغ الجدر ثم سرّحه"**.[2] وذلك أن رسول الله ﷺ كان أشار على الزبير بما فيه مصلحة الأنصاري، فلما أحفظه الأنصاري بما قال (أي أغضبه) استوعب للزبير حقّه الذي يجب له فنـــزلت هذه الآية".[3]

٢. وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[4]، وقد ذمّ الله ﷻ من كره ما أحبه الله ورسوله فقال:

٣. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾[5]

٤. وقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿فلا وربك ...) رقم: ٤٢١٩، ومسلم رقـــم: ٤٣٤٧، ولفظ البخاري ومسلم: أن رسول الله ﷺ قال للزبير في المرة الثانية: "اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجـــع إلى الجدر". فقال الزبير والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾.

(٣) شرح الأربعين النووية، ص: ١٢٨.

(٤) الأحزاب: ٣٦.

(٥) محمد: ٩.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[1].

قال ابن رجب الحنبلي[2] ــرحمه اللهــ: "فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلاً وأن يكره ما كرهه الله تعالى كراهة توجب له الكفّ عما حرم الله عليه، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكفّ عما كرهه تنـــزيهاً كان ذلك فضلاً. قال رسول الله ﷺ: **"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ووالده والناس أجمعين"**.[3]

قال ابن بطال: ومعنى الحديث والله أعلم، أن من استكمل الإيمان علم أن حق رسول الله ﷺ وفضله آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأن بالرسول استنقذهم الله ﷻ من النار وهداهم من الضلال".

وقال ابن دقيق العيد في شرحه للأربعين النووية: "والمراد بالحديث بذل النفس دونه ﷺ. وقد كانت الصحابة ﷺ يقاتلون معه آباءَهم وأبناءَهم وإخوانهم، وقد قتل أبو عبيدة أباه لإيذائه رسول الله ﷺ وتعرّض أبو بكر ﷺ يوم بدر لولده عبد الرحمن لعلّه يتمكّن منه فيقتله. فمن وُجِدَ هذا منه فقد صح أن هواه تبع لما جاء به النبي ﷺ".[4]

قال ابن رجب[5] معلقاً على هذا الحديث: "فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى

---

(١) محمد: ٢٨.

(٢) جامع العلوم والحكَم، ص: ٣٦٥.

(٣) البخاري في الإيمان باب حب الرسول ﷺ، رقم: ١٥، وليس فيه (نفسه).

(٤) شرح الأربعين النووية، ص: ١٢٩.

(٥) المصدر السابق.

يقدّم محبة الرسول ﷺ على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة مرسِله. فالمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾"[1].

قال الحسن البصري: "قال أصحاب النبي ﷺ: يا رسول الله! إنا نحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبه علماً فأنزل الله هذه الآية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ . . . ﴾".

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك، فإن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دلّ ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة. وكما قيل:

تعصي الإله وتزعم حبّه ... هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

(١) التوبة: ٢٤.

وقال ابن القيّم[1]: "وسمعت ابن تيمية يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رُحتُ فهي معي، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. وكان يقول: المحبوس من حبس قلبه عن الله والمأسور من أسره هواه".

وقال بعض العارفين: "لو أن الملوك وأبناء الملوك يعلمون ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف".

وقال آخر: "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره".[2]

قال ابن رجب: "فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله. وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[3]، وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمّى أهلها أهل أهواء وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه".

ج . إتقان الفرائض

أفضل الأعمال عند الله وأحبها إليه ما افترضه الله على عباده فقد جاء في

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٦٠-٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) القصص: ٥٠.

الحديث الصحيح: "... **وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه** ..." الحديث.[1]

ومهما تقرب العبد إلى ربه فلن يتقرب إليه بشيء أحب إليه مما افترضه وأوجبه على عباده المكلفين.

فقد روي[2] عن عمر ﷺ أنه قال: "أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرّم الله، وصدق النية عما عند الله".

وعن عمر بن عبد العزيز ﷺ كذلك قال[3]: "أفضل العبادات أداء الفرائض، واجتناب المحارم".

وأداء الواجبات أفضل من ترك المحرمات. قال العلامة ابن القيم رحمه الله[4]: "قال سهل بن عبد الله: ترك الأمر عند الله أعظم من ارتكاب النهي لأن آدم نُهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب عليه، وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتبْ عليه".

قلت: هذه مسألة عظيمة لها شأن وهي أن ترك الأوامر أعظم عند الله من ارتكاب المناهي وذلك من وجوه عديدة، (**أحدها**): ما ذكره سهل من شأن آدم وعدو الله إبليس. (**الثاني**): إن ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة وذنب ترك الأمر مصدره في الغالب الكبر والعزة ولا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ويدخلها من مات على التوحيد وإن زنى

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم: (٦٥٠٢).

(٢) المصدر السابق، جامع العلوم والحكم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الفوائد، ١١٩-١٢٨.

وسرق. (**الثالث**): أن فعل المأمور أحبّ إلى الله من ترك المنهي كما دل على ذلك النصوص كقوله ﷺ: "**أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها** ...".

وتشمل الفرائض فرائض العين والكفاية. قال الحافظ ابن حجر في الفتح[1] معلقاً على حديث: "**وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه** ..." الحديث: يدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله: "افترضته عليه" إلا أن أخذ من جهة المعنى الأعم، ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله. قال الطوفي: الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب، فكانت الفرائض أكمل، فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقرباً، وأيضاً فالفرض كالأصل والأس، والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الأمر وتعظيمه بالانقياد إليه إظهار عظمة الربوبية وذلّ العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل، والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثاراً للخدمة فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته".

الفرض والواجب

جمهور أهل العلم ذهبوا إلى أنه لا فرق بين الفرض والواجب فكل واجب فرض، وذهب الحنفية إلى التفريق بين الفرض والواجب.

---

(١) ٣٤٣/١١.

قال ابن رجب الحنبلي ــرحمه اللهــ[1]: "وقد اختلف العلماء رضي الله عنهم: هل الواجب والفرض بمعنى واحد أم لا؟ فمنهم من قال: هما سواء وكل واجب بدليل شرعي بكتاب أو سنة أو إجماع أو غير ذلك من أدلة الشرع فهو فرض. ومنهم من قال: بل الفرض ما ثبت بدليل مقطوع به، والواجب ما ثبت بغير مقطوع به، وهو قول الحنفية وغيرهم. وأكثر النصوص عن أحمد يفرق بين الفرض والواجب، فنقل جماعة من أصحابه عنه أنه قال: لا يسمى فرضاً إلا ما كان في كتاب الله. وقال في صدقة الفطر: ما أجترئ أن أقول إنها فرض مع أنه يقول بوجوبها، فمن أصحابنا من قال: مراده أن الفرض ما يثبت بالكتاب والسنة والواجب ما يثبت بالسنة. ومنهم من قال: أراد أن الفرائض ما ثبت بالاستفاضة والنقل المتواتر، والواجب ما ثبت من جهة الاجتهاد وساغ الخلاف في وجوبه.

ويشكل على هذا أن أحمد قال في رواية الميموني في بر الوالدين: ليس بفرض ولكن أقول واجب ما لم تكن معصية، وبرّ الوالدين مجمع على وجوبه وقد كثرت الأوامر به في الكتاب والسنة، فظاهر هذا أنه لا يقول فرض إلا ما ورد في الكتاب والسنة فرضاً. وقد اختلف السلف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل يسمى فريضة أم لا؟ فقال جويبر عن الضحاك: هما من فرائض الله ﷻ وكذا روي عن مالك ... ولعل أحمد يتوقف في إطلاق الواجب على ما ليس بواجب على الأعيان بل على الكفاية.

وقد اختلف العلماء رضي الله عنهم في الجهاد: هل هو واجب أم لا؟

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص: ٢٦٢-٢٦٣.

فأنكر جماعة منهم وجوبه منهم: عطاء، وعمرو بن دينار، وابن شُبرمة ولعلهم أرادوا هذا المعنى. وقالت طائفة هو واجب، منهم سعيد بن المسيّب ومكحول ولعلهما أرادا وجوبه على الكفاية.

وقال أحمد في رواية حنبل: الغزو واجب على الناس كلهم كوجوب الحج، فإذا غزا بعضهم أجزأ عنهم ولا بدّ للناس من الغزو، وسأله المروزي عن الجهاد أفرض هو؟ قال: قد اختلفوا فيه وليس هو مثل الحج، ومراده أن الحج لا يسقط عمن لم يحج مع الاستطاعة بحج غيره بخلاف الجهاد ...

وسئل عن النفير متى يجب؟ فقال: أما إيجابه فلا أدري ولكن إذا خافوا على أنفسهم فعليهم أن يخرجوا، وظاهر هذا التوقف في إطلاق لفظ الواجب على ما لم يأتي فيه لفظ الإيجاب تورعاً، ولذلك توقف في إطلاق لفظ الحرام على ما اختلف فيه وتعارضت أدلته من نصوص الكتاب والسنة، فقال في متعة النساء: لا أقول هي حرام ولكن ننهى عنها، ولم يتوقف في معنى التحريم ولكن في إطلاقه لفظه لاختلاف النصوص والصحابة فيها، هذا هو الصحيح في تفسير كلام أحمد".

أداء الواجبات وترك المحرمات سبب في دخول الجنة

لقد تواترت نصوص الشرع من الكتاب والسنة أن من قام بالواجباتِ وانتهى عن المحرّمات دخل الجنة ولو لم يتعاط شيئاً من النوافل والمستحبات. ومما يدل على ذلك:

• قوله ﷻ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[1].

(١) النساء: ٣١.

• قوله ﷺ فيما رواه عنه جابر بن عبد الله ﷺ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: "**أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة؟** قال: "**نعم**".[1]

ومعنى حرمت الحرام: اجتنبته، ومعنى أحللت الحلال فعلته معتقداً حلّه.[2]

وفي رواية لمسلم كذلك عن جابر قال: "قال النعمان بن قَوفَل: **يا رسول الله! أرأيت إذا صلّيت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال، ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة؟** فقال النبي: "**نعم**".

• وعن أبي هريرة ﷺ وأبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**ما من عبد يصلّي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**".

• وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**ما من عبدٍ عَبَدَ الله لا يشركُ به شيئاً، وأقام الصلاةَ، وآتى الزكاة، وصام رمضان، واجتنب الكبائر فله الجنة، أو دخل الجنة**".[3]

• وعن ابن عباس ﷺ: أن ضمام بن ثعلبة وفد على النبي فذكر له الصلوات الخمس، والصيام، والزكاة، والحج، وشرائع الإسلام كلها فلما فرغ قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه لا أزيد ولا أنقص، فقال رسول الله ﷺ: "**إن صدق**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، رقم الحديث العام: (١٨)، جـ ١/٤٤، ورواه البيهقي بمعناه، جـ ١٠/١٨٧.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص: ١٩٤.

(٣) أحمد والنسائي.

دخل الجنة".[1]

• وعن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع يقول: **"أيها الناس اتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم".**[2]

• وفي الصحيحين[3] أن النبي ﷺ قال: **"يا معاذ! ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرّمه الله على النار".**

• وعن عتبان بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"إن الله قد حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله".**[4]

آراء أهل العلم[5] في المراد بمن قال: (لا إله إلا الله)

ذهب أهل العلم في ذلك مذاهب شتّى:

• **قالت طائفةٌ منهم:** إنَّ كلمة التوحيد سببٌ مقتضٍ لدخول الجنَّة وللنجاة مِنَ النَّارِ، لكن له شروطٌ، وهي: الإتيانُ بالفرائضِ، وموانعُ وهي: اجتناب الكبائر.

قال الحسن للفرزدق: إنَّ لـــ ((لا إله إلا الله)) شروطاً، فإيَّاكَ وقذفَ

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، رقم الحديث: (١١).

(٢) خرجه الترمذي، رقم: (٦١٦)، جـــ ٢/٥١٦، وقال: حسن صحيح. وقال أحمد محمد شاكر: رواه أحمد في المسند، جـــ٥/٢٥١، عن زيد بن الحباب، والحاكم جـــ١/٩.

(٣) متفق عليه: صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات عل التوحيد دخل الجنة، رقم الحديث: (٥٣)، جـــ١/٦١.

(٤) متفق عليه: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث: ٥٥، جـــ ١/٦٢.

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم، ص: ١٩٨-١٩٩.

المحصنة.

ورُوي عن الحسن كذلك أنَّه قال: هذا العمودُ، فأين الطُّنُبُ[1].

قال ابن رجب[2]: "يعني أنَّ كلمةَ التوحيد عمودُ الفسطاط[3]، ولكن لا يثبتُ الفسطاطُ بدون أطنابه، وهي فعلُ الواجبات، وتركُ المحرَّمات".

وقيل للحسن: إنَّ ناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنَّة، فقال: "من قال: لا إله إلا الله، فأدَّى حقَّها وفرضها، دخلَ الجنَّةَ".

وقيل لوهب بنِ مُنبِّه: أليس ‹‹لا إله إلا الله›› مفتاح الجنَّة؟ قال: "بلى؛ ولكن ما من مفتاحٍ إلا وله أسنان، فإنْ جئتَ بمفتاحٍ له أسنانٌ فتح لك، وإلاَّ لم يفتح لك".

ويشبه هذا ما رُوِيَ عن ابنِ عمر ﷺ أنَّه سُئِلَ عن ‹‹لا إله إلا الله››: هل يضرُّ معها عملٌ، كما لا ينفع مع تركها عملٌ؟ فقالَ ابن عمر: "عش ولا تغتر".

- **وقالت طائفةٌ**: كانَ هذا قبلَ الفرائض والحدود فعندما نزلت الفرائض والحدود نسختها، وينسب هذا القول إلى الضحّاك والزهري.
- **وقالت طائفة**: بل ضم إليها شروط وزيدت عليها، قال أبن رجب[4]: "وزيادة الشروط هل هي نسخ أم لا؟ فيه خلاف مشهور بين الأصوليين. وفيه

---

(١) الطُنُب: قال في المصباح ج٢/٢٧٨: الطنب: بضمتين وسكون الثاني لغة الحبل تشد به الخيمة ونحوها والجمع أطناب.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفسطاط: الخيمة.

(٤) المصدر السابق.

كله نظر، فإن كثيراً من هذه الأحاديث متأخر عن الفرائض.

وقال الثوري: "نسختها الفرائضُ والحدودُ، فيحتمل أنْ يكونَ مرادُه ما أراده هؤلاء، ويحتمل أنْ يكون مرادُه أنَّ وجوبَ الفرائض والحدود تبين بها أنَّ عقوبات الدنيا لا تسقُطُ بمجرَّدِ الشهادتين، فكذلك عقوباتُ الآخرة، ومثل هذا البيان وإزالة الإيهام كان السَّلفُ يُسَمُّونه نسخاً، وليس هو بنسخ في الاصطلاح المشهور.

• **وقالت طائفة من أهل العلم**: هذه النصوص المطلقة جاءت مقيدة بأنْ يقولها بصدقٍ وإخلاصٍ، وإخلاصُها وصدقُها يمنع الإصرارَ معها على معصية. فقد جاء من مراسيل الحسن، عن النَّبيِّ ﷺ: **"من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنَّة"** قيل: وما إخلاصها؟ قال: **"أنْ تحجُزَكَ عمَّا حرَّم الله"**. وروي ذلك مسنداً من وجوه أخرَى ضعيفة.[1]

قال الحافظ ابن رجب[2] مرجحاً لهذا القول الأخير معلقاً على ما رواه الحسن: "ولعل الحسن أشار بكلامه الذي حكيناه عنه من قبلُ إلى هذا فإنَّ تحقق القلب بمعنى ((لا إله إلا الله)) وصدقه فيها، وإخلاصه بها يقتضي أنْ يرسخَ فيه تألُّهُ الله وحده، إجلالاً، وهيبةً، ومخافةً، ومحبَّةً، ورجاء، وتعظيماً، وتوكُّلاً، ويمتلئَ بذلك، وينتفيَ عنه تألُّه ما سواه من المخلوقين، ومتى كان كذلك، لم يبقَ فيه محبَّةٌ ولا إرادةٌ، ولا طلبٌ لغير ما يُريدُهُ الله ويحبُّه ويطلبه، وينتفي بذلك مِنَ القلب جميعُ أهواءِ النُّفوس وإراداتها، ووسواس الشيطان، فمن أحب شيئاً وأطاعه، وأحبَّ عليه وأبغض عليه فهو إلهُهُ، فمن كان لا يحبُّ ولا يبغضُ إلا

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

لله، ولا يُوالي ولا يُعادي إلا له، فالله إلهُهُ حقاً، ومن أحبَّ لهواه، وأبغض له، ووالى عليه، وعادى عليه، فإلهه هواه، كما قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (١).

قالَ الحسن: "هوَ الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبه". وقال قتادة: "هوَ الذي كلما هَوِيَ شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاه، لا يَحجزُه عن ذلك ورعٌ ولا تقوى".

ويشهد لهذا المعنى حديثُ معاذ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: **"مَنْ كان آخِرَ كلامِهِ لا إله إلا الله، دخل الجنَّة"**، فإنَّ المحتضرَ لا يكادُ يقولُها إلاَّ بإخلاصٍ، وتوبةٍ، وندمٍ على ما مضى، وعزم على أنْ لا يعودَ إلى مثله، ورجح هذا القولَ الخطابيُّ في مصنَّفٍ له مفرد في التوحيد، وهو حسن".

أقسام الفرائض

- فرائض بدنية _كالصلاة والصوم.
- فرائض مالية _كالزكاة.
- فرائض بدنية مالية _كالحج.

الصلاة المكتوبة

أعظم الفرائض البدنية على الإطلاق هي الصلوات المكتوبة. وأداء الصلاة المكتوبة في أول وقتها أحب الأعمال إلى الله ﷻ. فقد جاء في حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: "سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: **"الصلاة**

---

(١) الفرقان: ٤٣.

على وقتها". قال: ثم أي؟ قال: "**بر الوالدين**". قال: ثم أي؟ قال: "**الجهاد في سبيل الله**". قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني.[1]

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[2] معلقاً على هذا الحديث: ومحصل ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلف باختلاف أحوال السائلين بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه، وبما لهم فيه رغبة أو بما هو لائق بهم، أوكان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره، فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام أفضل الأعمال لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكّن من أدائها[3]، وقد تضافرت النصوص أن الصلاة أفضل من الصدقة. ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل، وأن أفضل ليست على بابها بل المراد بها الفضل المطلق، أو المراد من أفضل الأعمال فحذفت (مِن) وهي مرادة".

وقال ابن دقيق العيد: "الأعمال في هذا الحديث محمولة على البدنية، وأراد بذلك الاحتراز من الإيمان لأنه من أعمال القلوب، فلا تعارض حينئذ بينه وبين حديث أبي هريرة "أفضل الأعمال إيمان بالله" الحديث.

وقال غيره: المراد بالجهاد هنا ما ليس بفرض عين، لأنه يتوقف على إذن الوالدين فيكون برّهما مقدماً عليه".

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم (٥٢٧).

(٢) ٩/٢.

(٣) الضمير يرجع إلى االصلاة.

ونقل الحافظ[1] عن ابن بطّال المالكي ـرحمه اللهـ قوله: "وفيه ـأي الحديثـ أن البدار إلى الصلاة في أول وقتها أفضل من التراخي فيها لأنها إنما شرط فيها أن تكون أحب الأعمال إذا أقيمت لوقتها المحتسب".

والمحافظة على الصلوات المكتوبات وأداؤها بكامل الخشوع والواجبات والمستحبات سبب في تكفير الخطايا. فعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **"أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يبقى من درنه؟"** قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: **"فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"**.[2]

وروى الإمام مسلم ـرحمه اللهـ في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ كذلك: **"الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر[3]"**.[4]

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله"**.[5]

فقد قيّدت هذه الأحاديث رواية البخاري. قال الإمام القرطبي ـرحمه

---

(١) الفتح ٢/٩.

(٢) البخاري في كتاب المواقيت، باب الصلوات الخمس، كفارة، رقم: (٥٢٨)، ومسلم، كتاب المساجد، رقم الحديث: (٦٦٧).

(٣) الكبائر جمع كبيرة مثل السرقة والزنا وشرب الخمر، وهي الذنوب التي ورد فيها وعيد من الله ورسوله أوشرع فيها حد وقيل: هي التي تحتاج إلى توبة.

(٤) صحيح مسلم كتاب الصلاة رقم: (٢٣٣).

(٥) مسلم، رقم (٢٢٨)، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي.

الله_[1]: ظاهر الحديث أن الصلوات الخمس تستقل بتكفير جميع الذنوب لكن روى مسلم قبله حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً: "**الصلوات الخمس كفارة لما بينها ما اجتنبت الكبائر**". فعلى هذا المقيد يحمل ما أطلق في غيره.

قال الحافظ[2]: قال ابن بزيزة في "شرح الأحكام": "يتوجه على حديث العلاء إشكال يصعب التخلص منه، وذلك أن الصغائر بنصّ القرآن مكفرة باجتناب الكبائر، وإذا كان كذلك فما الذي تكفره الصلوات الخمس؟ انتهى.

وقد أجاب شيخنا الإمام البلقيني بأن السؤال غير وارد، لأن مراد الله ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ** ﴾ [3] أي في جميع العمر، ومعناه الموافاة على هذه الحالة من وقت الإيمان أو التكليف إلى الموت، والذي في الحديث أن الصلوات الخمس تكفر ما بينها _أي في يومها_ إذا اجتنبت الكبائر في ذلك اليوم، فعلى هذا فلا تعارض بين الآية والحديث. انتهى.

وعلى تقدير ورود السؤال فالتخلص منه بحمد الله سهل، وذلك أنه لا يتم اجتناب الكبائر إلا بفعل الصلوات الخمس، فمن لم يفعلها لم يعد مجتنباً للكبائر، لأن تركها من الكبائر فتوقف التكفير على فعلها".

المحافظة على إقامة الصلاة

لقد أمر الله بإقامة الصلاة فقال ﷻ: ﴿ **وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ**

---

(١) الفتح، ١٢/٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) النساء: ٣١.

﴿ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [1] وإقامتها أداؤها بأركانها وسننها ومستحباتها وهيئاتها في أوقاتها مع جماعة المسلمين. فقد تظاهرت النصوص بفضل صلاة الجماعة، منها:

عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ[2] بسبع وعشرين درجة".**[3]

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ أعمى فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخّص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولّى دعاه فقال له: **"هل تسمع النداء بالصلاة؟"**. قال: نعم. قال: **"فأجب"**.[4]

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيُحتطَب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرّق عليهم بيوتهم".**[5]

• وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من سمع النداء فلم يمنعه من إتيانه عذر" قالوا: وما العذر؟ قال: "الخوف والمرض، لم تُقبل منه الصلاة التي صلى".[6] روي مرفوعاً وموقوفاً.

• وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "من سره أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سننَ الهدى

---

(١) البقرة: ٤٣.

(٢) الفذ: الواحد.

(٣) متفق عليه، مسلم رقم: (٦٥٠)، كتاب المساجد باب فضل صلاة الجماعة.

(٤) مسلم رقم: (٦٥٣)، كتاب المساجد باب فضل صلاة الجماعة.

(٥) متفق عليه، البخاري جـ٢/١٠٧-١٠٨، ومسلم رقم: (٦٥١)، كتاب المساجد.

(٦) قال القرطبي في تفسيره، ٣٤٩/١: قال أبو محمد عبد الحق: والصحيح موقوف على ابن عباس.

وإنهن من سننِ الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنّة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به، يهادى[1] بين الرجلين حتى يقام في الصف".[2]

وفي رواية له قال: إن رسول الله ﷺ علّمنا سنن الهدى وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه.

حكم صلاة الجماعة

قد ذهب أهل العلم في حكم الصلاة في جماعة ثلاثة مذاهب هي:

- فرض عين كالجمعة.
- سنة مؤكدة.
- فرض كفاية.

قال الإمام القرطبي[3] ــرحمه اللهــ في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: ﴿مَعَ﴾ تقتضي المعية والجمعية، ولهذا قال جماعة من أهل التأويل بالقرآن: إن الأمر بالصلاة أولاً لم يقتض شهود الجماعة، فأمرهم بقوله ﴿مَعَ﴾ شهود الجماعة.

وقد اختلف العلماء في شهود الجماعة على قولين: فالذي عليه الجمهور أن ذلك من السنن المؤكدة، ويجب على من أدمَن التخلف عنها من غير عذر العقوبة.

---

(١) يُهادى: يتمايل، هامش رياض الصالحين، ص: ٤٣٧.

(٢) مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦) و(٢٥٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١/٣٤٨-٣٤٩.

وقد أوجبها بعض أهل العلم فرضاً على الكفاية.

قال ابن عبد البرّ: "وهذا قول صحيح، لإجماعهم على أنه لا يجوز أن يُجتمع على تعطيل المساجد كلها من الجماعات. فإذا قامت الجماعةُ في المسجد فصلاة المنفردِ في بيته جائزة لقوله ﷺ: **"صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة"**.[1]

وقال داود ـالظاهريـ: "الصلاة في الجماعة فرض على كل أحد في خاصته كالجمعة"، واحتج بقوله ﷺ: **"لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد"**.[2] خرجه أبو داود وصححه أبو محمد عبد الحق وهو قول عطاء بن أبي رباح، وأحمد بن حنبل، وأبي ثور، وغيرهم.

وقال الشافعي: "لا أرخص لمن قدر على الجماعة في ترك إتيانها إلا من عذر"، حكاه ابن المنذر.

أمر الأهل ومن يعول بالصلاة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[3].

وقد جاء في الحديث الصحيح: **"ألا كلكم مسؤول عن رعيته ..."**.[4]

وقد خصّ الله ﷻ على الأمر بالصلاة فقد قال ﷻ على لسان لقمان:

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأذان، رقم: ٦٠٩، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ١٠٣٨.

(٢) وقد ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم: ١٨٣.

(٣) التحريم: ٦

(٤) متفق عليه، مسلم: (١٨٢٩)، كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾[2].

قال الإمام القرطبي ــرحمه اللهــ في تفسير هذه الآية[3]: "أمر تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة ويمتثلها معهم، ويصطبر عليها ويلازمها. وهذا خطاب للنبي ﷺ ويدخل في عمومه جميع أمته وأهل بيته على التخصيص. وكان ﷺ بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت فاطمة وعلي ﷺ فيقول: "الصلاة"، ويروى أن عروة بن الزبير ﷺ كان إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منـــزله فدخله، وهو يقرأ ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾[4] إلى قوله ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴾ ثم ينادي بالصلاة: الصلاة يرحمكم الله، ويصلي، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلّي وهو يتمثل بالآية".

صيام شهر رمضان

مما افترضه الله على عباده وأوجبه عليهم صيام شهر رمضان فقد قال ﷻ في محكم تنـــزيله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[5].

وقد كرّم الله شهر رمضان بأمور كثيرة أهمها وأفضلها إنزال القرآن إلى

---

(١) لقمان: ١٧.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٢٦٣/١١.

(٤) طه: ١٣١.

(٥) البقرة: ١٨٣

سماء الدنيا فيه وإيداعه إياه ليلة هي خير من ألف شهر وهي ليلة القدر، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ . . .﴾[1].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾[2].

وقد ورد في فضله والحث على صيامه كثير من الأحاديث ويكفي الصوم فضلاً وميزة أن نسبه الله إليه وتكفّل بإجزاء صاحبه بنفسه فقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه عن ربه: قال ﷺ: **"كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة[3] فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفَث[4]، ولا يَصخَب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لَخَلوف[5] فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر: فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه".**[6]

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلِق فلم يدخل**

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) القدر: ١ – ٥.

(٣) جُنّة: وقاية من النار.

(٤) الرَّفَث: الفاحش من القول.

(٥) الخلوف: تغير رائحة الفم بسبب الإمساك عن الأكل والشرب.

(٦) متفق عليه، مسلم، رقم: (١١٥١)، وأبو داود: (٢٣٦٣).

منه أحد".[1]

عدل الراعي في رعيته الخاصة والعامة

ومن الفرائض التي يحبها الله ورسوله والتي حثّ عليها الإسلام العدل في الرعية والحكم بالسوية بينهم سواء كانت رعية خاصة أم عامة.

وهذه الصفة من أهم الصفات التي ينبغي أن يتّصف بها المؤمن التقي، فقد أمر الله عباده، بالعدل والقسط في آيات كثيرة منها:

- ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾[2]
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[3]
- وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾[4]

اختلف السلف فيمن المخاطب بها والراجح أنها عامة. قال الإمام القرطبي ــرحمه اللهــ في تفسيرها[5]: "والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس، فهي تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال وردّ الظلامات والعدل في الحكومات. وهذا اختيار الطبري. وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات وغير ذلك، كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه،

---

(١) متفق عليه، مسلم: (١١٥٢).

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) النحل: ٩٠.

(٤) النساء: ٥٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٥/٢٥٦.

والصلاة والزكاة وسائر العبادات أمانة لله تعالى، وروي هذا المعنى مرفوعاً عن حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: **"القتل في سبيل الله يكفّر الذنوب كلها"**. أوقال: **"كل شيء إلا الأمانة. والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع"**. ذكره أبو نُعيم في الحلية. وممن قال: إن الآية عامة في الجميع البراء بن عازب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبيّ بن كعب، قالوا: الأمانة في كل شيء: في الوضوء، والصلاة، والزكاة، والجنابة، والصوم، والكيل، والوزن، والودائع. وقال ابن عباس: "لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك الأمانة".

أما الأحاديث التي تأمر بالعدل والقسط فكثيرة جداً، منها:

• عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"**.[1]

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن المقسطين عند الله على منابِرَ من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"**.[2]

• وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم،**

---

(١) متفق عليه، البخاري جـ٢/٣١٧، ومسلم رقم: (١٨٢٩) وأبو داود (٢٩٢٨).

(٢) رواه مسلم، رقم: (١٨٢٧)، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

وعفيف متعفّف ذو عيال".[1]

• وعن أبي يَعلَى معقل بن يَسار ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشّ لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة".**[2] وفي رواية: **"فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة".**

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: **"اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً، فشقّ عليهم، فاشقق عليه، ومن وَلِي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به".**[3]

الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله

الجهاد في سبيل الله ماض إلى يوم القيامة وقد أوجب الله الجهاد على المستطيعين من عباده لإعلاء كلمة الله خلف كل برّ وفاجر.

الجهاد في سبيل الله من أحبّ الأعمال إلى الله، فقد جاء في حديث ابن مسعود السابق، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ **قَالَ: "الصَّلاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا"** قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ **قَالَ: "ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ".** قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ **قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".** فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.

وقد حذّر الله ورسوله المؤمنين من الركون إلى الدنيا وترك الجهاد فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من مات ولم يغزُ ولم يحدّث**

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة.

(٢) متفق عليه، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب استحقاق الوالي، الرقم: ١٤٢، جـ ١/١٢٥.

(٣) مسلم، رقم: (١٨٢٨)، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

نفسَه بغزو مات على شعبة[1] من النفاق".[2]

والجهاد في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله هو سياحة[3] المسلمين ونزهتهم كما بينه رسول الله ﷺ. فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! ائذن لي في السياحة. فقال النبي ﷺ: **"إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل"**.[4]

وقد كان رسول الله ﷺ يخرج في عزو الكفار وجهادهم وهكذا فعل أصحابه الكرام، فقد جاهدوا معه حق الجهاد وقد مدحهم الله عز وجل بذلك فقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[5]. فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال عمي أنس بن النضر ـ سُمّيتُ به ـ ولم يشهد بدراً مع رسول الله ﷺ فكَبُر عليه فقال: أوّلُ مشهد شهده رسول الله ﷺ غبتُ عنه! أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد من العام القابل، فاستقبله سعد بن مالك فقال: يا أبا عمرو أين؟ قال: واهاً لريح الجنة! أجدها دون أحد. فقاتل حتى قتل، فوُجِد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت عمتي الرُّبَيِّع بنت النضر: فما عرَفْتُ أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية".[6]

---

(١) شعبة: خصلة من النفاق.

(٢) رواه مسلم رقم: (١٩١٠)، كتاب الإمارة، باب ذم من مات و لم يغزُ.

(٣) سياحة: قال في المصباح المنير (جـ١/٢٩٩): ساح في الأرض يسيح سيحاً، ويقال للماء الجاري: سيح تسمية بالمصدر ويراد بها مفارقة الوطن والأهل والذهاب في الأرض.

(٤) أبو داود، رقم: (٢٤٨٦) وصححه ووافقه الذهبي، انظر: هامش رياض الصالحين، ص: ٥١٤.

(٥) الأحزاب: ٢٣.

(٦) متفق عليه، وهذا لفظ الترمذي والبيهقي.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد، مرّ على مصعب بن عُمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه ودعا له ثم تلا هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[1].

وقد بين الرسول ﷺ في هذا الحديث ــوقد أوتي جوامع الكلمــ أن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وما عدا ذلك فهو ليس في سبيل الله ويصدّق ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه عنه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ: **"إنما الأعمال بالنية وإنما لكلّ امرئ منا نوى: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".**[2]

وقد قال فيما يرويه عنه جابر ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: **"إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم سيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم المرض".** وفي رواية: **"حبسهم العذر".** وفي رواية: **"إلا شاركوكم في الأجر".**[3]

مراتب الجهاد

للجهاد خمس مراتب هي:

١. جهاد النفس.

٢. جهاد الشيطان.

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) متفق عليه، مسلم كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: "إنما الأعمال ..." الرقم العام: (١٩٠٧).

(٣) متفق عليه، البخاري، جـــ٦/٣٤-٣٥، ومسلم رقم: (١٩١١).

٣. جهاد الكفار.

٤. جهاد المنافقين.

٥. جهاد المبتدعة والظلمة وأهل المنكرات.

قال العلامة ابن القيم[1] ــرحمه اللهــ: الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

مراتب جهاد النفس

فجهاد النفس: أربع مراتب أيضاً:

الأولى: أن يجاهدَها على تعلّم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة لها في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدَها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدَها على الدعوة إليه وتعليمه لمن لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى فلا ينفعه علمُهُ ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدَها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين.

فإن السلف مجمعون على أن العالِمَ لا يستحق أن يسمّى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به، ويُعَلِّمَه ويدعو إليه، فمن عَلِم وعلَّمَ فذاك يدعى عظيماً في

---

(١) زاد المعاد، جـ ٢/١٠٦-١٠٧.

ملكوت السموات.

وقال ابن القيم[1]: "وَلَمّا كَانَ جِهَادُ أَعْدَاءِ اللّهِ فِي الْخَارِجِ فَرْعًا عَلَى جِهَادِ الْعَبْدِ نَفْسِهِ فِي ذَاتِ اللهِ كما قَالَ النّبِيّ: **"الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللّهُ عَنْهُ"**[2] كَانَ جِهَادُ النّفْسِ مُقَدّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوّ فِي الْخَارِجِ وَأَصلا لَهُ فَإِنّهُ مَا لَم يُجَاهِد نَفسَهُ أَوّلا لِتَفْعَلَ مَا أُمِرْت بِهِ وَتَتْرُكَ مَا نُهيت عَنْهُ، وَيُحَارِبُهَا فِي اللّهِ، لَمْ يُمْكِنْهُ جِهَادُ عَدُوّهِ فِي الْخَارِجِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ جِهَادُ عَدُوّهِ وَالانْتِصَافُ مِنْهُ، وَعَدُوّهُ الّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَاهِرٌ لَهُ مُتَسَلّطٌ عَلَيْهِ لَمْ يُجَاهِدْهُ وَلَمْ يُحَارِبْهُ فِي اللّهِ؛ بَلْ لا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ إلَى عَدُوّهِ حَتّى يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ.

فَهَذَانِ عَدُوّانِ قَدْ اُمْتُحِنَ الْعَبْدُ بِجِهَادِهِمَا، وَبَيْنَهُمَا عَدْوٌ ثَالِثٌ لا يُمْكِنُهُ جِهَادُهُمَا إلا بِجِهَادِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا يُثَبّطُ الْعَبْدَ عَنْ جِهَادِهِمَا وَيَخْذُلُهُ وَيَرْجُفُ بِهِ وَلا يَزَالُ يُخَيّلُ لَهُ مَا فِي جِهَادِهِمَا مِنْ الْمَشَاقّ وَتَرْكِ الْحُظُوظِ وَفَوْتِ اللّذّاتِ وَالْمُشْتَهَيَات، وَلا يُمْكِنُهُ أَنْ يُجَاهِدَ ذَيْنِكَ الْعَدُوّيْنِ إلا بِجِهَادِهِ فَكَانَ جِهَادُهُ هُوَ الأَصْلُ لِجِهَادِهِمَا وَهُوَ الشّيْطَانُ قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾[3] وَالأَمرُ بِاتّخَاذِهِ عَدْوًا تَنْبِيهٌ عَلَى اسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ فِي مُحَارَبَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ كَأَنّهُ عَدُوّ لا يَفْتُرُ وَلا يُقَصّرُ عَنْ مُحَارَبَةِ الْعَبْدِ عَلَى عَدَدِ الأَنْفَاس".

---

(١) المصدر السابق: ١٠٣-١٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث فضالة برقم: (١٦٢١)، جـ ١٦٥/٤، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) فاطر: ٦.

مراتب جهاد الشَّيْطان

وأما جهاد الشّيْطَانِ فَمَرْتَبَتَانِ:

إحْدَاهُمَا: جِهَادُهُ عَلَى دَفعِ مَا يُلقِي إلَى العَبدِ مِنْ الشّبُهَاتِ وَالشّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الإِيمَانِ.

الثّانيَةُ: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إلَيْهِ مِنْ الإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشّهَوَاتِ فَالْجِهَادُ الأَوّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْيَقِينُ، وَالثّانِي يَكُونُ بَعْدَهُ الصّبْرُ.

وَأَمّا جِهَادُ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ: فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ بِالْقَلْبِ وَاللّسَانِ وَالْمَالِ وَالنّفْسِ وَجِهَادُ الْكُفّارِ أَخُصّ بِالْيَدِ وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَخُصّ بِاللّسَانِ .

وَأَمّا جِهَادُ أَرْبَابِ الظّلْمِ وَالْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ(١): فَثَلاثُ مَرَاتِبَ كذلك بِالْيَدِ واللّسَانِ والقلب.

أفضل الجهاد

أفضل الجهاد هو الجهاد بالنفس.

كما جاء في الحديث: "**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**".(٢)

قال ابن القيم(٣): "ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق، مع شدة المعارض ـ مثلما أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه ـ كان للرسل صلوات الله عليهم وسلامه الحظ الأوفر، وكان لنبينا ـ صلواته الله وسلامه عليه ـ من ذلك أكمله وأتمه".

---

(١) انظر المصدر السابق، ١٠٧.

(٢) النسائي جـ ١٦١/٧، وإسناده صحيح كما قال النووي، وقال محققاً رياض الصالحين: وحسّنه المنذري في الترغيب والترهيب، جـ ١٦٨/٣. ومعنى جائر من الجور أي ظالم.

(٣) زاد المعاد، جـ ١٠٣/٢.

الجهاد الأكبر

أعلى مراتب الجهاد جهاد الكفار ومقاتلة المنافقين، فالمراتب الأخرى كلها الغرض منها التمكين لهذا النوع.

فالجهاد الأكبر إذا هو جهاد الكفار والمنافقين نفاق الاعتقاد وقتالهم بالسيف، وكل مراتب الجهاد الأخرى هدفها والغرض منها أن تهيئ الشخص إلى هذه المرتبة العالية الرفيعة ولذلك وصف هذا الجهاد بأنه ذروة سنام الإسلام كما جاء في الحديث الصحيح.

ومما يدل على علو مرتبته قوله ﷺ: "**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**".[1]

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنّى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**". وفي رواية: **لما يرى من فضل الشهادة**".[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**".[3]

وهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة تدل على عدم ثبوت ما نسب إليه ﷺ: "**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**"، قالوا: "وما الجهاد الأكبر؟

---

(١) رواه مسلم، رقم: (١٩٠٢)، والترمذي، رقم: (١٦٥٩).

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ ٦/٢٥، ومسلم، (١٨٧٧).

(٣) البخاري، جـ ٦/٩-١٠.

قال: "**جهاد القلب**".[1] وفي رواية "**جهاد النفس**" فأي جهاد أكبر من أن يقدم الإنسان نفسه ويجود بها رخيصة في سبيل الله؟ وهل يجاهد الإنسان نفسه وشيطانه إلا ليتمكّن من الوصول إلى هذه المرتبة؟.

والقول بأن جهاد النفس أكبر من جهاد الكفار وقتالهم من أكبر المثبطات عن الجهاد والقتال في سبيل الله الذي إذا تركه المسلمون كتب عليهم الذل والهوان ونزع الرعب من قلوب أعدائهم.

و لم يتمكن الإسلام من إقامة دولته وتشريعاته إلا بعد أن وصل المسلمون إلى هذه المرتبة وجاهدوا أعداءهم وكبتوهم وأدخلوهم في دين الله، فالجهاد في الإسلام ليس جهاداً دفاعياً فقط كما يقول المنهزمون بل أصل الجهاد هو جهاد الطلب.[2]

الجهاد بالنفس، والمال، والكلمة

من فاته الجهاد بالنفس، أو من لم يتمكن من الجهاد بنفسه فعليه أن يعوض عن ذلك بماله إن كان من أصحاب الأموال، وبكلمته إن كان من أصحاب اليراع والبنان، وبلسانه إن كان من أهل اللسان، فكل ميسّر لما خلق له. وقد

---

(١) قال العجلوني في "كشف الخفاء" جـ١/٥١١-٥١٢: قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عُلية. انتهى. وأقول: الحديث في الإحياء، قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر بلفظ: قدم النبي ﷺ من غزاة، فقال ﷺ: "قدمتم من خير مقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر". قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: "مجاهدة العبد هواه". انتهى. والمشهور على الألسنة: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" دون باقيه ففيه اختصار. انتهى.

(٢) وهو جهاد قوى الشر والطغيان التي تحول بين البشر وبين وصول وقبول الإسلام دين الحق والعدل إلى من يليهم.

قال ﷺ: **"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"**.

وكان رسول الله ﷺ يحث حسان بن ثابت رضي الله عنه ـشاعر الرسولـ أن يهجو الكفار ويبين مخازيهم فيقول له: **"اهجُهم وروح القُدُس**[1] **معك"**.

الأدلة على ذلك

• قال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[2].

• وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[3].

• وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[4].

• وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

---

(١) المراد بروح القدس جبريل عليه السلام.

(٢) التوبة: ٤١.

(٣) التوبة: ١١١.

(٤) النساء: ٩٥.

وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [1].

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: أي الناس أفضل؟ قال: **"مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله"**. قال: ثم من؟ قال: **"مؤمن في شِعْب[2] من الشعاب يعبد الله ويَدَعُ الناس من شره"**.[3]

• وعن زيد بن خالد ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **"من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا"**.[4]

• وعن أنس ﷺ أن فتى مِن أَسلَم قال: يا رسول الله! إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهّز به. قال: **ائت فلاناً، فإنه كان قد تجهّز فمرِض"**. فأتاه فقال: إن رسول الله يقرئك السلام ويقول: أعطي الذي تجهزت به. قال: يا فلانة! أعطي الذي كنت أتجهز به، ولا تحبسي عنه شيئاً فوالله لا تحبسي منه شيئاً فيبارك لك فيه".[5]

فرهبانية الإسلام وسياحته إذن هي الجهاد في سبيل الله وما كان سلفنا الصالح من العلماء وغيرهم يفرقون بين العبادة، والبحث العلمي، والدعوة إلى الله، والخروج لقتال الكفار، والدفاع عن عقيدة الإسلام وديار المسلمين.

فقد كان الأئمة الأجلاء أمثال البخاري، وعبد الله بن المبارك، والعز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية ــالذي حارب التتر حين غزوا بلاد

---

(١) الصف: ١٠ – ١٣.

(٢) الشعب: الطريق في الجبل.

(٣) متفق عليه، البخاري، جـ٦/٤، ومسلم، رقم: (١٨٨٨).

(٤) البخاري، جـ٦/٣٧، ومسلم رقم: (١٨٩٥).

(٥) مسلم رقم (١٨٩٤).

الشام_، في أوائل صفوف المقاتلين الغازين والمدافعين، وهم مع ذلك أهل زهد وعبادة وتقشّف بل هم من أوائل الزهاد العبّاد والعلماء الربانيين وأصحاب مال صالحين. وعندما عزم الفضيل بن عياض _رحمه الله_ على المجاورة بمكة كَتَبَ له العالم الرباني، والصديق المخلص الوفي عبد الله بن المبارك، يحرضه على الجهاد والغزو والرباط في سبيل الله وناصحاً له بفعل الأفضل وما فيه خير له ولم يستنكف هو الآخر ويستكبر ولكن قبل نصيحته ودعا له عندما قرأ كتابه الذي أرسله له بمكة وهو عبارة عن هذه الأبيات:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنّك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج[1] السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في ... أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

وعندما وصل الكتاب للفضيل بن عياض قرأه وبكى وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح.[2]

وبهذا نكتفي بما مثلنا للفرائض وننتقل للتمثيل لبعض النوافل.

---

(١) وهج: غبار.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، جـ ٨/٤١٢، ترجمة عبد الله بن المبارك.

د. الإكثار من النوافل

الإكثار من النوافل من سمات عباد الله الصالحين وجنده المخلصين، والنوافل تجبر ما انتقص من الفرائض. فقد جاء في الحديث: "**أول ما يحاسب به العبد بعد موته صلاته، فإن صلحت فقد فاز ونَجَح وإن خسرت فقد خاب وخسر، ثم ينادي المولى ﷻ: هل لعبدي من نوافل؟ ليتمّ بها ما انتقص من صلاته. وهكذا سائر الأعمال** ..."[1] الحديث.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المجال أن أحب العمل إلى الله أدوَمُه وإن قلّ فالديمومة والاستمرار والمحافظة على الأعمال الصالحة هي المطلوبة مهما كان العمل قليلاً أو كثيراً.

فقد روت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فيما يرويه عنها مسروق: قال: سألت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحب إلى النبي ﷺ؟ قالت: الدائم. قال: قلت: في أي حين كان يقوم؟ قالت: كان يقوم إذا سمع الصارخ.[2]

وعن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: "**كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبه**".[3]

والنوافل تشمل:

- الإكثار من تلاوة القرآن الكريم.
- الإكثار من التطوّع بالصلاة والصيام والنفقة ونحوها.

---

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج٢/ ٣٨٦.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل، رقم: (٦٤٦١)، والصارخ الديك.

(٣) البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم: (٦٤٦٢).

- الإكثار من الذكر باللسان.

تلاوة القرآن وتدبّره

القرآن كلام الله وفضل كلام الله على كلام غيره كفضل الله على جميع مخلوقاته. والقرآن أفضل الذكر على الإطلاق وما تقرّب أحدّ إلى الله ﷻ بشيء أحب إليه من كلامه.

قال خبّاب بن الأرتّ لرجل: "تقرب إلى الله تعالى ما استطعت واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه".[1]

وعن أبي أمامة مرفوعاً: "ما تقرب العبد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه"، يعني القرآن.[2]

وقال عثمان ﷺ: "لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله".[3]

وقال ابن مسعود ﷺ: "من أحَبَّ القرآن أحب اللهَ ورسولَه".[4]

فضل تلاوة القرآن

والآثار التي وردت في فضل قراءة القرآن وتلاوته وتدبّره كثيرة جداً نذكر منها ما يسّره الله:

- عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"اقرؤوا القرآن فإنه**

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص: ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه".[1]

• وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه".**[2]

• وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدُمُهم سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما".**[3]

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **"الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفَرَة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق، فله أجران".**[4]

• وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُترُجّة[5]: ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة: لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مرّ".**[6]

• وعن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"إنّ الله**

---

(١) رواه مسلم رقم: (٨٠٤).

(٢) البخاري، جـ٩/٦٦-٦٧، وأبو داود رقم: (١٤٥٢)، والترمذي، رقم: (٢٩٠٩).

(٣) مسلم رقم: (٨٠٥) والترمذي رقم: (٢٨٨٦).

(٤) متفق عليه، البخاري، جـ ٨/٥٣٣، ومسلم رقم: (٧٩٨)، واللفظ له ويتتعتع يتردد في تلاوته.

(٥) الأترجة: نوع من الفاكهة من فصيلة البرتقال.

(٦) متفق عليه، البخاري جـ ٩/٥٨-٥٩، ومسلم رقم: (٧٩٧).

يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين".[1]

• وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"لا حسد**[2] **إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل**[3] **وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار".**[4]

• وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف".**[5]

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **"يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ**[6]**، ورتِّل كما كنتَ ترتِّل في الدنيا، فإن منـــزلتك عند آخر آية تقرؤها".**[7]

الصلاة

أفضل الذكر ــكما جاء في الأثرــ قراءة القرآن في الصلاة، ثم قراءة القرآن خارج الصلاة، ثم الصدقة، ثم الدعاء، والاستغفار.

يستحب للمؤمن الإكثار من النوافل خاصة السنن الرواتب التي كان

---

(١) رواه مسلم رقم: (٨١٧).

(٢) حسد: بمعنى غبطة وتمني ولا يتمنى زوال النعمة عن صاحبه.

(٣) آناء: ساعات.

(٤) البخاري، جـ ٩/٦٥، ومسلم: (٨١٥).

(٥) رواه الترمذي، رقم: (٢٩١٢) وقال: حسن صحيح.

(٦) ارتق: اصعد في درج الجنة.

(٧) رواه أبو داود: (١٤٦٤)، والترمذي، رقم: (٢٩١٥)، وقال: حسن صحيح.

رسول الله ﷺ يحافظ عليهن ويؤديهن قبلَ وعقِبَ الصلوات المكتوبات. مثل ركعتي الفجر والوتر وركعتين قبل الظهر، واثنتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء.

فعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ﵂، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتَي عشرة ركعة تطوّعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة"**. أو **"إلا بُني له بيتٌ في الجنة"**.(١)

وعن ابن عمر ﵁ قال: صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد الجمعة وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء".(٢)

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ "كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وركعتين قبل الغداة".(٣)

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **"ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها"**.(٤)

وعن عبد الله بن مغفل ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **"بين كلّ أذانين**(٥) **صلاة، بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة، قال في الثالثة: لمن شاء"**.(٦)

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم: ١١٩٩.

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ ٣/٤١، ومسلم: (٧٢٩).

(٣) البخاري، جـ٣/٤٨، وأبو داود: (١٢٥٣)، والغداة الصبح.

(٤) مسلم: (٧٢٥).

(٥) المراد بالأذانين: الأذان والإقامة.

(٦) البخاري، جـ ٢/٩١، ومسلم وأبو داود: ١٢٨٣، والترمذي: ١٨٥.

وعن علي ﷺ قال: الوتر ليس بحَتْمٍ كصلاة المكتوبة ولكن سنة رسول الله ﷺ قال: **"إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن"**.[1]

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً"**.[2]

الأفضل أداء النوافل في البيت

ومن السنة أن تؤدى النوافل في البيت الراتبة منها وغير الراتبة، فعن زيد ابن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"صلّوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة"**.[3]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **"اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً"**.[4]

قيام الليل

جاء في الأثر: أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل، أي الذين يقيمون الليل بالصلاة، وقراءة القرآن، والذكر والدعاء، والاستغفار. فيستحب للمؤمن الصالح أن يكون له صلاة بالليل فقد مدح الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾** ﴾[5] وقال

---

(١) أبو داود: (١٤١٦)، والترمذي: (٤٥٣)، وقال: حسن.

(٢) متفق عليه، البخاري جـ٢/٤٠٦، ومسلم رقم: (٧٥١).

(٣) متفق عليه، البخاري جـ ١/٤٤، ومسلم رقم: (٧٧٧).

(٤) متفق عليه، البخاري، جـ ١/٤٤٤، ومسلم، رقم: (٧٧٧).

(٥) السجدة: ١٦.

وجل: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [1].

وقد كان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه وتتفطر وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر[2] قدماه، فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "**أفلا أكون عبداً شكوراً**".[3]

وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ طَرقه[4] وفاطمة ليلاً، فقال: "**ألا تصليان؟!**"[5]

وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: "**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**". قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً".[6]

ومما ورد في فضل لصلاة الليل ما يأتي:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**".[7]
- وصلاة الليل من أسباب دخول الجنة، فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناسُ**

---

(١) الذاريات: ١٧ – ١٨.

(٢) تتفطر: تتشقق.

(٣) متفق عليه، البخاري، جـ ٨/٤٤٩، ومسلم رقم: (٢٨٢٠).

(٤) طرق: أتاهما ليلاً.

(٥) متلفق عليه، البخاري، جـ٣/٩٠٨، ومسلم، رقم: (٧٧٥).

(٦) متفق عليه، البخاري، جـ٣/٥، ومسلم، رقم: (٢٤٧٩).

(٧) مسلم رقم: (١١٦٣).

نيام، تدخلوا الجنة بسلام".[1]

وفي حديث معاذ قال: قلت يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال: **"تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة ... وصلاة الرجل في جوف الليل ...".**[2]

وقال ابن دقيق العيد معلّقاً على هذا الحديث: ثم قال: "وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾، معناه: أن من قام في جوف الليل وترك نومه ولذّته وآثر على ذلك ما يرجوه من ربه فجزاؤه ما في الآية من قوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾. وقد جاء في بعض الأخبار أن الله تعالى يباهي بقوّام الليل في الظلم يقول: **"انظروا إلى عبادي وقد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم أحد غيري، أشهدكم أني قد أبحتهم دار كرامتي".**[3]

- وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل الليل".**[4]

أفضل صلاة الليل

وعلى المرء إذا قام من الليل يصلي أن يطيل القنوت فهو أفضل الصلاة. فعن

---

(١) الترمذي، رقم: (٢٤٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) شرح الاربعين النووية لابن دقيق العيد، ص: ٨٩-٩٠.

(٤) مسلم رقم: (٧٥٧).

جابر ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: "أي الصلاة أفضل؟ قال: **"طول القنوت"**.[1]

صفة صلاة الليل

صفة صلاة الليل مَثنى مَثنَى، فعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"صلاة الليل مثنَى[2] مَثنَى، فإذا خفتَ الصبح فأوتِر بواحدة"**.[3]

وعنه ﷺ قال: كان النبي ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى ويوتر بركعة.

فمن نوى قيام الليل فعليه أن يؤخر الوتر حتى يستيقظ ويصلي ما شاء الله له أن يصلي ثم يجعل آخر صلاته من الليل وتراً، ولكن من خشي ألا يقوم فعليه أن يوتر قبل أن ينام فإذا استيقظ صلى مثنى مثنى ولا يضرّه ما تقدم من وتر.

ويفهم من هذه الأحاديث أن قيام الليل لا يكون بالهمهمات والتمتمات، ولا بالرقص والتواجد، كما يفعل بعض الناس، وإنما يكون بالصلاة وطول القنوت فيها، وهو القيام وبقراءة القرآن وبالدعاء والاستغفار وبالتفكر والاعتبار، والخشوع والادكار. فعن حذيفة ﷺ قال: صليت مع النبي ﷺ ذاتَ ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً[4] إذا مرّ بتعوذ تعوّذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد، فقال: سبحان ربّي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه".[5]

---

(١) المراد بالقنوت القيام في الصلاة فطول القنوت هو طول القيام في الصلاة، والحديث رواه مسلم: (٧٥٦).

(٢) مثنى: ركعتان.

(٣) متفق عليه، البخاري جـ ٢/٣٩٧-٣٩٨، ومسلم رقم: (٧٤٩).

(٤) مترسلاً: متمهلاً.

(٥) رواه مسلم، رقم: (٧٧٢).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: "صليت مع النبي ﷺ ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء، قيل: ما هَمَمتَ؟ قال: هممتُ أن أجلس وأدعه".[1]

الصيام

كثرة الصيام سبب من أسباب زيادة التقوى وكسر الشهوات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[2].

وقد فضل الله الصوم بإضافته إليه فقال ﷻ: **"الصوم لي وأنا أجزي به"**.[3]

قال في "مختصر منهاج القاصدين"[4]: "اعلم أن في الصوم خصيصة ليست لغيره، وهي إضافته إلى الله ﷻ حيث يقول ﷻ[5]: **"الصوم لي وأنا أجزي به"**. وكفى بهذه الإضافة شرفاً، كما شرّف البيت بإضافته إليه في قوله: ﴿ وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ ﴾[6] وإنما فَضُل الصوم لمعنيين:

أحدهما: أنه سرّ وعمل باطن، لا يراه الخلقُ ولا يدخله رياء.

الثاني: أنه قهر لعدوّ الله، لأن وسيلة العدو الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب، وما دامت أرض الشهوات مخصبة، فالشياطين يترددون إلى ذلك المرعى، وبترك الشهوات تضيق عليهم المسالك".

---

(١) متفق عليه، البخاري، جـ ٣/١٥، ومسلم: (٧٧٣).

(٢) البقرة: ١٨٣.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري كتاب التوحيد رقم ٦٩٣٨، ومسلم في الصيام باب فضل الصوم رقم ١٩٤٦.

(٤) ص: ٤٥.

(٥) أي في الحديث القدسي.

(٦) الحج: ٢٦.

وقد جاء في فضل الصوم ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً".**[1]

وليس الغرض من الصوم الكف عن شهوتي البطن والفرج فقط، فكم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش وإنما المراد من الصوم بجانب الكف عن الأكل والشرب حفظ جميع الجوارح عن المحارم ومما يؤذي.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا كان يوم صوم أحدِكم فلا يرفث[2] ولا يصخب، وإن سابّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إنّي صائم".**[3]

وعنه كذلك عن النبي ﷺ: **"من لم يدع قولَ الزورِ والعمَلَ به فليس لله حاجةٌ أن يدَعَ طعامه وشرابه".**[4]

قال الإمام ابن الجوزي[5] ــرحمه اللهــ: "للصوم ثلاث مراتب: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.

فأما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوات. وأما صوم الخصوص فهو كف النظر، واللسان، واليد، والرجل، والسمع، وسائر الجوارح عن الآثام. وأما صوم خصوص الخصوص فهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة، والأفكار المبعدة عن الله تعالى وكفّه عما سوى الله تعالى بالكلية".

---

(١) متفق عليه، البخاري جـ٦/٣٥، ومسلم رقم: (١١٥٣).

(٢) رفث في منطقه رفثاً من باب طلب يرفِثُ بالكسر، لغة: أفحش فيه أو صرّح بما يُكنّ عنه من ذكر النكاح، والرفث النكاح والجماع، انظر المصباح المنير، جـ١/٢٣٢.

(٣) متفق عليه، البخاري، جـ٤/٨٨-٨٩، ومسلم: (١١٥١).

(٤) البخاري، جـ٤/٩٩-١٠٠، وأبو داود: (٢٣٦٢)، والترمذي رقم: (٧٠٧).

(٥) مختصر منهاج القاصدين، ص: ٤٦.

أفضل الشهور والأيام صياماً سوى رمضان

الله ﷻ فضّل بعضّ الرسل على بعض، وبعض العباد على بعض، وبعض البقاع والأماكن على بعض، وبعض الشهور والأيام على بعض، ومن ذلك تفضيله لصيام بعض الشهور والأيام سوى رمضان على غيرها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أفضل الشهور لمن أراد أن يتطوع فيها بالصوم هي:

- **المحرم:** فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرّم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل".**[1]
- **شعبان:** فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان، فإنّه كان يصوم شعبان كلّه. وفي رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلاً.[2]
- **الأشهر الحرم:** وهي رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّم. عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها، أنه أتى النبي ﷺ ثم انطلق فأتاه بعد سنةٍ وقد تغيّرت حاله وهيئته، فقال: يا رسول الله! أما تعرفني؟ قال: **"ومن أنت؟"** قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول. قال: **"فما غيّرك وقد كنت حسن الهيئة؟"** قال: ما أكلت طعاماً منذ فارقتك إلا بليل. فقال رسول الله ﷺ: **"عذَّبت نفسَك".** ثم قال: **"صم شهر الصبر**[3] **ويوماً من كل شهر".** قال: زدني، فإنّ

---

(١) رواه مسلم رقم: (١١٦٣).

(٢) متفق عليه، البخاري جـ٤/١٨٦، ومسلم رقم: (١٧٦).

(٣) شهر الصبر: رمضان.

بي قوةً، قال: **صم يومين**". قال: زِدني، قال: "**صم ثلاثة أيام**"، قال: زدني، قال: "**صم من الحرم واترك**". وقال بأصابعه الثلاثة فضمّها ثم أرسلها".[١]

أفضل الأيام للتطوع بالصيام هي:

- **العشر الأول من ذي الحجة:** فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**". يعني الأيام العشر، قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: "**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**".[٢]
- **يوم عرفة لغير الحاج:** عن أبي قتادة ﷺ، قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ قال: "**يكفر السنة الماضية والباقية**".[٣]
- **صوم يوم عاشوراء:** عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ "صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه".[٤]

ومن السُّنّة أن يصومَ يوماً قبلَه أو يوماً بعدَه، فقد كان ﷺ يحب مخالفة اليهود في آخر الأمر. فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لئن بقيتُ إلى قابلٍ[٥] لأصومَنَّ التاسع**".[٦]

---

(١) رواه أبو داود رقم: (٢٤٢٨)، قال محقق رياض الصالحين، ص: ٤٨٧: وبجيبة قال الذهبي: لا تعرف وباقي رجاله ثقات.

(٢) البخاري، جـ٢/٣٨١-٣٨٣، وأبو داود رقم: (٢٤٣٨)، والترمذي رقم: (٧٥٧).

(٣) مسلم، رقم: (١١٦٢).

(٤) متفق عليه، البخاري، جـ٤/٢١٤-٢١٥، ومسلم: (١١٣٠)، وأبو داود رقم: (٢٤٤٤).

(٥) قابل: عام قابل.

(٦) رواه مسلم، رقم: (١١٣٤).

فعن ابن عباس ﷺ من وجه آخر: **"صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده"**.[1]

• **ستة أيام من شوال:** عن أبي أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"من صام رمضان ثم أتبعه ستّاً من شوال، كان كصيام الدهر"**.[2]

• **يوم الاثنين والخميس:** عن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: **"ذلك يوم وُلِدتُ فيه، ويوم بُعِثتُ، أو أُنزِل عليّ فيه"**.[3]

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **"تُعرَض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يُعرَض عملي وأنا صائم"**.[4]

• **صيام ثلاثة أيام من كل شهر:** يستحب أن تكون الثلاثة البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قَمَري. فعن أبي هريرة ﷺ قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: "صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام".[5]

---

(١) قال الحافظ في الفتح، ٤/٢٤٥: رواه أحمد مرفوعاً.

(٢) رواه مسلم، رقم: (١١٦٤).

(٣) رواه مسلم، رقم: (١١٦٥).

(٤) الترمذي، رقم: (٧٤٧)، وقال: حديث حسن، قال محقق رياض الصالحين ص: ٤٨٩، وفي سنده محمد بن رفاعة بن ثعلبة لم يوثّقه غير ابن حبّان لكن له شاهد بمعناه من حديث أسامة بن زيد عند أبي داود رقم: (٢٤٣٦)، وسنده حسن.

(٥) متفق عليه، البخاري، جـ ٣/٤٧، ومسلم، رقم: (٧٢١)، وأبو داود رقم: (١٤٣٢).

صوم الدَّهر

روى الإمام البخاري بسنده[1] عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: أُخبِر رسولُ الله ﷺ أني أقول: والله لأصومَنَّ النهار ولأقومن الليل ما عِشتُ، فقلتُ له: قد قلتُه بأبي أنت وأمي. قال: **"فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر"**. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. **قال: "فصم يوماً وأفطر يومين"**. قلتُ: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: **"صم يوماً وأفطر يوماً، فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام"**. فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال النبي ﷺ: **"لا أفضل من ذلك"**.

وعنه كذلك: بلغ النبي ﷺ أني أسرد الصوم وأصلّي الليل، فأما أرسل إليّ وأما لقيتُه فقال: **"ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر وتصلي؟ فصم، وأفطر، وقُم، ونَم، فإن لعينك عليك حظاً وإن لنفسك وأهلك عليك حظاً"**. قال: إني لأقوى لذلك. قال: **"فصم صيام داود عليه السلام"**. قال: وكيف؟ قال: **"كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفرّ إذا لاقى"**.[2] قال: من لي بهذه يا نبي الله. قال عطاء: لا أدري كيف ذكر صيام الأبد. قال النبي ﷺ: **"لا صام من صام الأبد"**. مرتين.[3]

---

(١) البخاري كتاب الصوم باب صوم الدهر رقم: (١٩٧٦).

(٢) إذا لاقى العدو في الحرب لا يفرّ من الزحف.

(٣) البخاري، كتاب الصيام، باب حق الأهل في الصوم، رقم: (١٩٧٧)، ومسلم كتاب الصيام باب النهي عن صيام الدهر الرقم العام: (١١٥٩).

مذاهب أهل العلم في صيام الدهر

ذهب أهل العلم[1] في صيام الدهر أو في سرد الصيام أربعة مذاهب وهي:

١. صيام الدهر مستحب لمن قَوِي عليه و لم يفوّت بسببه حقاً، وهذا مذهب الجمهور وحملوا النهي لعبد الله بن عمرو في الحديثين السابقين على أنه خاص به ومن في معناه ممّن يَحدثُ له بسبب مشقة أو يفوِّت عليه حقاً.

٢. صيام الدهر جائز، روي ذلك عن عائشة رضي الله عنها وهو اختيار أبي بكر بن المنذر، وطائفة من أهل العلم.

٣. صيام الدهر مكروه، ذهب إلى ذلك إسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وأهل الظاهر، وابن العربي المالكي.

قال ابن العربي المالكي: ("قوله: "لا صام من صام الأبد" ـالحديثـ إن كان معناه الدعاء فيا ويحَ من أصابه دعاء النبي ﷺ، وإن كان معناه الخبر فيا ويح من أخبر عنه النبي ﷺ أنه لم يصم وإذا لم يصم شرعاً لم يكتب له الثواب لوجوب صدق قوله ﷺ لأنه نفى عنه الصوم وقد نفى عنه الفضل كما تقدم فكيف يطلب الفضل فيما نفاه النبي ﷺ؟).

٤. صيام الدهر حرام، وهذا مذهب ابن حزم الظاهري. قال الحافظ في الفتح[2]: وشذ ابن حزم فقال يحرم.

واستدل من ذهب لتحريم صوم الدهر بما يأتي:

- قال ابن عمرو الشيباني: بلغ عمر أن رجلاً يصوم الدهر، فأتاه وعلاه بالدرة

---

(١) انظر الفتح، ٤/٢٢٢-٢٢٣.

(٢) الفتح، ٤/٢٢٢.

وجعل يقول: "كل يا دهري".[1]

- وروى ابن إسحاق أن عبد الرحمن بن أبي نعيم كان يصوم الدهر فقال عمرو بن ميمون[2]: "لو رأى هذا أصحاب محمد لرجموك".
- وبما رواه أبو موسى مرفوعاً: **"من صام الدهر ضيّقت عليه جهنم وعقد بيده"**.[3]

قال ابن الجوزي[4]: "فأما صوم الدهر كله، ففي إفراد مسلم من حديث أبي قتادة أن عمر ﷺ سأل النبي ﷺ فقال: كيف بمن صام الدهر كله؟ فقال: **"لا صام ولا أفطر"**، أو: **"لم يصم ولم يفطر"**. وهذا محمول على سرد الصوم في الأيام المنهي عن صيامها[5] فأما إذا أفطر يومي العيدين وأيام التشريق فلا بأس بذلك، فقد روي عن هشام بن عروة أن أباه كان يسرد[6] الصوم وكانت عائشة رضي الله عنها تسرد.

وقال أنس بن مالك ﷺ: "سرد أبو طلحة الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين عاماً، واعلم أن من رُزِق فِطنَةً، عَلِم المقصود من الصوم، فحمل نفسَه قدر ما لا يعجزه عما هو أفضل منه".

فقد كان ابن مسعود قليل الصوم، وكان يقول: "إذا صمتُ ضعفت عن الصلاة وأنا اختار الصلاة على الصوم".

---

(١) قال الحافظ في الفتح ٤/٢٢٢: رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال الحافظ في الفتح جـ٤/٢٢٢، أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان وابن خزيمة.

(٤) مختصر منهاج القاصدين، ص: ٤٧/٤٨.

(٥) وهذا تأويل بعيد جداً، قال الحافظ في الفتح جـ٤/٢٢٢: وهذا فيه نظر.

(٦) يصوم دائماً.

وكان بعضهم إذا صام ضعف عن قراءة القرآن، فكان يكثر الفطر حتى يقدر على التلاوة وكل إنسان أعلم بحاله وما يصلحه.

أفضل الصيام صيام داود

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[1]: "واختلف المجيزون لصوم الدهر بالشرط المتقدم ــعلى أن لا يضيّع أو يفوّت حقاًــ هل هو أفضل أو صيام يوم وإفطار يوم أفضل؟ ــكما كان يفعل داود عليه السلامــ. فصرح جماعة من العلماء بأنّ صوم الدهر أفضل لأنه أكثر عملاً فيكون أكثر أجراً، وما كان أكثر أجراً كان أكثر ثواباً وبذلك جزم الغزالي أولاً وقيّده بشرط أن لا يصوم الأيام المنهي عنها، وأن لا يرغب عن السنة بأن يجعل الصوم حِجراً على نفسِه. فإذا أَمِن ذلك فالصوم من أفضل الأعمال، فالاستكثار منه زيادة في الفضل.

وتعقبه ابن دقيق العيد بأن الأعمال متعارضة المصالح والمفاسد مقدار كل منها في الحث والمنع غير متحقق، فزيادة الأجر بزيادة العمل في شيء يعارضه اقتضاء العادة، التقصير في حقوق أخرى يعارضها العمل المذكور، ومقدار الفائت من ذلك مع مقدار الحاصل غير محقق، فالأولى التفويض في حكم الشرع ولما دلّ عليه ظاهر قوله: **"لا أفضل من ذلك"** وقول: **"إنّه أحب الصيام إلى الله"**.

وذهب جماعة منهم المتولي من الشافعية إلى أن صيام داود أفضل وهو ظاهر الحديث؛ بل صريحة ويترجح من حيث المعنى أيضاً بأن صيام الدهر قد يفوّت بعض الحقوق كما تقدم، وبأنّ من اعتاده فإنه لا يكاد يشق عليه بل

---

(١) ٤/٢٢٢-٢٢٣.

تضعف شهوته عن الأكل وتقلّ حاجته إلى الطعام نهاراً ويألف تناوله في الليل بحيث يتجدد له طبع زائد، بخلاف من يصوم يوماً ويفطر يوماً فإنه ينتقل من فطر إلى صوم ومن صوم إلى فطر، وقد نقل بعض أهل العلم أنه أشقّ الصيام، ويأمن مع ذلك غالباً من تفويت الحقوق ... وعلى ذلك يحمل قول ابن مسعود فيما رواه سعيد بن منصور بإسناد صحيح عنه أنه قيل له: إنّك لتُقِلُّ الصوم[1]، فقال: "إني أخاف أن يضعفني عن القراءة، والقراءة أحب إلي من الصيام".

نعم إن فرض أن شخصاً لا يفوته شيء من الأعمال الصالحة بالصيام أصلاً ولا يفوّت حقاً من الحقوق التي خوطب بها لم يبعد أن يكون في حقه أرجح وإلى ذلك أشار ابن خزيمة فترجم: "الدليل على أن صيام داود إنما كان أعدل الصيام وأحبه إلى الله لأن فاعله يؤدي حق نفسه وأهله وزائره أيام فطره بخلاف من يتابع الصوم".

وهذا يشعر بأن من لا يتضرر في نفسه، ولا يفوّت حقاً أن يكون أرجح وعلى هذا فيختلف هذا باختلاف الأشخاص والأحوال: فمن يقتضي حاله الإكثار من الصوم أكثَرَ منه، ومن يقتضي حالُه الإكثار من الإفطار أكثر منه، ومن يقتضي حاله المزج فعله، حتى أن الشخص الواحد قد تختلف عليه الأحوال في ذلك.

وقال ابن عبد البر في كتابه "التمهيد: "كتب العُمَري العابد إلى الإمام مالك ــرحمه اللهــ يحضّه على الانفراد والعمل ويرغبه عن الاجتماع إليه في العمل فكتب إليه مالك: "إن الله تعالى قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فربّ رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم

(١) تصوم قليلاً.

يفتح له في الصيام، وآخر فتح له في الجهاد و لم يفتح له في الصلاة، ونشر العلم وتعليمه من أشرف أعمال البرّ وقد رضيت بما فتح الله ﷻ لي فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبرّ ويجب على كل منّا أن يرضى بما قسم له والسلام".[1]

الأيام المحرَّم صومها

الأيام التي يحرم صومها هي:

- يوم النحر.
- يوم الفطر.
- وأيام التشريق الثلاثة وهي الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من ذي الحجة، إلا أنه رخص للمتمتع والقارن اللذين لم يجدا الهديَ و لم يتمكما من الصيام من قبل في صيامهن.
- يوم عرفة للحاجّ.

والأدلة على ذلك هي:

- روى الإمام البخاري بسنده عن ابن شهاب عن أبي عبيد مولى ابن أزهر قال: "شهدت العيدين مع عمر بن الخطاب ﷺ فقال: هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما، يوم فطركم من صيامكم، واليم الآخر تأكلون فيه من نسككم".
- وعن أبي سعيد ﷺ قال: "نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الفطر

(١) هامش مختصر منهاج القاصدين، ص: ٤٨.

والنحر...".[1]

- عن ابن عمر ﷺ قال: "لم يرَخِّص في أيام التشريق أن يُصَمْنَ إلا لمن لم يجد الهدي".[2]
- وعن ابن عمر ﷺ قال: "الصيام لمن تمتّع بالعمرة إلى الحج إلى يوم عرفة. فإن لم يجد هدياً و لم يصم صام أيام منى".[3]
- وعن نبيشة الهُذَلي يرفعه إلى النبي ﷺ: "أيام التشريق أيام أكل، وشرب"، ومن حديث كعب بن مالك "أيام منى أيام أكل، وشرب".[4]
- وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله في أيام التشريق: "إنها الأيام التي نهى رسول الله ﷺ عن صومهن وأمر بفطرهن".[5]

قال الحافظ في الفتح[6] معلقاً على ترجمة البخاري "باب صيام أيام التشريق": " أَيْ الأَيَّام الَّتِي بَعْد يَوْم النَّحْر، وَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي كَوْنهَا يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَة، وَسُمِّيَت أَيَّام التَّشْرِيق لأَنَّ لُحُومَ الأَضَاحِي تُشَرَّق فِيهَا أَيْ تُنْشَرُ فِي الشَّمْسِ، وَقيلَ لأَنَّ الْهَدْيَ لا يَنْحَرُ حَتَّى تُشْرِقَ الشَّمْسُ، وَقِيلَ لأَنَّ صَلاة العِيد تَقَع عِنْد شُرُوق الشَّمْس، وَقِيلَ التَّشْرِيق التَّكْبِير دُبُرَ كُلّ صَلاة، وَهَل تُلتَحَق بِيَوْمِ النَّحْر فِي تَرْك الصِّيَام كَمَا تُلْتَحَقُ بِهِ فِي النَّحْر وَغَيْره مِنْ أَعْمَال الْحَجّ أَو يَجُوزُ صِيَامُهَا مُطْلَقًا، أَو لِلْمُتَمَتِّعِ خَاصَّةً أَو لَهُ وَلِمَنْ هُوَ فِي مَعْنَاهُ؟ وَفِي كُلّ ذَلِكَ اِخْتِلافٌ لِلْعُلَمَاءِ،

---

(١) البخاري في الصيام، رقم: (١٩٩١).

(٢) البخاري في الصيام، رقم: (١٩٩٧).

(٣) البخاري في الصيام، رقم: (١٩٩٩).

(٤) رواهما مسلم كما قال الحافظ في الفتح، جـ٤/٢٤٢.

(٥) قال الحافظ في الفتح، جـ٤/٢٤٢، أخرجه أبو داود وابن المنذر وصححه ابن خزيمة والحاكم.

(٦) ٤/٢٤٢.

وَالرَّاجِحُ عِندَ الْبُخَارِيِّ جَوَازُهَا لِلْمُتَمَتِّعِ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي الْبَابِ حَدِيثَيْ عَائِشَةَ وَابْن عُمَر فِي جَوَاز ذَلِكَ وَلَمْ يُورِدْ غَيْرَهُما.

وَقَدْ رَوَى اِبْن الْمُنْذِر وَغَيْرُهُ عَنْ الزُّبَيْر بْن الْعَوَّام، وَأَبِي طَلْحَة مِنْ الصَّحَابَة الْجَوَازَ مُطْلَقًا، وَعَنْ عَلِيّ، وَعَبْد اللَّه بْن عَمْرو بن الْعَاصِ الْمَنْعَ مُطْلَقًا وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنْ الشَّافِعِيّ.

وَعَنْ اِبْن عُمَر، وَعَائِشَة، وَعُبَيْد بْن عُمَيْر فِي آخَرِينَ مَنْعُهُ إِلا لِلْمُتَمَتِّعِ الَّذِي لا يَجِد لِلْهَدْيِ، وَهُوَ قَوْل مَالِك وَالشَّافِعِيّ فِي الْقَدِيم.

وَعَن الأَوْزَاعِيِّ وَغَيْره يَصُومهَا أَيْضًا الْمُحْصَرُ وَالْقَارِنُ.

الإنفاق

فضل الإنفاق

من التطوعات والقربات التي يحبها الله ورسوله الإنفاق والبذل والتصدق في سبل الخير المختلفة فقد حث الله ورسوله على الإنفاقِ ووعد بخلفه للمُنفِقِ فقال: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾[1] وقال: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[2].

وقد أخبر ﷻ أن ما عندنا زائل وما عند الله هو المرجى والمؤمل فقال: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[3].

---

(١) سبأ: ٣٩.

(٢) البقرة: ٢٧٢.

(٣) النحل: ٩٦.

وقد وعد الله بمضاعفة الأجر والثواب أضعافاً كثيرة للمنفقين فضرب لذلك مثلاً فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾[1].

قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية[2]: "روي أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حثّ الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاءه عبد الرحمن بأربعة آلاف، فقال: يا رسول الله! كانت ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعيالي أربعة وأربعة آلاف أقرضته لربي. فقال رسول الله ﷺ: **"بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت"**.

وقال عثمان: يا رسول الله! عليّ جهاز من لا جهاز له، فنـــزلت هذه الآية فيهما. وقيل: نزلت في نفقة التطوع. وقيل: نزلت قبل آية الزكاة ثم نسخت بآية الزكاة، ولا حاجة لدعوى النسخ لأن الإنفاق في سبيل الله مندوب إليه في كل وقت. وسبل الخير كثيرة وأعظمها الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

ومما ورد في فضل الإنفاق من السنة ما يأتي:

- عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته[3] في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي**

---

(١) البقرة: ٢٦١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٣/٣٠٣.

(٣) أي بإنفاق منه.

بها ويعلمها".[1]

• وعن عدي بن حاتم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"اتقوا النار ولو بشقّ تمرة".**[2]

• وعن جابر ﷺ قال: "ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا".[3]

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينـــزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنفقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسِكاً تَلَفاً".**[4]

الإنفاق من الطيب

إن الله طيب لا يقبل إلى طيباً، فقد أمر بالإنفاق من الجيد ونهى عن الإنفاق من الرديء فقال ﷻ: ﴿ **لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ**[5] **حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾** ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾** ﴾[7].

---

(١) متفق عليه، البخاري، جـــ١/١٥٢-١٥٣، ومسلم رقم: (٨١٦).

(٢) متفق عليه، البخاري، جـــ٣م٢٢٥، ومسلم، رقم: (١٠١٦).

(٣) متفق عليه، البخاري، جـــ١٠/٣٨١، ومسلم رقم: (٢٣١١).

(٤) متفق عليه، البخاري، جـــ٣/٢٤١، ومسلم رقم: (١٠١٠).

(٥) البِر: قيل هو الجنة أي لن تنالوا ثواب البر حتى تنفقوا مما تحبون، وقيل هو الطاعة أي شرف الدين والتقوى. انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٤/١٣٣.

(٦) آل عمران: ٩٢

(٧) البقرة: ٢٦٧

قال الإمام القرطبي في تفسيره[1]: "قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ ﴾ هذا خطاب لجميع أمة محمد ﷺ. واختلف العلماء في المعنى المراد بالإنفاق هنا، فقال على بن أبي طالب، وعبيدة السلماني، وابن سيرين: "هي الزكاة المفروضة، نهى الناس عن إنفاق الرديء فيها بدل الجيد".

قال ابن عطية: "والظاهر من قول البراء بن عازب، والحسن، وقتادة أن الآية في التطوع، ندبوا إلى ألا يتطوعوا إلا بمختار جيد". والآية تعم الوجهين، لكن صاحب الزكاة تعلق بأنها مأمور بها والأمر على الوجوب، وبأنه نهى عن الرديء وذلك مخصوص بالفرض، وأما التطوع فكما للمرء أن يتطوع بالقليل فكذلك له أن يتطوع بنازل في القدر، ودرهم خير من تمرة.

تمسك أصحاب الندب بأن لفظة "افعل" صالح للندب صلاحيته للفرض، والرديء منهي عنه في النفل كما هو منهي عنه في الفرض، والله أحق من اختير له.

وروى البراء أن رجلا علق قنو حشف[2]، فرآه رسول الله ﷺ فقال: **"بئسما علق"** فنزلت الآية.[3]

وقال: معنى ﴿ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾ من جيد ومختار ﴿ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ قال ابن زيد: "من حلال ما كسبتم".

وقد كان الصحابة والسلف الصالح ينفقون من أطيب مكاسبهم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٣م٣٢٠-٣٢١.

(٢) القنو: العذق وهو عنقود النخلة، الشماريخ مثمرة. والحشف التمر يجف قبل النضج فيكون رديئاً وليس له لحم، هامش الجامع لأحكام القرآن، ٣٢١/٤.

(٣) الترمذي.

قال الإمام القرطبي ــرحمه اللهــ[1]: "روى الأئمة واللفظ للنسائي عن أنس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة: "إن ربنا ليسألنا من أموالنا فأشهدك يا رسول الله أني جعلت أرضي لله". فقال رسول الله ﷺ: **"اجعلها في قرابتك في حسان بن ثابت، وأُبَّي بن كعب"**. وفي الموطأ: "وكانت أحب أمواله إليه بئر حاء[2]، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب".

ثم قال: "ففي هذه الآية دليل على استعمال ظاهر الخطاب وعمومه، فإن الصحابة ﷺ لم يفهموا من فحوى الخطاب حين نزلت الآية غير ذلك. ألا ترى أبا طلحة حين سمع ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ ...﴾ الآية، لم يحتج أن يقف حتى يرد البيان الذي يريد الله أن ينفق منه عباده بآية أخرى أو سنة مبينة لذلك فإنهم يحبون أشياء كثيرة".

وما فعله أبو طلحة فعله كثير[3] من الصحابة، منهم على سبيل المثال لا الحصر: عمر بن الخطاب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن عمر، وغيرهم من السلف.

- فعن مجاهد قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء[4] يوم فتح مدائن كسرى، فقال سعد بن أبي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٤/١٣٢-١٣٣.

(٢) بئر جاء: أرض جيدة وبستان طيب كان لأبي طلحة بالمدينة.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن، ٤/١٣٢-١٣٣.

(٤) جلولاء: قرية قرب خانقين – بالعراق – على سبعة فراسخ منها كانت للمسلمين بها وقعة على الفرس. المصدر السابق.

وقاص: فدعا بها عمر فأعجبته. فقال إن الله ﷻ يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتقها عمر رضي الله عنه.

• وعهد زيد بن حارثة إلى فرس يقال له (سَبَل) وقال: "اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إليَّ من فرسي هذه، فجاء بها إلى النبي ﷺ فقال: هذا في سبيل الله. فقال ﷺ لأسامة بن زيد: **"اقبضه"**. فكأن زيداً وجد من ذلك في نفسه. فقال رسول الله ﷺ: **"إن الله قد قبلها منك"**.

• وأعتق عبد الله بن عمر رضي الله عنه نافعاً مولاه، وكان أعطاه فيه عبد الله بن جعفر ألف دينار. قالت صفية بنت أبي عبيد: "أظنه تأول قول الله ﷻ ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

• وقال الحسن البصري: "إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركوا ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون".[1]

الإمساك عن الإنفاق من المهلكات

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[2].

هذه الآية تحثّ على الإنفاق والبذل والتضحية بالنفس والمال. وروى الإمام البخاري ــرحمه اللهــ في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه في بيان قوله تعالى ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال: نزلت في النفقة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البقرة: ١٩٥.

وروى الترمذي ــرحمه الله في جامعه[1] عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم[2]، فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل المسلمون على صف الروم حتى دخل فيهم رجل، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! يلقي بيديه إلى التهلكة.

فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس! إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أُنزِلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار، لما أعزّ الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعزّ الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، فكانت التهلكة: الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دُفِنَ بأرض الروم".

وقال حذيفة[3] بن اليمان، وابن عباس، وعكرمة، وعطاء، ومجاهد، وجمهور الناس: المعنى ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العَيلَة[4]، فيقول الرجل: ليس عندي ما أنفقه.

قال القرطبي: وإلى هذا المعنى ذهب البخاري إذ لم يذكر غيره.

---

(١) الترمذي رقم: (٢٩٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ج: ٢١٢/٥.

(٢) القسطنطينية.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٣٦٢/٢.

(٤) العيلة: الفقر.

قال ابن عباس: "أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص[1] ولا يقولنّ أحدُكم: لا أجد شيئاً". ونحوه عن السُّدّي: "أنفق ولو عقالاً[2] ولا تلقي بيدك إلى التهلكة فتقول: ليس عندي شيء".

أفضل الصدقة جهد المُقِلّ

لقد مدح الله الصحابة ﷺ بالإيثار[3] وتقديم حاجات الغير وحظوظهم على حاجات أنفسهم وحظوظها. فقال ﷻ مادحا الأنصار ومبيناً لإيثارهم المهاجرين على أنفسهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[4].

قال الإمام القرطبي ــرحمه اللهــ في تفسيره[5] لهذه الآية: "لا خلاف أن الذين تبوءوا الدار هم الأنصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين إليها".

قال ﷻ في مدح أصحاب رسول الله ﷺ كذلك في سورة الدهر: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[6].

---

(١) مِشقَص: نصل عريض أو سهم فيه نصل، يرمى به الوحش، المصباح المنير، جـ١/٣١٩.

(٢) العقال: الحبل يعقل به البعير.

(٣) الإيثار هو: تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، يقال: آثرته بكذا ــأي خصصته به وفضّلته. الجامع لأحكام القرآن، ١١/٢٦، والمصباح المنير، جـ١/٤، مادة أثر.

(٤) الحشر: ٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ١٩/١٢٨.

(٦) الإنسان: ٨.

قال ابن عباس ﷺ في تفسيرها: "على قلّته وحبّهم إياه وشهوتهم له".[1]

أمثلة من إيثار الصحابة والتابعين

• عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود[2] فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلنَ كلهن مثل ذلك ... فقال النبي ﷺ: "من يضيف هذا الليلة؟" فقال رَجُل[3] من الأنصار: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ.

وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: علّليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنَوِّميهم، وإذا دخل ضيفُنا، فأطفئي السراج وأشعريه أنّا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاوِيَين.

فلما أصبح غدا[4] على النبي ﷺ فقال: **"لقد عجب الله من صنيعكما بضيفِكما الليلة"**.[5]

• وعن عائشة رضي الله عنها أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاةٍ لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه؟ فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلتُ. قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيتٍ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٢٨/١٩.

(٢) مجهود: أي أصابني الجهد من شدة الجوع.

(٣) قيل اسم الرجل: أبو متوكل وقيل أبو طلحة الصحابي المعروف، انظر: الجامع لأحكام القرآن، جـ ٢٥/١٨.

(٤) الغدو: المجيء صباحاً والرواح: المجيء ليلاً.

(٥) متفق عليه، البخاري جـ ٩٠/٧-٩١، ومسلم (٢٠٥٤).

أوإنسان ما كان يهدي لنا شاةً وكَفَنَها[1]. فدعتني عائشة فقالت: كلي من هذا، فهذا خير من قُرْصِك".[2]

قال الإمام القرطبي [3] قال علماؤنا: هذا من المال الرابح، والفعل الزاكي، عند الله تعالى يُعَجِّل منه ما شاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عنه، ومن ترك شيئاً لله لم يجد فقده، وعائشة رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين أثنى الله عليهم بأنهم يؤثرون على أنفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة وأن من فعل ذلك فقع وقى شح نفسه فلاحاً لا خسارة بعده".

• وعن نافع أن ابن عمر اشتكى واشتهى عِنَباً، فاشتُرِي له عنقودُ بدرهم، فجاء مسكين فسأل، فقال: أعطوه إياه، فخالف[4] إنسان فاشتراه بدرهم، ثم جاء به إلى ابن عمر، فجاء المسكين فسأل، فقال أعطوه إياه، ثم خالف إنسان فاشتراه بدرهم، ثم جاء به إليه، فأراد السائل أن يرجع فمنع. ولو علم ابن عمر أنه ذلك العنقود ما ذاقه لأنه ما خرج لله لا يعود فيه".[5]

• وقال القرطبي ــرحمه الله[6]: "وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا محمد ابن مطرِّف قال: حدثنا أبو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار أن عمر بن الخطاب ﷺ أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرّة ثم قال

---

(١) كانت عادة بعض العرب إذا سلخوا الخروف غطوه بعجين البرّ وكفّنوه به ثم علقوه في التنور فلا يخرج من ودكه شيء إلا في ذلك الكفن وذلك من طيب الطعام عندهم. انظر الجامع لأحكام القرآن، ٢٦/١٨.

(٢) الموطأ، كتاب الصدقة، باب رقم (٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٢٦/١٨.

(٤) خالف: ذهب بطريق مخالف لطريق السائل. انظر: المصباح جـ ١٧٩/١، مادة خلف.

(٥) ابن حجر في الإصابة، جـ ١٠٨/٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ٢٧/١٨.

للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تلكّأ ساعة في البيت حتى تَنْظُر ماذا يصنع بها. فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: يا جارية! اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل، وتلكّأ في البيت ساعة حتى تنظُر ماذا يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله. وقال: يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، وبيت فلان بكذا، فاطّلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا! ولم يبق في الخرقة إلا ديناران قد جاء بهما إليها. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسرّ بذلك عمر وقال: إنهم إخوة. بعضهم من بعض.

- وعن عائشة رضي الله عنها في إعطاء معاوية إياها، وكان عشرة آلاف تفعل مثل ذلك.[1]

قال الإمام القرطبي[2] معلّقاً على تلك الآثار: "فإن قيل: وردت أخبار صحيحة في النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء، قيل: إنما كُرِه ذلك في حق من لا يوثق منه الصبر على الفقر، وخاف أن يتعرض للمسألة إذا فقد ما ينفقه. فأما الأنصار الذين أثنى الله عليهم بالإيثار على أنفسهم، فلم يكونوا بهذه الصفة، بل كانوا كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾[3]

---

(١) الإصابة لابن حجر، جـ ٨/١٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن.

(٣) البقرة: ١٧٧.

وكان الإيثار فيهم أفضل من الإمساك. والإمساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار. وروي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ بمثل البيضة من الذهب فقال: هذه صدقة، فرماه بها وقال: "**يأتي أحدكم بجميع ما يملك فيتصدق به ثم يعد يتكفف الناس**". والله أعلم.

المنّ[1] والأذى مبطلان للصدقة

لقد نهى الله وحذّر من اتباع الصدقة بالمنّ والأذى وبين أن ذلك محبِط للأجر ومزيل للثواب فقال ﷻ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ** ﴾[2]

فشبّه الله ﷻ المُنفِق الذي يؤذي من أنفق إليهم بمنّه وأذاه بالحجر الصلد الذي كانت تغطيه التربة الخصبة الصالحة للزراعة، ولكن سرعان ما جاءت الأمطار المصحوبة بالرياح فجرّت هذه التربة وتركته صلداً لا فائدة فيه ولا نفع منه.

وقد مدح الله تعالى المؤمنين الصالحين الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ولا يريدون من ذلك جزاء ولا شكوراً بقوله ﷻ: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢** ﴾[3].

---

(١) المنّ: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، وقيل: هو التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه.

(٢) البقرة: ٢٦٤.

(٣) البقرة: ٢٦٢.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيرها[1]: "قيل إنها نزلت في عثمان بن عفان ﷺ. قال عبد الرحمن بن سمرة: جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر رسول الله ﷺ فرأيته ـأي رسول الله ﷺـ يدخل يده فيها ويقلّبها ويقول: **"ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم، اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان"**. وقال أبو سعيد الخُدري: رأيت النبي ﷺ رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول: **"يا رب عثمان إني رضيت عن عثمان فارض عنه"**. فما زال يدعو حتى طلع الفجر فنـــزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ الآية".

قال القرطبي[2]: "لما تقدم في الآية[3] التي قبل ذكر الإنفاق في سبيل الله على العموم بيّن في هذه الآية أن ذلك الحكم والثواب إنما هو لمن لا يتبع إنفاقه منّاً ولا أذى، ولأن المنّ والأذى مبطلان لثواب الصدقة كما أخبر تعالى في الآية[4] بعد هذا، وإنما على المرء أن يريد وجه الله تعالى وثوابه بإنفاقه على المُنفَق عليه ولا يرجو منه شيئاً ولا ينظر من أحواله في حال سوى أن يراعي استحقاقه. قال تعالى: ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾. ومتى أنفق ليريد من المنفَق عليه جزاء بوجه من الوجوه فهذا لم يُرِد وجه الله، فهذا إذا أخلف ظنّه فيه منّ بإنفاقه وآذى.

وكذلك من أنفق مضطراً دافع غرم إما لمانّه للمُنفَق عليه أو لقرينة أخرى من اعتناء معتن فهو لم يرد وجه الله.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٣/٣٠٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) **(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة ...) الآية.**

(٤) **(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ...) الآية.**

وإنما يقبل ما كان عطاؤه لله وأكثر قصده ابتغاء ما عند الله كالذي حُكي عن عمر بن الخطاب ﷺ أن أعرابياً أتاه فقال:

يا عمـــر الخـــير جُزيـــتَ الجنـــة اكـــــسُ بُنَيّـــــاتي وأمَهنّـــــه

وكـــن لنـــا مـــن الزمـــان جنّـــة أقسِـــــم بـــــالله لنفعلنّـــــه

قال عمر: إن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

إذاً أبا حفصٍ لأذهبنّه

قال إذا ذهبت يكون ماذا؟ قال:

تكـــون عـــن حـــالي لتُســـألنه يوم تكـــون الأعطيـــات جُنّـــة

وموقـــــفُ المســـــؤول بينَهنَّـــــه إمـــا إلى نـــار وإمـــا إلى جنـــة

فبكى عمر حتى اخضلّت[1] لحيته ثم قال: "يا غلام! أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره! والله لا أملك غيره".

المنّ من الكبائر

المنّ بالصدقة وبالإنفاق من الكبائر التي توعد الله أصحابه وأن المنّان هو أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم. فعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقّ لوالديه، والمرأة المترَجّلة تتشبّه بالرجال، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمِن الخمر، والمنّان بما يعطي".**[2]

---

(١) اخضلت: ابتلّت.

(٢) النسائي رقم: (٢٥٦٢)، جـ ٥/٨٠-٨١، كتاب الزكاة باب المنان بما أعطى وذكر مسلم منهم المنان برقم: (١٧١) جـ ١/١٠٢، كتاب الإيمان.

الأقارب أولى بالإنفاق من غيرهم

من الأفضل والأحسن لمن كان ذا سعة ويسار أن يتصدق وينفق من ماله عن طيب نفس ورضى، وعليه أن يخصّ أقاربه وذوي رَحِمِه قبل غيرهم خاصة إن كانوا فقراء محتاجين، فقد أمر الله ﷻ بذلك وحثّ عليه رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[1].

وقال عز من قائل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾[2].

الذكر باللسان

المراد بالذكر

ذكر الله ﷻ من أجَلِّ القربات وأعظمها، وذكر الله ﷻ ليس قاصراً على الذكر باللسان، فكل من أطاع الله، باتباع أوامره واجتناب نواهيه فهو من الذاكرين لله، ولو لم تتحرك شفتاه، وكلّ من ترك المحرمات وتنـــزّه عن الشبهات فهو مداوم على ذكر الله.

قال سعيد بن جبير رحمه الله[3]: "الذكر، طاعة الله، من أطاع الله، فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن".

ينبغي للعبد الصالح أن يلهج لسانه بذكر الله في كل وقت وحين، وأن

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) شرح السنة، جـ ٥/١٠.

يواظب بصفة خاصة على الأذكار الراتبة التي كان ﷺ يداوم عليها مثل: أذكار الصباح والمساء، والأذكار والأدعية التي كان يقولها دبر الصلوات المكتوبات، وعند النوم والاستيقاظ، وما كان يقوله ويفعله في جميع المناسبات.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح معلقاً على (باب فضل الذكر): "والمراد بالذكر هنا: الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"، وما يلتحق به من الحوقّلة (لا حول ولا قوة إلا بالله) والبسملة والحسبلة (حسبي الله)، والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيري الدنيا والآخرة ويطلق ذكر الله أيضاً، ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه، كتلاوة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم، والتنفل بالصلاة".[1]

أفضل الذكر

أفضل الذكر ما كان بالقلب واللسان، ثم ما كان بالقلب، وأخيراً ما كان باللسان فقط.

قال الحافظ[2]: "الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالاً، فإن وقع ذلك في عمل صالح منهما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً،

---

(١) الفتح، جـ ١١/٢٠٩.

(٢) المصدر السابق.

وإن صحّح التوجّه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال".

وقال الإمام النووي رحمه الله: "قال القاضي عياض رحمه الله: وذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب وذكر باللسان، والذكر بالقلب نوعان: أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلّها، التفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه ومنه الحديث: **"خير الذكر الخفي"**. والمراد به هذا، والثاني ذكر بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به وينـــزل ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه. وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث".[1]

وقال ابن العربي المالكي رحمه الله في بيان قوله: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾[2]: "اختلف الناس في أيّ العملين أفضل: الفكر أم الصلاة؟ فذهب الصوفية إلى أن التفكر أفضل فإنه يثمر المعرفة، وهو أفضل المقامات الشرعية. وذهب الفقهاء إلى أن الصلاة أفضل، لما ورد في الحديث من الحثّ عليها والدعاء إليها والترغيب فيها.

وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه بات عند خالته ميمونة، وفيه: فقام رسول الله ﷺ فمسح النوم عن وجهه ثم قرأ الآيات العشر الخواتيم من سورة آل عمران، وقام إلى شنٍ[3] معلّقاً فتوضأ وضوءاً خفيفاً، ثم صلّى ثلاث عشرة ركعة ..." الحديث. فانظروا رحمكم الله إلى جمعه بين التفكّر في المخلوقات ثم إقباله على صلاته بعده، وهذه السنة هي التي يعتمد عليها، فأما طريقة الصوفية

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ١٧/١٥.

(٢) آل عمران: ١٩١.

(٣) قربة.

أن يكون الشيخ منهم يوماً وليلة وشهراً مفكراً لا يفتر، فطريقة بعيدة عن الصواب غير لائقة بالبشر ولا مستمرة على السنن".[1]

ما ورد في فضل الذكر والترغيب فيه

لقد حث الله عباده على الذكر والإكثار منه ورغبهم فيه وحضهم عليه في عدد من الآيات منها:

- قوله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[2]. فجعل ذكر العبد لربّه سبباً لذكر الرب له في الملأ الأعلى.
- وقال في سورة الأعراف: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[3]
- وقال عز من قائل: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[4] فجعل كثرة ذكره سبباً لفلاح العبد ونجاحه وفوزه في الدنيا والآخرة.
- وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[5].

أما الأحاديث فقد كان رسول الله ﷺ أفضل الذاكرين وقد حث أمته على الذكر ورغّبهم فيه وشجّعهم عليه بأحاديث كثيرة منها:-

- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"كلمتان خفيفتان على**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٤/٣١٥.

(٢) البقرة: ١٥٢.

(٣) الأعراف: ٢٠٥.

(٤) الجمعة: ١٠.

(٥) الأحزاب: ٤١ – ٤٢.

اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".[1]

• وفي الحديث القدسي الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"قال سبحانه وتعالى: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطِي السائلين".**[2]

• وعندما سئل رسول الله ﷺ عن أفضل ما يتمسك به فقال للسائل: **"لا يزال لسانك رَطِباً من ذكر الله".**[3]

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس".**[4]

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ".**[5]

• وقال: **"من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة حطّت خطاياه،**

---

(١) متفق عليه، البخاري جـ ١١/١٧٥، ومسلم رقم (٢٦٩٤)، والترمذي رقم، (٣٤٦٧)، جـ ٥/٥١٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، والترمذي رقم (٢٩٢٧) جـ ٥/١٨٤ في كتاب فضائل القرآن.

(٣) الترمذي في كتاب الدعاء، باب ما جاء في فضل ذكر الله، رقم (٣٣٧٥)، جـ ٥/٤٥٨، وقال: حسن غريب.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٦٩٥)، كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح.

(٥) متفق عليه، البخاري جـ ١١/١٦٨، ومسلم (٢٦٩١، والترمذي رقم (٣٤٦٤).

وإن كانت مثلَ ربد البحر".[1]

• وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"مثل الذي يذكَرَ ربَّهُ والذي لا يذكر مثل الحي والميّت".**[2]

• وعن أبي عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من لزم الاستغفار جعل الله له من كلّ ضيق مخرجاً، ومن كل همّ فرجاً ورزقه الله من حيث لا يحتسب".**[3]

• وعن شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وارحمني فإنّك أنت الغفور الرحيم. من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة".**[4]

• وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"أولى الناس بي يومَ القيامة أكثرهم عليّ صلاة".**[5]

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"من صلّى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً".**[6]

---

(١) متفق عليه، البخاري جـ ١١/١٧٥، ومسلم رقم: (٧٧٩).

(٢) متفق عليه، البخاري جـ ١١/١٥٩، ومسلم (٢٧٠٤) وأبو داود (١٠٥٦).

(٣) أبو داود رقم: (١٥١٧) جـ ٢م٨٥، والترمذي رقم: (٣٥٧٢). وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم.

(٤) البخاري، جـ ١١/٨٣-٨٤.

(٥) الترمذي جـ ٢/٣٥٤، وابن حبان رقم (٣٣٨٩).

(٦) مسلم رقم (٣٨٤) وأبو داود رقم (١٥٣٠) جـ ٢/٨٨ والترمذي رقم: (٣٨٥).

قال الإمام ابن القيم[1] رحمه الله: "الذكر منشور الولاية الذي من أُعطيَه اتصل، ومن مُنِعه عُزل، وهو قوتُ قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم، التي إذا تعطّلت عنه صارت بوراً. وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منه القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بين العبد وبين علام الغيوب. وبه يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتُهوّن عليهم به المصيبات، إذا أظَلَّهم البلاءُ، فإليه ملجؤهم، وإن نـــزلت بهم النوازل، فإليه مفزعهم. فهو رياض جنّتهم التي فيها يتقلبون. ورؤوسُ أموال سعادتهم التي بها يتجرون يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً. ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكوراً".

وقال ابن القيم[2]: "حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى قريباً من انتصاف النهار، ثم التفتَ إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي أو كلاماً قريباً من هذا. وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنيّة إجماع نفسي وإراحتها لأستعدّ بتلك الراحة لذكر آخر".

موافقة السنّة في الذكر وغيره

مما لا شك فيه أن العبادات توقيفية، لا يجوز الزيادة عليها ولا النقصان منها، وقد أمر الله المؤمنين بالاتباع ونهاهم وحذّرهم من الابتداع في دين الله ما لم ينـــزّل به سلطاناً.

---

(١) تهذيب مدارج السالكين، منـــزلة الذكر، ص: ٤٦٣.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص: ٥٢-٥٣.

ويجب على الأولياء الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه لا يسوغُ لهم ولا لغيرهم اتباع غير سبيل المؤمنين، أو اتباع ما وقع في قلوبهم من الأهواء والمحدثات، فإن فعلوا ذلك فهم أعداء الله وليسوا بأوليائه.

وليعلم أولياء الله قبل غيرهم أن للعبادة شرطا صحّةٍ وقبولٍ هما:

١. الصدق.

٢. وموافقة السنة.

فإذا انتفى أحد هذين الشرطين بطل العمل وذهب الأجر. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[١].

وقال ﷺ: **"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"**.[٢]

وقال فيما روته عنه السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ"**.[٣] وفي رواية لمسلم: **"من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"**.[٤]

الاجتماع على قراءة القرآن في المساجد وغيرها

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا**

---

(١) البينة: ٥.

(٢) متفق عليه، البخاري جـ ١/٧، ومسلم رقم (١٩٠٧) كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية، جـ ٣/١٥١٥.

(٣) ردّ: عمله مردود ولا يقبل منه ولا يثاب عليه.

(٤) متفق عليه، البخاري، جـ ٥/٢٢١، ومسلم (١٧١٨)، كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة.

والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه".[1]

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج معاوية ﷺ على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما أني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنـــزلتي من الرسول ﷺ أقلّ عنه حديثاً مني، وأن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: **"ما أجلسكم؟"** قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا، قال: **"آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟"** قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: **"أما أني لم استحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة".**[2]

• وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده، فقال: **"كلاهما على خير وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلّمون الفقه والعلم ويعلّمون الجاهل فهم أفضل، وإنما بعثتُ معلّماً ثم جلس معهم".**[3]

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر رقم (٢٦٩٩) جـــ ٤/٢٠٧٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، الرقم العام: (٢٧٠١)، جـــ ٤/٢٠٧٥.

(٣) سنن الدارمي، باب فضل العلم والعالم، رقم: ٣٥٥، جـــ ١/٨٤.

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُق، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْر، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: "فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: "يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ.**

قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: "فَيَقُولُونَ لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا.

قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً.

قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنْ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً.

قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيسَ مِنهُم إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَة. قَالَ: هُم الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُم".[1]

• وعن أنس ﷺ يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا مررتم برياض الجنّة**

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، رقم: (٦٤٠٨) واللفظ له. ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر رقم: (٢٦٨٩) جـ٤/٢٠٦.

فارتعوا". قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: "**حِلَقُ الذكر**".[1]

المراد بحلق الذكر

أخذ من مجموع هذه الأحاديث جواز الاجتماع في المساجد وغيرها لقراءة القرآن، ومدارسته، وتعلّم أحكامه، ومدارسة الفقه، والعلوم الشرعية المختلفة.

وقد كره الإمام مالك رحمه الله الاجتماع لقراءة القرآن في المسجد.

قال الإمام النووي[2] معلقاً على قوله ﷺ "**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله** ..." الحديث.

"وفي هذا دليل لفضل الاجتماع عل تلاوة القرآن في المسجد وهو مذهبنا، ومذهب الجمهور، وقال مالك: يكره وتأوّله بعض أصحابه. ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله. ويدل عليه الحديث الذي بعده فإنه مطلق يتناول جميع المواضع ويكون التقييد في الحديث الأول خرج مخرج الغالب لا سيما في ذلك الزمان فلا يكون له مفهوم يعمل به".

وقال مالك[3]: كان سعيد بن أبي هند، ونافع مولى ابن عمر، وموسى ابن ميسرة يجلسون بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ثم يتفرقون، وما يكلّم بعضهم بعضاً اشتغالاً بذكر الله تعالى.

ولم تكن القراءة في المسجد في المصحف من أمر الناس القديم، وأول من أحدثه الحجّاج، وأكره أن يقرأ في المصحف في المسجد.

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٨٣، رقم الحديث (٣٥١٠) جـ٥/٥٣٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ٩/١٧/٢١-٢٢.

(٣) كتاب الجامع في السنن والآداب، ص: ١٦٣-١٦٤.

وقال ابن حجر في الفتح: المراد بمجالس الذكر أنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح، وتكبير، وغيرهما، وعلى تلاوة كتاب الله ﷻ، وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة، وفي دخول قراءة الحديث النبوي ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته والاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظر، والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما وللتلاوة، وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى".

قلت: وفي كلام الحافظ هذا نظر فإن مدارسة العلم والفقه، ومعرفة الحلال والحرام، والبدعة والسنة، من أهم خصائص مجالس الذكر كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] فالمراد بأهل الذكر هم العلماء بدليل ما ختم به الآية: ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

رُوي عن أنس ﷺ أنه قال: **"لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أعتق أربعة من ولد إسماعيل. ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة ".**[2]

وقال هم قوم يتحلقون الحلق ويتعلمون القرآن والفقه.

قال ابن الحاج في المدخل[3]: "هذا تفسير خادم صاحب الشريعة ﷺ فكيف يقابله تفسير متأخري هذا الزمان".

---

(١) النحل: ٤٣.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: ٢٩١٦، وحسنه في صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٦٦٧.

(٣) المدخل جـ ١/٩٢.

ثم قال: "وروي عن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه قال: "لا يزال الفقيه يصلّي، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا تلقاه إلا وذكر الله على لسانه يحل حلالاً ويحرّم حراماً".

قال الطرطوشي رحمه الله: وقد ظفرتُ بهذا المعنى في كتاب الله المهيمن، قال تعالى لهارون وموسى لما بعثهما إلى فرعون: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [1] فسمى تبليغ الرسالة ذكراً. فعلى هذا يتحقق أن حلق العلم وما يتحاورون فيه في العلم ويتراجعون من سؤال وجواب أنها حلق الذكر. وهذا قوله ﷻ: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أهل العلم والفقه. نقل ذلك الطرطوشي رحمه الله في كتاب الذكر له".

السماع[2] ليس بذكر

السماع الذي شرعه الله ﷻ لعباده المتقين وجنده المفلحين هو سماع آي القرآن تلاوة وتدبّراً وحفظاً، والمواظبة على الأذكار الراتبة التي كان النبي ﷺ يحافظ عليها.

ومذاكرة الحديث والاشتغال به وبالعلوم الشرعية، أما ما اعتاده كثير من المسلمين من السماع فهذا ليس بذكر، ولا يقرِّب إلى الله ﷻ، بل يباعد بين العبد وبين ربه.

وقد كان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ عليهم شيئاً من القرآن والباقون يسمعون، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول لأبي

---

(١) طه: ٤٢.

(٢) السماع المنهي عنه هو الذي يكون فيه ضرب بالقضيب على شيء من الأدم (كالنوبة والطار) والذي يكون مصحوباً بالرقص والتواجد والقصائد الشركية ونحو ذلك.

موسى: "يا أبا موسى! ذكِّرنا ربنا". فيقرأ وهم يستمعون.[1]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **"اقرأ عليّ القرآن"** قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزِل؟! فقال: **"إني أحبّ أن أسمعه من غيري"**، فقرأتُ عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾** ﴾ ، قال: **"حسبك"**. فنظرت فإذا عيناه تذرفان".[2]

قال ابن الحاج في المدخل[3] وقد سئل الإمام أبو إبراهيم المزني رحمه الله، وكان من كبار أصحاب الشافعي رحمه الله، فقيل له: ما تقول في الرقص على الطار والشبابة؟ فقال: هذا لا يجوز في الدين. فقال: أما جوّزه الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه؟ فأنشد رحمه الله:

حاشا الإمام الشافعي النبيه ... أن يبتغي غير معاني نبيه
أو يترك السنّة في نسكه ... أو يبتدع في الدين ما ليس فيه
أو يبتدع طاراً وشبّابة ... لناسكٍ في دينه يقتديه
الضرب بالطارات في ليلة ... والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال في الورى ... وليس في التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبي الهدى ... ولا صحابي ولا تابعيه
بل جاهل يلعب في دينه ... قد ضيع العمر بلهو وتيه

---

(١) سنن الدارمي، رقم (٣٤٩٦) جـ ٢/٣٣٩.

(٢) متفق عليه، مسلم في صلاة المسافرين باب فضل استماع القرآن، رقم: (٨٠٠) والبخاري في فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، وأبو داود رقم (٣٦٦٨) في العلم والترمذي في تفسير القرآن رقم (٣٠٢٧) و(٣٠٢٨).

(٣) جـ ٣/١٠٠.

وراح في اللـــهو علـــى رســـله ... وليس يخشـــى المـــوت إذ يعتريـــه
إن ولي الله لا يرتضـــــــــــي ... إلا بمـــا الله لـــه يرتضـــيه
بـــل بصـــيام وقيـــام في الـــدجى ... وآخـــر الليـــل لمســـتغفريه
إيـــاك تغتـــر بأفعـــال مـــن ... لا يعـــرف العلـــم ولا يبتغيـــه
قـــد أكلـــوا الـــدنيا بـــدين لهـــم ... ولبّســـوا الأمـــر علـــى جاهليـــه
جهـــلُ وطـــيشُ فعلـــهم كلـــه ... وكـــلّ مـــن دان بـــه تزدريـــه
شـــبه نســـاء جمعـــوا مأتمـــاً ... فقمـــن بالنـــدب علـــى ميّتيـــه
والضرب في الصدر كما قـــد تـــرى ... ليس لهم غير النساء مـــن شـــبيه
أنكـــر علـــيهم إن تكـــن قـــادراً ... فهم رجال إبليس لا شـــك فيـــه
ولا تخـــف في الله مـــن لائـــم ... وفّقـــك الله لمـــا يرتضـــيه

ثم قال ابن الحاج: وقد تقدم أن من ثبتت عدالته لا ينسب إليه إلا ما يليق بحاله وبطريقته من الخصال الحميدة، فمن ذكر عنه غير ما يناسبه كذِّب فيما ادّعاه وأُنكِر عليه.

ألا ترى أن المزني رحمه الله لما أن باشر الشافعي رحمه الله أنكر على من نسب إليه جواز السماع بما تقدم ذكره.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾[1] ... قال ابن عطية: تعلقت الصوفية في القيام بقوله: ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾. قلت: وهذا تعلق غير صحيح! هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته، وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته ثم

(١) الكهف: ١٤.

هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم، وهذا سنّة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء.

أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام؟ والرقص بالأكمام؟! خاصة في هذه الأزمان، عند سماع الأصوات الحسان من المردان والنسوان، هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء. ثم هذا حرام عند جماعة العلماء".[1]

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله ﷻ: ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ ﴾[2]:

"وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي[3] رحمه الله: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ وأُعلم ـحرس الله مدتهـ أنه اجتمع جماعة من الرجال، فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ﷺ، ثم إنهم يضربون بالقضيب[4] على شيء من الأديم[5]، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه ويحضرون شيئاً يأكلونه. هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا مأجورين، وهذا القول الذي يذكرونه:

يا شيخ كف عـن الـذنوب قبـل التفـرق والزلـل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٣٦٦/١٠.

(٢) طه: ٩١ – ٩٢.

(٣) أبو بكر الطرطوشي: هو محمد بن الوليد الفهري الأندلسي الطُرطُشي الفقيه المالكي الزاهد. كان إماماً عالماً عاملاً ورعاً ديناً متواضعاً متقشفاً متقللاً من الدنيا ولد سنة ٤٥١هـ، وتوفي سنة ٥٢٠هـ، بالإسكندرية ومن أشهر تلاميذه أبو بكر بن العربي المالكي، والطرطوشي نسبة إلى طرطوشة مدينة في آخر بلاد الأندلس، وفيات الأعيان، جـ ٢٦٢/٤.

(٤) القضيب: العود.

(٥) الأديم: الجلد والمراد به ما يعرف بـ(النوبة والطار) في بعض البلاد الإسلامية، وهو الطبل.

واعمـــل لنفســـك صـــالحاً ... مـــا دام يـــدفعك العمـــل
أما الشـــباب فقـــد مضـــى ... ومشيب رأسك قـــد نـــزل

وفي مثل هذا ونحوه.

الجواب: يرحمك الله. مذهب الصوفية بطالة، وجهالة، وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله. وأما الرقص والتواجد فأوّل من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار[1] قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما الضرب على القضيب فأوّل من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان يجلس ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار.

فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم. هذا مذهب مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق".[2]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن تكلم عن تحـــريم الســـماع واستدل لذلك بعدد من الأدلة من الآيات والأحاديث[3]: "وَبِالْجُمْلَةِ قَدْ عُـــرِفَ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْلامِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَشْرَعْ لِصَـــالِحِي أُمَّتِـــهِ وَعُبَّـــادِهِمْ وَزُهَّادِهِمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى اسْتِمَاعِ الأَبْيَاتِ الْمُلَحَّنَةِ مَعَ ضَرْبٍ بِالْكَفِّ أَوْضَرْبٍ

(1) خوار: صوت البقر.

(2) الجامع لأحكام القرآن، جـ ١١/٢٣٧-٢٣٨.

(3) مجموع الفتاوى ج١٠.

بِالْقَضِيبِ أَوْالدُّفِّ. كَمَا لَمْ يُبَح لأَحَدٍ أَن يَخْرُجَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ مِن الْكِتَابِ وَالْحِكْمَة، لا فِي بَاطِنِ الأَمْرِ وَلا فِي ظَاهِرِهِ، وَلا لِعَامِّيٍّ وَلا لِخَاصِّـــيٍّ، وَلَكِن رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَنْوَاعٍ مِنْ اللَّهْوِ فِي الْعُرْسِ وَنَحْوِهِ كَمَا رَخَّصَ لِلنِّسَاءِ أَن يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ فِي الأَعْرَاسِ وَالأَفْرَاحِ. وَأَمَّا الرِّجَالُ عَلَى عَهْدِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَضْرِبُ بِدُفٍّ وَلا يُصَفِّقُ بِكَفٍّ بَلْ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّـــهُ قَـــالَ : **التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ وَالتَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ**"، و"**لَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَـــاءِ بِالرِّجَـــالِ. والمتشبهين مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ**".

ثم قال[1]: وبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ (مَسْأَلَةُ السَّمَاعِ) تَكَلَّمَ كَثِيرٌ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي السَّمَاعِ: هَلْ هُوَ مَحْظُورٌ؟ أَوْ مَكْرُوهٌ؟ أَوْ مُبَاحٌ؟ وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ مُجَرَّدَ رَفْعِ الْحَرَجِ بَلْ مَقْصُودُهُمْ بِذَلِكَ أَنْ يَتَّخِذَ طَرِيقًا إلَى اللَّهِ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ الدِّيَانَات، لِصَلاحِ الْقُلُوب، وَالتَّشْوِيقِ إلَى الْمَحْبُوب، وَالتَّخْوِيفِ مِنْ الْمَرْهُوب وَالتَّحْزِينِ عَلَى فَوَاتِ الْمَطْلُوب، فَتُسْتَنْزَلُ بِهِ الرَّحْمَةُ، وَتُسْتَجْلَبُ بِهِ النِّعْمَةُ، وَتُحَرَّكُ بِهِ مَوَاجِيدُ أَهْلِ الإِيمَانِ، وَتُسْتَجْلَى بِهِ مَشَاهِدُ أَهْلِ الْعِرْفَانِ، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ: إنَّهُ أَفْضَلُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَوْ لِلْخَاصَّةِ مِن سَمَاعِ الْقُرْآنِ مِنْ عِدَّةِ وُجُوهٍ؛ حَتَّى يَجْعَلُونَهُ قُوتًا لِلْقُلُوب وَغِذَاءً لِلأَرْوَاحِ وَحَادِيًا لِلنُّفُوسِ يَحْدُوهَا إلَى السَّيْرِ إلَى اللَّهِ وَيَحُثُّهَا عَلَى الإِقْبَالِ عَلَيْهِ.

وَلِهَذَا يُوجَدُ مَنْ اعْتَادَهُ وَاغْتَذَى بِهِ لا يَحِنُّ إلَى الْقُرْآنِ وَلا يَفْرَحُ بِهِ، وَلا يَجِدُ فِي سَمَاعِ الآيَاتِ كَمَا يَجِدُ فِي سَمَاعِ الأَبْيَاتِ؛ بَلْ إذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ سَمِعُوهُ بِقُلُوب لاهِيَةٍ، وَأَلْسُنٍ لاغِيَةٍ، وَإِذَا سَمِعُوا سَمَاعَ الْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ خَشَعَتْ الأَصْوَاتُ، وَسَكَنَتْ الْحَرَكَاتُ، وَأَصْغَتْ الْقُلُوبُ، وَتَعَاطَتْ الْمَشْرُوبَ.

---

(١) المصدر السابق، ٥٦٧-٥٧٠.

فَمَنْ تَكَلَّمَ فِي هَذَا: هَلْ هُوَ مَكْرُوهٌ أَوْ مُبَاحٌ؟ وَشِبْهِهِ بِمَا كَانَ النِّسَاءُ يُغَنِّينَ بِهِ فِي الأَعْيَادِ وَالأَفْرَاحِ لَمْ يَكُنْ قَدْ اهْتَدَى إِلَى الْفَرْقِ بَيْن طَرِيقِ أَهْلِ الْخَسَارَةِ وَالْفَلاحِ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فِي هَذَا: هَلْ هُوَ مِنْ الدِّينِ؟ وَمِنْ سَمَاعِ الْمُتَّقِينَ؟ وَمِنْ أَحْوَالِ الْمُقَرَّبِينَ؟ وَالْمُقْتَصِدِينَ؟ وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْيَقِينِ؟ وَمِنْ طَرِيقِ الْمُحِبِّينَ الْمَحْبُوبِينَ؟ وَمِنْ أَفْعَالِ السَّالِكِينَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ كَانَ كَلامُهُ فِيهِ مِنْ وَرَاءِ وَرَاءٍ.

ثم قال: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عُنْفُوَانِ الْقُرُونِ الثَّلاثَةِ الْمُفَضَّلَةِ لا بِالْحِجَازِ، وَلا بِالشَّام، وَلا بِالْيَمَن، وَلا مِصْرَ، وَلا الْمَغْرِب، وَلا الْعِرَاق، وَلا خُرَاسَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلاحِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَة، مَنْ يَجْتَمِعُ عَلَى مِثْلِ سَمَاعِ الْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ، لا بِدُفٍّ وَلا بِكَفٍّ، وَلا بِقَضِيب، وَإِنَّمَا أُحدِثَ هَذَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرَ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ فَلَمَّا رَآهُ الأَئِمَّةُ أَنْكَرُوهُ. فَقَالَ: الشَّافِعِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- خَلَّفَتْ بِبَغْدَادَ شَيْئًا أَحْدَثَتْهُ الزَّنَادِقَةُ يُسَمُّونَهُ "التَّغْبِيرَ"[1] يَصُدُّونَ بِهِ النَّاسَ عَنْ الْقُرْآنِ. وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: مَا يُغَبِّرُ إلا الْفَاسِقُ وَمَتَى كَانَ التَّغْبِيرُ؟![2]

وَسُئِلَ عَنْهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فَقَالَ: أَكْرَهُهُ هُوَ مُحْدَثٌ. قِيلَ: أَنَجْلِسُ مَعَهُمْ؟ قَالَ: لا. وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَئِمَّةِ الدِّينِ كَرِهُوهُ وَأَكَابِرُ الشُّيُوخِ الصَّالِحِينَ لَمْ يَحْضُرُوهُ فَلَمْ يَحْضُرْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، وَلا الْفُضَيلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَلا مَعْرُوفٌ الكرخي، وَلا أَبُو سُلَيْمَانَ الداراني، وَلا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحِوَارِيِّ، وَالسَّرِيُّ السقطي وَأَمْثَالُهُمْ. وَالَّذِينَ

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب جـ ٥/٥ مادة (غبر): والمُغَبِّرة قوم يغبِّرون بذكر الله تعالى بدعاء وتضرع كما قال: عبادك المغبرة ... رش علينا المغفرة.

قال الأزهري: وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيراً كأنهم إذا تناشدوه بالألحان طرّبوا فرقصوا. وقال أي الأزهري: وروينا عن الشافعي ﷺ أنه قال: أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا عن ذكر الله وقراءة القرآن.

(٢) يعني مستنكراً له وأنه من المحدثات المنكرات.

حَضَرُوهُ مِنْ الشُّيُوخِ الْمَحْمُودِينَ تَرَكُوهُ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ. وَأَعْيَانُ الْمَشَايِخِ عَابُوا أَهْلَهُ كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ عَبْدُ الْقَادِرِ وَالشَّيْخُ أَبُو الْبَيَانِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ الْمَشَايِخِ.

وَمَا ذَكَرَهُ الشَّافِعِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مِنْ أَنَّهُ مِنْ إحْدَاثِ الزَّنَادِقَةِ كَلامُ إمَامٍ خَبِيرٍ بِأُصُولِ الإِسْلامِ فَإِنَّ هَذَا السَّمَاعَ لَمْ يَرْغَبْ فِيهِ وَيَدعُو إلَيْهِ فِي الأَصْلِ إلا مَنْ هُوَ مُتَّهَمٌ بِالزَّنْدَقَةِ: كَابْنِ الراوندي، وَالْفَارَابِيِّ، وَابْنِ سِينَا، وَأَمْثَالِهِم: كَمَا ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السلمي -فِي مَسْأَلَةِ السَّمَاعِ- عَنْ ابْنِ الراوندي. قَالَ: إنَّهُ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي السَّمَاعِ: فَأَبَاحَهُ قَوْمٌ وَكَرِهَهُ قَوْمٌ. وَأَنَا أُوجِبُهُ -أَوْ قَالَ- وَأَنَا آمُرُ بِهِ. فَخَالَفَ إجْمَاعَ الْعُلَمَاءِ فِي الأَمْرِ بِهِ.

والْفَارَابِيُّ كَانَ بَارِعًا فِي الْغِنَاءِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ "الْمُوسِيقَا" وَلَهُ فِيهِ طَرِيقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْغِنَاءِ وَحِكَايَته مَعَ ابْنِ حَمْدَانَ مَشْهُورَةٌ. لَمَّا ضَرَبَ فَأَبْكَاهُم، ثُمَّ أَضْحَكَهُم، ثُمَّ نَوَّمَهُم، ثُمَّ خَرَجَ".

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله[1]: "ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها من قلّ نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان: فهو قرآن الشيطان. والحجاب الكثيف عن الرحمن ... فلو رأيتهم عند ذاك السماع، وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكلياتهم عليه. وانصبت انصبابة واحدة عليه. فيتمايلون له ولا كتمايل النسوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك وقد خالط خماره النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حميا الكؤوس، فلغير الله، بل

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، جـ ١/٢٢٤-٢٣٥.

للشيطان قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحِيَلِه، وأجلب عليهم برجله وخيله، وخز في صدورهم وخزاً، وأزّهم إلى ضرب الأرض أزّاً، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالدباب ترقص وسيط الديار ... ويا شماتة أعداء الإسلام بالدين، يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، مزامير الشيطان أحبّ إليهم من استماع سور القرآن لو سمع أحدُهم القرآن من أوّله إلى آخره لما حرك ساكناً، ولا أزعج له قاطناً ولا أثار فيه وجداً.

تُلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... لكنه إطراق ساه لاه
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله ما رقصوا لأجل الله
دفٌّ ومزمارٌ ونغمة شادن ... فمتى رأيتَ عبادةً بملاهي؟
ثقل الكتابُ عليهمُ لَمَّا رأوا ... تقييده بأوامرٍ ونواهي
سمعوا له رعداً وبرقاً إذ حوى ... زجراً وتخويفاً بفعل مناهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها، يا ذبحها المتناهي
وأتى السماع موافقاً أغراضها ... فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه

وقال الآخر:

ذهب الرجال وحال دون محالهم ... زمر من الأوباش والأنذال
زعموا بأنهم على آثارهم ... ساروا ولكن سيرة البطال
لبسوا الدلوق مرقعاً وتقشفوا ... كتقشف الأقطاب والأبدال
قطعوا طريق السالكين وغوّروا ... سبل الهدى بجهالة وضلال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى ... وحشوا بواطنهم من الأدغال
إن قلتَ: قال الله قال رسوله ... همزوك همز المنكر المتغالي

أو قلـــت: قـــال الصـــحابة، والأولى ... تبعـــوهم في القـــول والأعمـــال
أو قلـــتَ: قـــال الشـــافعي، وأحمـــد ... وأبـــو حنيفـــة والإمـــام[1] العـــالي
أو قلتَ: قال صـــحابهم مـــن بعـــدهم ... فالكـــلّ عنـــدهم كشـــبه خيـــال
ويقول: قلـــبي قـــال لي، عـــن ســـرّه ... عن سرٍّ سرّي عـــن صـــفا أحـــوالي
عن حضرتي عن فكرتي، عـــن خلـــوتي ... عن شاهدي عن واردي عن حـــالي
عن صَفْو وقتي عن حقيقـــة مشـــهدي ... عن سر ذاتي عـــن صـــفات فعـــالي
دعـــــوى إذا حققتَهـــــا ألفيتـــــها ... ألقـــــابُ زُورٍ، لُفِّقـــــت بمحـــــال
تركـــــوا الشـــــرائع واقتـــــدوا ... بظـــــواهر الجهّـــــال والضـــــلال
جعلوا المـــرا فتحـــاً وألفـــاظ الخنـــا ... شـــطحاً، وصـــالوا صـــولة الإدلال
نبذوا كتـــاب الله خلـــف ظهـــورهم ... نبـــذ المســـافر فضـــلة الآكـــال
جعلـــوا الســـماع مطيـــة لهـــواهم ... وغلـــوا فقـــالوا فيـــه كـــل محـــال
هو طاعـــة، هـــو قربـــة هـــو ســـنّة ... صدقوا لذاك الشيخ ذي الإضـــلال
شـــيخ قـــديم صـــادهم بتحيـــل ... حـــتى أجـــابوا دعـــوة المحتـــال
هجـــروا لـــه القـــرآن والأخبـــار ... والآثار إذ شـــهدت لهـــم بضـــلال
ورأوا سمـــاع الشـــعر أنفـــع للفـــتى ... مـــن أوجـــه ســـبع لهـــم بتـــوال
تـــالله مـــا ظفـــر العـــدو بمثلـــها ... مـــن مثلـــهم وأخيبـــة الآمـــال!
نصب الحبال لهـــم، فلـــم يقعـــوا بهـــا ... فأتى بـــذا الشـــرك المحـــيط الغـــالي
فإذا بهـــم وســـط العـــرين ممزقـــي الأ ... ثـــواب والأديـــان والأحـــوال
لا يسمعون ســـوى الـــذي يهوونـــه ... شـــغلاً بـــه عـــن ســـائر الأشـــغال
ودعـــوا إلى ذات الـــيمين، فأعرضـــوا ... عنـــها وســـار القـــوم ذات شمـــال
خرّوا علـــى القـــرآن عنـــد سماعـــه ... صـــمّاً وعميانـــاً ذوي إهمـــال
وإذا تـــلا القـــاري علـــيهم ســـورة ... فأطالهـــا عـــدوه في الأثقـــال

---

(١) يريد الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

ويقول قائلهم: أَطَلتَ وليس ذا عشرٍ فخفف أنتَ ذو إمهال
حتى إذا قام السماع لديهم خشعت له الأصوات بالإجلال
وامتدّت الأعناق تسمع وحيَ ذا ك الشيخ من متـرنّم قوّال
وتحركت تلك الرؤوس وهزّها طَرَبٌ وأشواق لنيل وصال
فهنالك الأشواق والأشجان وال أحوال لا أهلاً بذي الأحوال
يا أمة لعبت بدين نبيِّها كتلاعب الصبيان في الأوحال
أَشْمَتوا أهل الكتاب بدينكم والله لن يرضوا بذي الأفعال

النهي عن الزيادة في العبادة والذكر ولو في الصورة والكيفية

لما علم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ بأن جماعة يجتمعون في مكان ويذكرون بكيفية معينة يقول لهم أحدهم: قولوا: سبحان الله، والحمد لله، كذا مرة، ويقول: رحم الله من قال كذا وكذا فقال عبد الله لمن أخبره: إذا رأيتهم مجتمعين فأخبرني بهم، فاجتمعوا مرة ودعا هذا الرجل ابن مسعود فذهب ووجدهم يذكرون الله بأذكار صحيحة ولكن بصورة وكيفية محدثة، فقال لهم ابن مسعود: لقد فقتم أصحاب محمد علماً أو لقد جئتم ببدعة ظلماً؟ فقالوا: لم نَفُق أصحاب محمدٍ ولم نرد الابتداع، فنهاهم عن ذلك وقال لهم: لو رأيتكم ثانية لحصبتُكم بالحجارة.

قال الإمام الشاطبي في الاعتصام[1] وهو يتكلم عن ذم الابتداع: "وفي مثل ذلك قال ابن مسعود ﷺ فيما روي عن ابن وضاح: لقد هُديتم لما لم يهتد له نبيكم، وأنكم لتمسكون بذنب ضلالة ـإذ مر بقوم كان رجل يجمعهم يقول:

(١) الاعتصام، جـ ١/٦٣٢.

رحمه الله من قال كذا وكذا مرة (سبحان الله) فيقول القوم، ويقول رحم الله من قال: كذا وكذا مرة (الحمد لله) فيقول القوم".

قال الشيخ محمد رشيد رضا معلقاً على ذلك: والمعنى أنّ ابن مسعود مر برجل يلقّن الناس التسبيح والتحميد بالكيفية التي ذكرها فعدّ ذلك بدعة لأن النبي ﷺ ما كان يلقن أصحابه الذكر بهذه الكيفية، وذلك بأن الصحابة والتابعين لهم كانوا لا يتجاوزون في الدين حدّ الاتباع ولو إلى مستحسن في الرأي، ويعدون من زاد في العبادة على ما ورد ولو في الصورة والكيف مبتدعاً مفضّلاً نفسَه على الشارع، واضعاً نفسَه موضع من اهتدى إلى ما لم يهتد إليه الرسول ﷺ في بيان كتاب الله وتبليغ دين الله.

وهكذا قال مالك لمن سأله من أين يحرم؟ فقال له: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله. فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد، من عند القبر، قال: لا تفعل إني أخشى عليك الفتنة. قال: وأي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها، وقال مالك: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟ أما سمعت الله يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1].

وكان مالك كثيراً ما ينشد:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

وعن الصلت بن بهرام قال: مر ابن مسعود بامرأة معها تسبيح تسبح به فقطعه وألقاه، ثم مر برجل يسبح بحصى فضربه برجله، ثم قال: لقد سبقت!

---

(١) النور: ٦٣.

ركبتم بدعة ظلماً، ولقد غلبتم أصحاب محمد ﷺ علماً". [1]

الذكر بالاسم المفرد والمُضمَر

ورد في السنة أن أفضل الذكر بعد القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وهن من القرآن.

فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"أفضل الكلام بعد القرآن أربع ـوهن من القرآنـ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ..."**[2] وعن أبي ذرّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي كلام أفضل؟ قال: **"ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده"**[3] ونحو ذلك من الأذكار السنية الثابتة الصحيحة.

ولم يرد عنه ﷺ أنه ذكر ربه ولا دعاه إلا بجملة تامة، وكلام مفيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَسْتَحِبَّ مِنْ الذِّكْرِ إلا مَا كَانَ كَلامًا تَامًّا مُفِيدًا مِثْلَ "لا إلَهَ إلا اللَّهُ" وَمِثْلَ "اللَّهُ أَكْبَرُ" وَمِثْلَ "سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ" وَمِثْلَ "لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاَللَّهِ" وَمِثْلَ ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾.

فَأَمَّا "الاسْمُ الْمُفْرَدُ" مُظْهَرًا مِثْلَ: "اللَّهُ" "اللَّهُ" أَوْ "مُضْمَرًا" مِثْلَ "هُوَ" "هُوَ"

---

(١) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ١١٢/١: وسنده إلى الصلت بن بهرام صحيح وهو ثقة من أتباع التابعين.

(٢) قال في مجمع الزوائد جـ ٩١/١٠ قلت: هو في الصحيح غير قوله بعد القرآن وهنّ من القرآن، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه مسلم رقم (٣٧٣١)، كتاب الذكر والتوبة باب فضل سبحان الله وبحمده.

فَهَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ فِي كِتَابٍ وَلا سُنَّةٍ. وَلا هُوَ مَأْثُورٌ أَيْضًا عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ وَلا عَنْ أَعْيَانِ الأُمَّةِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ وَإِنَّمَا لَهِجَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ ضُلالِ الْمُتَأَخِّرِينَ.

وَرُبَّمَا اتَّبَعُوا فِيهِ حَالَ شَيْخٍ مَغْلُوبٍ فِيهِ مِثْلَمَا يُرْوَى عَنْ الشِّبْلِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُ اللَّهُ". فَقِيلَ لَهُ: لِمَ لا تَقُولُ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ؟ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ!!! وَهَذِهِ مِنْ زَلاتِ الشِّبْلِيِّ ... فَإِنَّهُ كَانَ رُبَّمَا يُجَنُّ وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى الْمَارَسْتَانِ[1] وَيَحْلِقُ لِحْيَتَهُ.

ثم قال: "وَرُبَّمَا غَلا بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَجْعَلُوا ذِكْرَ الاسْمِ الْمُفْرَدِ لِلْخَاصَّةِ وَذِكْرَ الْكَلِمَةِ التَّامَّةِ لِلْعَامَّةِ. وَرُبَّمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: "لا إِلَهَ إلا اللَّهُ" لِلْمُؤْمِنِينَ و"اللَّهُ" لِلْعَارِفِينَ و"هُوَ" لِلْمُحَقِّقِينَ. وَرُبَّمَا اقْتَصَرَ أَحَدُهُمْ فِي خَلْوَتِهِ أَوْ فِي جَمَاعَتِهِ عَلَى "اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ" أَوْ عَلَى "هُوَ" أَوْ "يَاهُوَ" أَوْ "لا هُوَ إلا هُوَ".

وَرُبَّمَا ذَكَرَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ فِي الطَّرِيقِ تَعْظِيمَ ذَلِكَ. وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ تَارَةً بِوَجْدٍ وَتَارَةً بِرَأْيٍ وَتَارَةً بِنَقْلٍ مَكْذُوبٍ. كَمَا يَرْوِي بَعْضُهُمْ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقَّنَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ". فَقَالَهَا النَّبِيُّ ﷺ ثَلاثًا. ثُمَّ أَمَرَ عَلِيًّا فَقَالَهَا ثَلاثًا. وَهَذَا حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ.[2]

وقال شيخ الإسلام[3]: "وَأَمَّا مَا يَتَوَهَّمُهُ طَائِفَة مِنْ غَالِطِي الْمُتَعَبِّدِينَ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّ الْمُرَادَ قَوْلُ هَذَا الاسْمِ فَخَطَأٌ وَاضِحٌ؛ وَلَوْ تَدَبَّرُوا مَا قَبْلَ هَذَا تَبَيَّنَ مُرَادُ الآيَةِ ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَالَ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ

(١) المارستان: المصحة.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جـ ١٠/٥٥٧.

(٣) المصدر السابق، ٥٥٧-٥٥٩.

﴿قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ﴾[1]. أَيْ قُل: اللَّهُ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى. فَهَذَا كَلامٌ تَامٌّ وَجُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ حُذِفَ الْخَبَرُ مِنْهَا لِدَلالَةِ السُّؤَالِ عَلَى الْجَوَابِ".

وقال العلامة ابن القيم الجوزية في كتابه "طريق الهجرتين وباب السعادتين"[2] ما نصه: "ذكر بعضهم أن الذكر بالاسم المفرد وهو: الله، الله، أفضل من الذكر بالجملة كقوله: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر" وهذا فاسد مبني على فاسد. فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلاً ولا مفيد شرعاً، ولا هو كلام أصلاً، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة، فلو قال الكافر: الله الله من أول عمره إلى آخره لم يعد مسلماً، فضلاً من أن يكون من جملة الذاكرين، أو يكون أفضل الذاكرين.

وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر، فالذكر بقوله "هو هو" أفضل من الذكر بقولهم: الله الله، وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات".

هـ. الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والرسل والصالحين من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والدعوة إلى الله هي أحسن قول وأفضل عمل يقوم به المسلم.

---

(١) الأنعام: ٩١.

(٢) ص: ٥٩٥.

والدعوة إلى الله ينبغي أن لا تكون قاصرة على أناس معينين، وأشخاص موظفين، وإنما يجب أن يقوم بها كل مسلم حسب ظروفه وطاقته ويتحتم ذلك على أهل العلم خاصة. فمجالات الدعوة كثيرة ومتنوعة، فهي تبدأ بدعوة الأهل، والأقارب، والجيران، والأصحاب، ثم تتّسع لتشمل كل من يمكنك الاتصال بهم والتحدث إليهم. فيوسف الصديق عليه السلام عندما أُودِعَ السجنَ ـظلماً وعدواناً، لم يحل ذلك بينه وبين وظيفته ورسالته وهوايته ـ وهي الدعوة إلى الله فعندما استقر به المقام داخل أسوار السجن ووجد بعض السجناء عاكفين على أصنام لهم يعبدونها من دون الله لم يسكت عن ذلك بل أمرهم ونهاهم فقال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

فينبغي على المسلم الصالح ألا يألو جهداً في الدعوة إلى الله وسط المسلمين بالتبصرة والإرشاد وتعليمهم أمور دينهم، وتبليغهم لغير المسلمين في كل أصقاع الأرض ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

حكم الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله واجبة، قال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ ﴾[2]. قال القرطبي في قوله ﴿منكم﴾ للتبعيض ومعناه أن

(١) يوسف: ٣٩ – ٤٠.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء، وقيل لبيان الجنس، والمعنى لتكونوا كلكم كذلك.[1] والقول الثاني هو الأرجح.

فضل الدعوة إلى الله

ورد في فضل الدعوة إلى الله والحض عليها العديد من الآيات والأحاديث ولو لم يرد في فضلها إلا قوله ﷻ في سورة فصلت لكفاها فضلاً وشرفاً وهو:

• ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

قال القرطبي في تفسيرها[3]: والمعنى أي كلام أحسن من القرآن؟ ومن أحسن قولاً من الداعي إلى الله وطاعته وهو محمد ﷺ؟ وكان الحسن البصري إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه.

وقالت عائشة، وعكرمة، وقيس بن أبي حازم، ومجاهد: نزلت في المؤذنين. ثم قال القرطبي: قلت: وقول ثالث وهو أحسنها، قال الحسن: هذه الآية عامة، في كل من دعا إلى الله وكذا قال قيس بن أبي حازم.

ومما ورد في فضل الدعوة إلى الله كذلك:

• قوله ﷻ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، جـ ٤/١٦٥.

(٢) فصلت: ٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٥/٣٦٠.

أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [1].

فالدعوة إلى الله على بصيرة هي سبيل المؤمنين الصالحين وعباد الله المتقين.

- وقوله ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [2].
- وقوله ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [3].

أما الأحاديث التي وردت عن الداعية الأول إلى الله محمد بن عبد الله ﷺ فكثيرة منها:

- ما رواه أبو مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من دلّ على خير فله أجر فاعله"**.[4]
- وقال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه بعد أن أعطاه الراية: **"انفذ على رسلك حتى تنـــزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"**.[5]
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"**.[6]

---

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٤) رواه مسلم رقم: (١٨٩٣).

(٥) متفق عليه، البخاري، جـ ٥٨/٧، ومسلم (٢٤٠٦).

(٦) مسلم رقم (٢٦٧٤).

كيفية الدعوة إلى الله

كيفية الدعوة إلى الله قد وضّحها وبيّن أسلوبها ومرتكزاتها الأساسية القرآن الكريم، فقال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[2].

قال القرطبي في تفسيرها: "وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف، ولين دون مخاشنة وتعنيف وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكفار، وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي محكمة والله أعلم".

المراد بالحكمة

والمراد بالحكمة الأدلة المقنعة، الواضحة، المبينة، الكاشفة للحق الداحضة للباطل، ولهذا قال بعض المفسرين، المعني بالحكمة القرآن لأن فيه البيان الشافي وإيضاح الحق، وتطلق الحكمة على النبوة، والعلم، والفقه في الدين، والعقل، والسنة، والورع.

وأسلوب الدعوة يختلف من شخص لآخر، فإن كان المدعو فيه جفاء وإعراض دعي بالموعظة الحسنة، يُذَكَّر بالآيات والأحاديث التي فيها ترغيب وترهيب وإن كان المدعو صاحب شبهة جادله الداعية بالحسنى وبيّن له الحجَجَ والبراهين التي تزيل عنه الشكوك.

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) فصلت: ٣٤.

وقد أمر الله ﷻ موسى وهارون بذلك عندما أرسلهما إلى فرعون أوصاهما بقوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1].

وقد مدح الله رسوله محمداً ﷺ بدعوته قومه بالتي هي أحسن وبلين الجانب فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2] وقال ﷻ في مدحه ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [3]. فقد كان رسول الله ﷺ كما وصفه ربه، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثّرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء"[4] وفي رواية: "فإنه ليس بمالك ولا مال أبيك".

أما إذا ظهر من المدعو ظلم وتعدٍّ فلا بد من الإغلاظ عليه فتكون هذه هي الحكمة في هذا الصنف من الناس.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [5] وقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾[6].

---

(١) طه: ٤٤.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) التوبة: ١٢٨.

(٤) متفق عليه، البخاري جـ ١٠/٢٣٤، ومسلم رقم: (١٠٥٧).

(٥) التوبة: ٧٣.

(٦) العنكبوت: ٤٦.

قال مجاهد وسعيد بن جبير في قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ معناه: إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية".[1]

المراد بالدعوة

هدف الدعوة إلى الله يتلخّص في توضيح الإسلام، دين الحق وبيان المراد بتوحيد الله ﷻ في ربوبيته، وألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، ومعرفة حق الرسول ﷺ. ثم بيان الواجبات على المسلم من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك.

غاية الدعوة إلى الله

إخراج الناس من الظلمات إلى النور كما بيّن ذلك الصحابي الجليل ربعي ابن عامر رضي الله عنه لرستم قائد قواد الفرس عندما سأله رستم: ما الذي جاء بكم؟ فقال له ربعي: "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

أخلاق الداعية

ينبغي لمن يشتغل بالدعوة إلى الله أن يتحلّى بكل خلق كريم وأن يبتعد عن كل الرذائل والنقائص، فالدعوة إلى الله كما ذكرنا هي وظيفة الرسل والأنبياء والمصلحين فعلى الداعية أن يتخلّق بأخلاقهم فهم أكمل الخلق وأفضل البشر.

فأوضحت هذه الآية الكيفية والطريقة المثلى التي ينبغي أن يلتزمها الدعاة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٣/٣٥١.

إلى الله. وتتلخص هذه الكيفية في الآتي:

الإخلاص وصدق النية

الإخلاص أساس العمل الصالح فقد قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[1].

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أوامرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".**[2]

العلم

لا تكون الدعوة إلى الله على بصيرة إلا إذا قامت على العلم، فالبصيرة هي العلم فلا دعوة بدون علم، والعلم قائد والعمل تبع له، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾[3]. فقد أمر الله ﷻ بالعلم قبل العمل.

القدوة الحسنة

وهي الالتزام بمبادئ الإسلام في الظاهر والباطن وأن يكون داعياً بعمله، وأخلاقه، وسلوكه قبل أن يدعو بلسانه.

وقد حذّر الله من القول بدون عمل فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا

---

(١) البينة: ٥.

(٢) متفق عليه.

(٣) محمد: ١٩.

لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [1] وقال ﷻ ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [2]

وما أحسن ما قيل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ولا يفهم من ذلك أن الدعوة لا تجب ولا تجوز إلا لمن سلم من العيوب، لا، ولكن ينبغي على الداعية الحرص على الالتزام بما يقول ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. ولو اشترطت العدالة الكاملة في الدعوة إلى الله لتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الحلم والرفق

من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها المؤمن الصالح والداعية الناجح الحلم والرفق والتلطف بمن يدعوهم، قال تعالى ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [3]. وقال ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [4].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**". [5]

وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "**إن الرفق لا يكون في شيء إلا**

---

(١) الصف: ٢.

(٢) البقرة: ٤٤.

(٣) آل عمران: ١٣٤.

(٤) الأعراف: ١٩٩.

(٥) متفق عليه، البخاري جـ ١٠/٣٧٥، رقم (٢١٦٥).

زانه، ولا يُترع من شيء إلا شانه".[1]

الصبر والأناة

ينبغي على الدعاة إلى الله أن يتحلوا بالصبر والأناة وعليهم أن لا يستعجلوا ثمرة أعمالهم، فإن الأمر والهداية بيد الله وحده، وعلى المرء أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح.

قال تعالى موجهاً نبيه ﷺ وأمته من بعده: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[2]. وقال مخبراً عن نوح عليه السلام: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[3].

الجُرأة والشجاعة والصدع بأمر الله

لقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يصدع بأمر الدعوة ولا يجامل فيها فقال ﷻ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾[4].

وعندما طلب كفار قريش من أبي طالب أن يأمر ابن أخيه محمداً ﷺ بالكف عن شتم آلهتهم وتسفيه أحلامهم، أجابه رسول الله ﷺ بقوله: **"والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته..."**.[5]

وكذلك عندما قيل للخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حروب الردة:

---

(١) مسلم رقم: (٢٥٩٤).

(٢) الكهف: ٢٨.

(٣) العنكبوت: ١٤.

(٤) الحجر: ٩٤.

(٥) الروض الأُنُف، جـ ٢/٨.

كيف تقاتل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيم الصلاة؟ فقال: "والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لحاربتهم عليه".

و. الزهد والتقلل من الدنيا

الزهد في الدنيا والتقلّل منها من سمات عباد الله الصالحين وجنده المتقين وقد كان ﷺ أزهد الخلق وكان صحبه الكرام زاهدين فيها متقللين منها متخذين الدنيا مطية للآخرة. فينبغي على من أراد الولاية والفوز والنجاة أن يسلك طريقهم ويقتبس من نورهم فمن سار على الدرب وصل، ومن طلب العلا سهر الليالي.

فضل الزهد في الدنيا والتقلل منها

وردت آيات وأحاديث كثيرة ترغب في الزهد في الدنيا وتحثّ على عدم الاشتغال والإكثار من لذاتها الفانية. فمن الآيات ما يأتي:

- قوله ﷻ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (١).
- وقوله ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى

(١) يونس: ٢٤.

﴿ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[1].

• وقال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[2].

• وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[3].

• وقال ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[4].

أما الأحاديث التي وردت في ذم الدنيا فكثيرة جداً منها:

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**تعس**[5] **عبد الدينار والدرهم والقطيفة**[6] **والخميصة إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض**".[7]

وفي كتاب الجهاد للبخاري: "**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**".[8]

---

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) آل عمران: ١٤.

(٣) التغابن: ١٥.

(٤) هود: ١٥ – ١٦.

(٥) تَعِس: هلك.

(٦) القطيفة: الثوب.

(٧) البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، رقم: (٦٤٣٥).

(٨) انتكس: قال الحافظ: عاوده المرض جـ ١١/٢٥٤، وإذا شيك فلا انتقش أي إذا أصابه شوكة لم يجد من يخرجها بالنقاش، المصدر السابق.

• وعن ابن عباس ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"لو أن لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب".**(١)

• عن كعب بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف، لدينه".**(٢)

• وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء".**(٣)

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، أو عالماً ومتعلّماً".**(٤)

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسُرُّني أن لا تمر عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيئاً أرصده لدين".**(٥)

• وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس".**(٦)

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال، رقم: (٦٤٣٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٧٦) جـ ٤/٥٨٨، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي رقم: (٢٣٢٠)، جـ ٤/٥٦٠، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الترمذي رقم: (٢٣٢٢)، وقال حديث حسن صحيح، جـ ٤/٥٦١.

(٥) البخاري كتاب الرقاق، رقم: (٦٤٤٥).

(٦) البخاري كتاب الرقاق رقم: (٦٤٤٦) ومسلم رقم (١٠٥١).

• عن عمران بن حصين ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"اطلعت في الجنّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطّلعتُ في النار فرأيت أكثر أهلها النساء.** قيل: بم؟ قال: **"بكفرهن"**. قيل: يكفرن بالله؟ قال: **"يكفرن بالإحسان"**.[1] وقال ابن بطال: ليس في هذا الحديث ما يوجب فضل الفقير على الغني وإنما معناه أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك. كما تقول: أكثر أهل الدنيا الفقراء إخباراً عن الحال، وليس الفقر أدخلهم الجنة وإنما دخلوا بصلاحهم مع الفقر، فإن الفقير إذا لم يكن صالحاً لا يفضل".

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "لقد تُوُفِّي النبي ﷺ وما في رفّي من شيء يأكله ذو كَبَد إلا شطر شعير في رفّ لي فأكلتُ منه حتى طال عليّ فكِلْتُه ففنى".[2]

• وعن أسامة بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار".**[3]

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة: يا ابن أختي: إن كنا لننظر إلى الهلال، ثلاثة أهلّة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلتُ: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائح[4]، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من

---

(١) متفق عليه، البخاري في الرقاب رقم: (٦٤٤٩)، ومسلم رقم: (٢٧٣٧).

(٢) البخاري، كتاب الرقاق رقم: (٦٤٥١).

(٣) متفق عليه، البخاري، جـ ٩/٢٦١، ومسلم رقم: (٢٧٣٦).

(٤) منائح: الشاة والناقة.

أبياهم فيستقيناه".[1]

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام برّ ثلاث ليال تباعاً حتى قُبِض".[2]

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: لقد رأيتُ سبعين من أهل الصفّة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء. قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته".[3].

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"اللهم ارزق آل محمد قوتاً[4]"**.[5]

• وعن عبد الله بن محصن الأنصاري الخطيمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من أصبح منكم آمناً في سِرْبِهِ[6]، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها[7]"**.[8]

• وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"قد أفلح من أسلم ورُزِق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه"**.[9]

---

(١) البخاري، في الرقاق، باب كيف كان عيش النبي، رقم: (٦٤٥٩).

(٢) البخاري في الرقاق، باب كيف كان عيش النبي رقم (٦٤٥٤)، واللفظ له ومسلم رقم (٢٩٦٠).

(٣) البخاري، جـ ١/٤٤٧.

(٤) قوتاً: أي ما يسد الرمق.

(٥) متفق عليه، البخاري، كتاب الرقاق رقم: (٦٤٦٠) واللفظ له ومسلم رقم: (١٠٥٥).

(٦) سربه: نفسه وقيل قومه رياض الصالحين، ص: ٢٤٣.

(٧) حذافيرها: يعني الدنيا بأسرها.

(٨) الترمذي، رقم: (٢٣٤٧)، وقال: حديث حسن.

(٩) مسلم، رقم: (١٠٥٤).

• وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! دلّني على عمل إذا عملتُه أحبّني الله وأحبّني الناس، فقال: **"ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس"**.[1]

• وعن ابن عمر ﷺ قال: "أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: **"كن في الدنيا كأنّك غريب، أو عابر سبيل"**.

وكان ابن عمر ﷺ يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".[2]

أيهما أفضل للعبد الفقر، أم الكفاف، أم الغنى؟

ذهب أهل العلم في ذلك ثلاثة مذاهب:

أ. الفقر أفضل من الغنى

وقد استدلّ هذا الفريق بالآيات والأحاديث النبوية السابقة الذكر وبغيرها.

ب. الغنى أفضل

وقد استدل لذلك بما يأتي:

أولاً: من القرآن

• بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[3].

• ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا

---

(١) رواه أهل السنن بأسانيد حسنة.

(٢) البخاري، جـ ١١/٩٩، والترمذي: (٢٣٣٤).

(٣) سبأ: ٣٩.

﴿ تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [1].

- ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [2].
- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [3].
- ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾ [4].
- ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ [5]
- ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [6]
- ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ [7]. وذلك لا يتم إلا بالمال، ولا يكون ثمة إنفاق إلا عن سعة وغنى في الغالب، والله أعلم.

ثانياً: من السنة

- عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا حسد**[8] **إلا في اثنين:**

---

(١) البقرة: ٢٧٢.

(٢) البقرة: ٢٦١.

(٣) الليل: ٥ – ٧.

(٤) الليل: ١٧ – ١٩.

(٥) البقرة: ٢٧١.

(٦) آل عمران: ٩٢.

(٧) الأنفال: ٦٠.

(٨) حسد: هنا بمعنى غبطة وهو أن يتمنى أن يكون مثله ولا يتمنى زوال النعمة عنه.

رجلٌ آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها".[1]

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء..."**[2] الحديث.

• وعن أبي هريرة ﷺ أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب الأهل الدثور[3] بالدرجات العلا، والنعيم المقيم، فقال: **"وما ذاك؟"** فقالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله ﷺ: **"أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكن أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟"** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **"تسبحون، وتحمدون، وتكبّرون دُبرَ كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة"**. فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ: **"ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".**[4]

---

(١) متفق عليه، البخاري، جـ١/١٥٢، ومسلم رقم: (٨١٦).

(٢) رواه الترمذي، رقم (٢٣٢٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وقال محقق رياض الصالحين: ص: ٢٦٢، وأخرجه أحمد في مسنده ٤/٢٣٠-٢٣١، وهو صحيح.

(٣) الدثور: الأموال الكثيرة، هامش رياض الصالحين، ص: ٢٧٠.

(٤) متفق عليه، واللفظ لمسلم رقم (٥٩٥) والبخاري جـ ٢/١٧٠.

قال الحافظ في الفتح[1] معلقاً على هذا الحديث: "قال ابن بطال عن المهلب: في هذا الحديث فضل الغنى نصاً لا تأويلاً إذا استوت أعمال الغنى والفقير فيما افترض الله عليهما فللغنى حينئذ فضل عمل البر من الصدقة ونحوها مما لا سبيل للفقير إليه".

• وعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: "**إن المكثرين هم المقلّون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيراً فنفح فيه بيمينه، وشماله، وبين يديه، ووراءه، وعمل فيه خيراً**".[2]

• وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها ـأي سعدـ قال: يرحم الله ابن عفراء. قلت: يا رسول الله! أوصي بمالي كله؟ قال: "**لا**". قلت: فالشطر؟ قال: "**لا**". قلت: فالثلث؟ قال: "**الثلث والثلث كثير، إنك أن تدع ذريتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة**[3] **يتكففون الناس في أيديهم، وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك، وعسى الله أن يرفعك فينفع بك ناس ويضر بك آخرون**". ولم يكن له يومئذ إلا ابنة.[4]

• وقد قال رسول الله ﷺ لكعب بن مالك ﷺ لّما نزلت توبته واستشار الرسول ﷺ في التصدق بجميع ماله: "**امسك عليك بعض مالك فهو خير**

---

(١) جـ ٢/٣٣٠.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق باب: "المكثرون هم المقلون"، رقم: (٦٤٤٣).

(٣) عالة: فقراء محتاجون.

(٤) البخاري، كتاب الوصايا باب أن يترك ورثته اغنياء خير من أن يتكففوا الناس، رقم: (٢٧٤٢).

لك".[1]

• وقد قال ﷺ لعمرو بن العاص عندما أراد أن يبعثه على بعث: **"نعم المال الصالح للرجل الصالح".**[2]

• روى الإمام البخاري رحمه الله بسنده في صحيحه[3]: أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم[4] وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: آلستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: **"من حفر بئر رومة فله الجنة"** فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: **"من جهز جيش العسرة فله الجنّة"** فجهزتها؟ قال: فصدقوه بما قال".

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[5]: "روى البغوي في "الصحابة" من طريق بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال: "لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها (رُومة) وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له النبي ﷺ: **"تبيعنيها بعين في الجنة؟"** فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها. فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: **"نعم"**، قال ـأي عثمانـ: قد جعلتها للمسلمين".

• قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى[6]: **﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي**

---

(١) متفق عليه، البخاري كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، رقم: (٤٤١٨).

(٢) رواه مسلم.

(٣) كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً رقم: (٢٧٧٨).

(٤) المحاصرين لبيته.

(٥) جـ ٥/٤٠٧-٤٠٨.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، جـ ٣/٣٠٣.

سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ ... ﴾[1]: روي أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، وذلك أن رسول الله لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاءه عبد الرحمن بأربعة آلاف فقال: يا رسول الله كانت ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعيالي أربعة آلاف وأربعة آلاف أقرضتها لربّي. فقال رسول الله ﷺ: **"بارك الله فيما أمسكت وفيما أعطيت"**.

وقال عثمان: "يا رسول الله! عليَّ جهاز من لا جهاز له". وعند الترمذي: فقيل: "جهزهم بثلثمائة بعير"[2] ولأحمد: أنه جاء بألف دينار في ثوبه فصبها في حجر النبي ﷺ، حيث جهز الجيش العسرة فقال: ما ضر عثمان من عمل بعد اليوم".[3]

- وروى البخاري في صحيحه: **"الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر"**.[4]

وقال ابن بطّال[5]: "هذا من تفضل الله على عباده أن جعل الطاعم إذا شكر ربه على ما أنعم عليه ثواب الصائم الصابر".

- وعن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول النبي ﷺ يقول: "إن الله يحب العبد الغني التقي الخفي".[6]
- وعن أبي وائل قال: حدثنا خبّاب فقال: هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه

---

(١) البقرة: ٢٦١.

(٢) انظر الفتح، جـ ٥/٤٠٨.

(٣) الفتح، جـ ٥/٤٠٨.

(٤) البخاري، كتاب الأطعمة تعليقاً في باب الطاعم الشاكر.

(٥) الفتح، جـ ٩/٥٨٣.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم الحديث العام: (٢٩٦٥)، جـ ٢٢٧٧.

الله، فوقع أجرنا على الله تعالى، فمنّا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قُتِل يوم أحد وترك نمرة، فإذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا النبي ﷺ أن نغطّي رأسه ونجعل على رجليه من الإذخر ومنّا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها".[1]

- ودعا النبي ﷺ لأنس وكان في آخر دعائه: **"اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيه"**.
- ومما يدل على حفظ الأموال ومراعاتها إباحة القتال دونها وعليها قال ﷺ: **"من قتل دون ماله فهو شهيد"**.
- وجاء في الأثر: "كاد الفقر أن يكون كفراً".[2]

ج. الكفاف[3] أفضل

واستدل هؤلاء بما يأتي:

- بقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾** ﴾[4].
- وقوله ﷺ عند الترمذي: **"اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً"**.
- ويحمل على ذلك قوله ﷺ: **"أسألك غناي وغنى هؤلاء"**.

---

(١) البخاري في الرقائق، رقم: (٦٤٤٨).

(٢) قال في كشف الخفا، جـ ١٠٧/٢: ورواه أحمد بن منيع عن الحسن أو أنس مرفوعاً بزيادة وكاد الحسد أن يسبق القدر.

(٣) الكفاف: الكفاية بلا زيادة ولا نقصان.

(٤) الإسراء: ٢٩

- وعن أبي هريرة ﷺ: **"وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس"**.[1]
- وقوله ﷺ: **"اللهم إني أعوذ بك من غنى مطغٍ وفقر منس"**.
- وثبت عنه ﷺ أنه كان **يستعيذ بالله من شر فتنة الفقر ومن شر فتنة الغنى"**.
- وروي عنه ﷺ أنه قال: **"اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً"**.[2]

قال الإمام القرطبي[3] رحمه الله: ذهب العلماء في هذه المسألة أيها أفضل الفقر أم الغنى أم الكفاف؟ على خمسة أقوال:

١. الفقر.
٢. الغنى.
٣. الكفاف.
٤. يختلف باختلاف الأشخاص.
٥. التوقف.

قال ابن دقيق العيد[4] معلقا على حديث **"ذهب أهل الدثور بالأجور..."**: "ظاهر الحديث القريب من النص أنه فضّل الغنى، وبعض الناس تأوله بتأويل مستكره[5] قال: والذي يقتضيه النظر إذا تساويا وانفرد كل منهما بمصلحة ما هو فيه أيهما أفضل؟ إن فسر الفضل بزيادة الثواب، فالقياس يقتضي

---

(١) روا مسلم.

(٢) قال الحافظ في الفتح، جـ ١١/٢٧٤، ورواه الترمذي وهو ضعيف، وعلى تقدير ثبوته ألا يجاوز به الكفاف.

(٣) الفتح، جـ ٢/٣٣٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) وهو أن الثواب لا بالذكر ولا بالصدقة وإنما هو بفضل الله، المصدر السابق.

أن المصالح المتعدّية أفضل من القاصرة فيترجح الغنى، وإن فسر بالأشرف بالنسبة إلى صفات النفس فالذي يحصل لها من التطهير بسبب الفقر أشرف فيترجح الفقر".

وقال الحافظ في الفتح[1] "وقد تكلم ابن بطال معلّقاً على مسألة التفضيل بين الغنى والفقر، فقال: طال نزاع الناس في ذلك، فمنهم من فضل الفقر واحتج بأحاديث الباب وغيرها من الصحيح، والواهي واحتج من فضل الغنى بما تقدم: "إن المكثرين هم الأقلون ..."، وغيره، ثم ذكر كلاماً حاصله أن الفقير والغني متقابلان لما يعرض لكل منهما في فقره وغناه من العوارض فيمدح أو يذم والفضل كله في الكفاف".

وقال الحافظ: "وممن جنح لتفضيل الكفاف القرطبي[2] في "المفهم"[3] فقال: "جمع الله ﷻ لنبيه الحالات الثلاث: الفقر والغنى والكفاف، فكان الأول أول حالاته فقام بواجب ذلك من مجاهدة النفس، ثم فتحت عليه الفتوح فصار بذلك في حد الأغنياء فقام بواجب ذلك من بذله لمستحقه والمواساة به والإيثار مع اقتصاره منه على ما يسدّ ضرورة عياله، وهي صورة الكفاف التي مات عليها. قال: وهي حالة سليمة من الغنى المطغي والفقر المؤلم، وأيضاً فصاحبها معدود في الفقراء لأنه لا يترفه في طيبات الدنيا، بل يجاهد نفسه في الصبر عن القدر الزائد على الكفاف فلم يفته من حال الفقر إلا السلامة من قهر الحاجة وذل المسألة". انتهى.

---

(١) جـ ١١/٢٧٤-٢٧٦.

(٢) هو أبو العباس، شيخ الإمام القرطبي صاحب التفسير.

(٣) "المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم"، لأبي العباس القرطبي، شيخ القرطبي صاحب التفسير.

وقال ابن الجوزي: "صورة الاختلاف في فقير ليس بحريص، وغني ليس بممسك إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغنى البخيل، وأن الغني المنفق أفضل من الفقير الحريص، وقال: وكل ما يراد لغيره ولا يراد لعينه ينبغي أن يضاف إلى مقصوده فيه ليظهر فضله فالمال ليس محذوراً لعينه بل لكونه قد يعوق عن الله وكذا العكس، فكم من غني لا يشغله غناه عن الله، وكم من فقير شغله فقره عن الله. إلى أن قال: وإن أخذت بالأكثر فالفقير عن الخطر أبعد لأن فتنة الغنى أشد من فتنة الفقر، ومن العصمة أن لا تجد". انتهى.

وقال الحافظ: "وصرح كثير من الشافعية بأن الغني الشاكر أفضل وأما قول أبي علي الدقاق شيخ أبي القاسم القشيري: الغنِيُّ أفضل من الفقير لأنّ الغنى صفة الخالق والفقر صفة المخلوق وصفة الخالق أفضل من صفة المخلوق، فقد استحسنه جماعة من الكبار، وفيه نظر".

ثم قال الحافظ: "ودعوى أن جمهور الصحابة كانوا على التقلل والزهد ممنوعة بالمشهور من أحوالهم، فإنهم كانوا على قسمين بعد أن فُتِحت عليهم الفتوح، فمنهم من أبقى ما في يده مع التقرب إلى ربه بالبرّ والصلة والمواساة مع الاتصاف بغنى النفس، ومنهم من استمر على ما كان عليه قبل ذلك فكان لا يبقي شيئاً مما فتح عليه به وهم قليل بالنسبة للطائفة الأخرى ومن تبَحّر في سِيَر السلف عَلِم صحة ذلك فأخبارهم في ذلك لا تحصى كثرة".

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى[1] ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾[2]: "لما أمر الله تعالى بالكتابة والإشهاد وأخذ الرهان

(١) الجامع لأحكام القرآن، جـ ٣/٤١٧-٤٢٠.

(٢) البقرة: ٢٨٣.

كان ذلك نصاً قاطعاً على مراعاة حفظ الأموال وتنميتها، وردّاً على الجهلة المتصوفة ورعاعها الذين لا يرون ذلك، فيخرجون عن جميع أموالهم ولا يتركون كفاية لأنفسهم وعيالهم، ثم إذا احتاج وافتقر عياله فهو إما يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم، أو يأخذ من أرباب الدنيا وظلمتهم، وهذا الفعل مذموم منهيّ عنه".

قال أبو الفرج ابن الجوزي: "ولست أعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم، إنما أتعجب من أقوام لهم علم وعقل كيف حثّوا على هذا، وأمروا به مع مضادته للشرع والعقل. فذكر المحاسبي في هذا كلاماً كثيراً وشيده أبو حامد ـالغزاليـ الطوسي ونصره. والحارث عندي أعذر من أبي حامد، لأن أبا حامد كان أفقه، غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه.

قال المحاسبي في كلام طويل له: "وقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنما نخاف على عبد الرحمن فيما ترك، فقال كعب ـالأحبارـ: سبحان الله! وما تخافون على عبد الرحمن؟ كسب طيباً وأنفق طيباً وترك طيباً. فبلغ ذلك أبا ذر، فخرج مغضباً يريد كعباً، فمر بلحى[1] بعير فأخذه بيده، ثم أنطلق يطلب كعبا، فقيل لكعب: إن أبا ذر يطلبك.

فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر. فأقبل أبو ذر يقص الاثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر، فقال له أبو ذر: "يا ابن اليهودية، تزعم

(١) اللحى: عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان، هامش الجامع لأحكام القرآن، جـ ٣/٤١٧.

ألا بأس بما تركه عبد الرحمن! لقد خرج رسول الله ﷺ يوما فقال: "**الأكثرون هم الاقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا**".

قال المحاسبى: فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف في عرصة يوم القيامة بسبب ما كسبه من حلال، للتعفف وصنائع المعروف فيمنع السعي إلى الجنة مع الفقراء وصار يحبو في آثارهم حبواً، إلى غير ذلك من كلامه. ذكره أبو حامد[1] وشيده وقواه بحديث ثعلبة، وأنه أعطى المال فمنع الزكاة. قال أبو حامد: فمن راقب أحوال الانبياء والاولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده، وإن صرف إلى الخيرات، إذ أقل ما فيه اشتغال الهمة بإصلاحه عن ذكر الله. فينبغي للمريد أن يخرج عن ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته، فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله تعالى.

قال ابن الجوزى: وهذا كله خلاف الشرع والعقل، وسوء فهم المراد بالمال، وقد شرفه الله وعظم قدره وأمر بحفظه، إذ جعله قواما للآدمي وما جعل قواما للآدمي الشريف فهو شريف، فقال تعالى: ﴿ **وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا** ﴾[2] ونهى ﷻ أن يسلم المال إلى غير رشيد فقال: ﴿ **فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ** ﴾[3]

ثم ذكر بعض الأحاديث التي تدل على فضل المال ثم قال: وهي على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة، وأن حبسه ينافى التوكل، ولا ينكر أنه يخاف من فتنته، وأن خلقا كثيرا اجتنبوه لخوف ذلك،

---

(١) في إحياء علوم الدين.

(٢) النساء: ٥.

(٣) النساء: ٦.

وأن جمعه من وجهه ليعز، وأن سلامة القلب من الافتتان به تقل، واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر، فلهذا خيف فتنته.

فأما كسب المال فإن من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لابد منه وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظر في مقصوده، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته، وادخر لحوادث زمانه وزمانهم، وقصد التوسعة على الاخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده، وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات.

وقد كانت نيات خلق كثير من الصحابة في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم بجمعه، فحرصوا عليه وسألوا زيادته.

ولما أقطع النبي ﷺ الزبير حضر[1] فرسه أجرى الفرس حتى قام ثم رمى سوطه، فقال: "**أعطوه حيث بلغ سوطه** ". وكان سعد بن عبادة يقول في دعائه: "اللهم وسع عليَّ". وقال إخوة يوسف: "**ونزداد كيل بعير**". وقال شعيب لموسى: "**فإن أتممت عشراً فمن عندك**". وإن أيوب لما عوفي نثر عليه رجل[2] من جراد من ذهب، فأخذ يحثي في ثوبه ويستكثر منه، فقيل له: أما شبعت ؟ فقال: يا رب فقير يشبع من فضلك؟. وهذا أمر مركوز في الطباع.

وأما كلام المحاسبى فخطأ يدل على الجهل بالعلم، وما ذكره من حديث كعب وأبى ذر فمحال، من وضع الجهال وخفيت عدم صحته عنه للحوقه بالقوم.

---

(١) الحضر والإحضار: ارتفاع الفرس في عدوه.

(٢) الرجل: القطعة العظيمة من الجراد.

وقد روى بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت، لان في سنده ابن لهيعة وهو مطعون فيه. قال يحيى: لا يحتج بحديثه. والصحيح في التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين، وعبد الرحمن بن عوف توفى سنة اثنتين وثلاثين، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين.

ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع، ثم كيف تقول الصحابة: إنا نخاف على عبد الرحمن! أو ليس الاجماع منعقدا على إباحة جمع المال من حله، فما وجه الخوف مع الإباحة؟ أويأذن الشرع في شيء ثم يعاقب عليه؟ هذا قلة فهم وفقه.

ثم أينكر أبو ذر على عبد الرحمن، وعبد الرحمن خير من أبى ذر بما لا يتقارب؟! ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسبر سير الصحابة، فإنه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير. والبهار الحمل. وكان مال الزبير خمسين ألفا ومائتي ألف. وخلف ابن مسعود تسعين ألفا. وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها و لم ينكر أحد منهم على أحد.

وأما قوله: **"إن عبد الرحمن يحبو حبواً يوم القيامة"**، فهذا دليل على أنه ما عرف الحديث، وأعوذ بالله أن يحبو عبد الرحمن في القيامة، أفترى من سبق وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ومن أهل بدر والشورى يحبو؟

ثم قال: وكان سعيد بن المسيب يقول: "لا خير فيمن لا يطلب المال، يقضى به دينه ويصون به عرضه، فإن مات تركه ميراثاً لمن بعده".

وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار، وخلف سفيان الثوري مائتين، وكان يقول: المال في هذا الزمان سلاح. وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء، وإنما تحاماه قوم منهم إيثاراً للتشاغل بالعبادات، وجمع الهم فقنعوا باليسير".

المراد بالزهد

الغنى المطلوب هو غنى النفس والرضى بما قسم الله للعبد، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين: "وقد أكثر الناس من الكلام في الزهد، وكلّ أشار إلى ذوقه ونطق عن حاله وشاهده. فإن غالب عبارات القوم من أذواقهم وأحوالهم. والكلام بلسان العلم أوسع من الكلام بلسان الذوق وأقرب إلى الحجة والبرهان".

ثم ذكر بعض تعريفات أهل العلم للزهد:

- قال الحسن البصري: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أُصِبتَ بها أرغب منك فيها لو لم تصبك.

قال ابن القيم: "فهذا من أجمع الكلام في الزهد وأحسنه وقد روي مرفوعاً.

- وقال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا: قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء.
- وقال الإمام أحمد: الزهد على ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

الثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين.

قال ابن القيم معلقاً على تعريف الإمام أحمد هذا: "وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته وهو من أجمع الكلام، وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم بالمحل

الأعلى، وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية[1] أشياء أحدها الزهد.

• وقال ابن القيم: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـقدس الله روحهـ يقول: "الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة. والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة".

ثم قال ابن القيم: وليس المراد رفضها[2] عن الملك، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبينا ﷺ أزهد البشر على الإطلاق، وله تسعة نسوة وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان ﷺ من الزهاد. مع ما كان لهم من الأموال وكان الحسن بن علي ﷺ من الزهاد، مع أنه كان من أكثر الأئمة محبة للنساء ونكاحاً لهن وأغناهم. وكان عبد الله بن المبارك من أئمة الزهاد مع مال كثير. وكذلك الليث بن سعد وكان له رأس مال[3] يقول: لولا هو لتمندل بنا هؤلاء".[4]

وملخص القول في أيها أفضل للعبد المؤمن الغني، أم الفقير، أم الكفاف؟.

أقول إن المسألة تختلف باختلاف الأشخاص فلا يمدح غنى مجرد ولا فقر لذاته وفي الكفاف السلامة، فالغنى والفقر ابتلاء من الله ﷻ فهناك من الأغنياء من لو ابتلاه الله بالفقر لضلّ ومن الفقراء من لو ابتلي بالمال لطغى وتجبّر فسبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملام والخير كل الخير أن ترضى بما

---

(١) منها الحديث، واللغة، والفقه، والفقر، والتفسير .

(٢) رفض الدنيا.

(٣) على الرغم من هذا المال يقال لم يجب عليه زكاة لأنه ما كان يتركه يبلغ النصاب من كثرة الإنفاق والتصدق.

(٤) يريد لأذلنا تجار الدنيا إذا احتجنا إليهم.

قسم الله لك وتؤدي حق الله فيه.

ز. الحب في الله والبغض في الله

ينبغي لولي الله أن يكون متجرداً عن نفسه وهواه وأن لا يحب شيئاً إلا لله وأن يستوي عنده المادح والذام. وينبغي على العبد الصالح أن يكون مترفعاً عن الرذائل والصغائر وأن لا يغضب ويثور إلا إذا انتهكت حرمات الله ﷻ وأن لا ينتقم لنفسه فإذا فعل ذلك يكون قد ذاق حلاوة الإيمان.

فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف به في النار".**[1]

قال الحافظ[2]: قال يحيى بن معاذ: "حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء".

فضل الحب في الله

ورد في فضل الحب في الله أحاديث كثيرة منها:

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلّهم في ظلي يوم لا ظلّ إلا ظلّي".** [3]
- وعنه كذلك عن النبي ﷺ: **"أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى،**

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم: (١٦).

(٢) الفتح، جـ ١/٦٢.

(٣) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله، رقم: (٢٥٦٦).

فأرصد الله على مدرجته[1] ملكاً قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة ترها؟[2] قال: لا، غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبّك كما أحببته فيه".[3]

• عن معاذ بن جبل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ".**[4]

• وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **"الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف".**[5]

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً و لم يلحق بهم؟ فقال: **"المرء مع من أحب".**[6]

• وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **"لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي".**[7]

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله ..."** الحديث، وذكر منهم: **"ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه".**[8]

---

(١) مدرجته: طريقه.

(٢) تربها: أي هل لك عنده مصلحة تريد قضاءها.

(٣) مسلم، رقم: (٢٥٦٧).

(٤) رواه مالك، وقال الألباني في مشكاة المصابيح، جـ ٣/١٣٩٥، وإسناده صحيح.

(٥) متفق عليه، البخاري، كتاب الأنبياء، رقم: (٣٣٣٦).

(٦) متفق عليه، البخاري في الأدب، رقم: (٦١٧٠).

(٧) رواه الترمذي وأحمد والدارمي، وقال الألباني في مشكاة المصابيح جـ ٣/١٣٩٧، وسنده حسن.

(٨) متفق عليه، مسلم (١٠٣١).

• وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"والذي نفسي بيده لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ".**(١)

تحريم الهجران والتخاصم

لقد نهى الله عباده المؤمنين عن الهجران والتخاصم وقد حرم ذلك أكثر من ثلاثة أيام فقال ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة ﷺ: **"لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث، فمات دخل النار".**(٢)

وعن أبي أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".**(٣)

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث".**(٤)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرءاً كانت بينه**

---

(١) مسلم، رقم: (٥٤).

(٢) رواه أبو داود، رقم: (٤٩١٤)، قال النووي في رياض الصالحين، ص: ٦١١: رواه أبو داود بإسناد على شرط البخاري ومسلم.

(٣) متفق عليه، البخاري، جـ ١٠/٤١٣، ومسلم (٥٧٠)، وأبو داود (٤٩١١).

(٤) متفق عليه، البخاري جـ ١٠/٤٠١، ومسلم (٢٥٥٩)، وأبو داود (٤٩١٠).

وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا".[1]

وقد عدّ الرسول ﷺ هجرانَ المسلمِ أخاه المسلمَ سنة كسفك دمه، فعن أبي خراش حدرد الأسلمي ويقال السلمي الصحابي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **"من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه".**[2]

وينبغي على المسلم أن يبدأ أخاه بالسلام خاصة إذا كانا متخاصمين وقابله عليه أن يسلم عليه ويحرم عليه إذا لم يبدأه بالسلام بعد الثلاثة. ولا يهم أن يرد عليه الآخر بالسلام فإن الملائكة ترد عليه ويبوء هو الآخر بالإثم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"لا يحلّ لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه**[3]**، فليسلم عليه فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم، وخرج المسلِّم من الهجرة".**[4]

جواز الهجران إن كان لله

يجوز الهجران أكثر من ثلاثة أيام إذا كان هناك سبب ديني و لم يكن نتيجة لهوى النفس ولا بسبب الانتقام لها.

فقد ثبت أن الرسول ﷺ هجر كعباً وصاحبيه خمسين يوماً إلى أن نـــزلت براءتهم من الله ﷻ. قال أبو داود معلقاً على الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه

---

(١) رواه مسلم، (٢٨١٢).

(٢) رواه أبو داود رقم: (٤٩١٥)، جـــ ٢٧٩/٤، وأحمد جـــ٢٢٠/٤، والبخاري في الأدب المفرد ٤٠٤، وصححه الحاكم ١٦٣/٤. انظر: رياض الصالحين: ٦١١.

(٣) فليَلْقَه: يتعمد ذلك وإذا ذهب إليه في مـــنزله كان أفضل وأحسن.

(٤) رواه أبو داود رقم: ٤٩١٢، جـــ ٢٧٩/٤، قال محققا رياض الصالحين ص: ٦١١: وأخرجه أبو داود أيضاً رقم (٤٩١٣) جـــ ٢٧٩/٤، من حديث عائشة وإسناده حسن، كما قال المؤلف رحمه الله.

عن النبي ﷺ: **"تفتح أبواب الجنة كل يوم اثنين وخميس، فيغفر في ذلك اليومين لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا من كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا"**.(١)

قال أبو داود رحمه الله: النبي ﷺ هجر بعض نسائه أربعين يوماً، وابن عمر هجر ابناً له إلى أن مات.

وقال أبو داود: إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا في شيء وإن عمر بن عبد العزيز غطّى وجهه عن رجل.(٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اعتلّ بعير لصفية وعند زينب فضل ظهر، فقال رسول الله ﷺ لزينب: **"أعطيها بعيراً"**. فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية!؟ فغضب رسول الله ﷺ فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر".(٣)

وعن أبي سعيد عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الخذف(٤) وقال: **"إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ(٥) العدو وإنه يفقأ العين ويكسر السن"**.(٦)

وفي رواية أن قريباً لابن مغفل خذف، فنهاه وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف: وقال: **"إنها لا تصيد صيداً"**، ثم عاد فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف؟! لا أكلمك أبداً.

---

(١) أبو داود، رقم (٤٩١٦)، كتاب الأدب باب فيمن يهجر أخاه.

(٢) سنن أبي داود، جـ ٤/٢٨٠.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) الخذف: رمي الحصى بالسبابة والإبهام.

(٥) ينكأ: يقتل.

(٦) متفق عليه، البخاري، جـ ١٠/٤٩٣، ومسلم رقم: ١٩٥٤.

فالهجرة بسبب بدعة في الدين، أو فسوق، أو فجور، أو بسبب تأديب فليس محرمة وهذا هو المراد بالبغض في الله.

ولقد نهى رسول الله ﷺ عن مصاحبة الأشرار وحذّر منهم ومن ودادهم فقال ﷺ فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: **"لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي"**.[1]

وعلى المسلم أن يتبرأ من فجور الشخص وفسوقه ولا يتبرأ منه هو شخصياً، وعليه كذلك أن يبغض فجوره وفسقه ولا يبغض شخصه فقد يتخلى الإنسان عن المعصية فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها أنّى شاء، فإذا كان الشخص مبغضاً لفجور العاصي وليس مبغضاً لذاته يسهل عليه وداده ومصادقته إن عاد إلى رشده، أما إذا كان مبغضاً لذات الشخص فليس من السهولة أن يواده حتى بعد ترك المنكرات. وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: **"اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد"**[2]. و لم يبرأ من خالد وإنما برئ من عمله.

الاقتصاد في الحب والبغض

المبالغة في كل شيء غير مرغوب فيها وخير الأمور الوسط ولو كان هذا في الحب، وأعمال الخير قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾** ﴾[3] فكيف بالبغض؟

---

(١) قال علنه الألباني في مشكاة المصابيح، جـ ٣/١٣٩٧، وسنده حسن.

(٢) قال ابن كثير في السيرة النبوية جـ ٣/٥٩٣: رواه البخاري والنسائي وأحمد من حديث عبد الرزاق وكان ذلك عند بعثه بعد الفتح إلى بني جزيمة من كتانة. انظر تفاصيل ذلك في السيرة النبوية لابن كثير ٥٩١-٥٩٧.

(٣) الإسراء: ٢٩

فقد جاء في الأثر عن علي ﷺ: "أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون عدوك يوماً ما وأبغض عدوك هوناً ما عسى أن يكون صديقك يوماً ما".

ومن بالغ في حب شيء ابتلاه الله به وامتحنه بفراقه كما حدث ليعقوب عليه السلام عندما زاد تعلقه بيوسف عليه السلام.

الفجور في الخصومة

الخصومة ليست من صفات المؤمنين الصالحين فكيف بالفجور فيها؟ فلا ينبغي لعبد صالح أن يخاصم أو يشاحن أحداً وألا يغضب وينتصر لنفسه وإنما عليه أن يغضب ويخاصم إذا انتهكت حرمات الله ﷻ.

والفجور في الخصومة علامة من علامات النفاق ومرض القلب. فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**".(١)

المناصحة هي قوام الحبّ في الله

ينبغي للمتحابين في الله أن يتناصحوا وأن لا يستحي واحد منهم في إسداء النصح للآخر خاصة في الأمور الدينية فكما ورد في الحديث الصحيح عن تميم الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**الدين النصيحة**". قلنا لمن؟ قال: "**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**".(٢)

---

(١) متفق عليه، البخاري، جـ ١/٨٤، ومسلم ٥٨.

(٢) رواه مسلم رقم: ٥٥، وأبو داود رقم: (٤٩٤٤).

ولقوله ﷺ في حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: **"بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"**.[1]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"**. فقال رجل: يا رسول الله! أنصُرُه إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً فكيف أنصره؟ قال: **"تحجزه _أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره"**.[2]

وقال أبو بكر بن المنذر ما فاق أبو بكر الصديق رضي الله عنه أصحاب رسول الله ﷺ بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه، قيل: ما الذي وقر في قلبه؟ قال: محبة الله ورسوله، والنصح لكل مسلم.

ح. حب السلف الصالح والاقتداء بهم والسير على طريقهم

حب السلف الصالح من الإيمان وبغضهم نفاق، خاصة أصحاب رسول الله ﷺ الذين شهد لهم القرآن بالخيرية والفضل وشهد لهم رسول الله ﷺ بذلك وأجمعت الأمة على فضلهم ولم ينتقصهم إلا زنديق منافق. فإذا رأيت الرجل محبّاً لأصحاب رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان، مقتدياً بهم ومتبعاً لآثارهم فاشهد له بالإيمان.

وعلى العكس من ذلك، إذا كان الشخص مبغضاً لسلف هذه الأمة وطاعناً في فضلهم، ومتهماً لهم بالقصور والتفريط فاشهد عليه بالنفاق وسوء الأخلاق واتهمه في دينه.

فقد شهد القرآن الكريم والسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم

---

(١) متفق عليه، البخاري جـ ١/١٢٨، مسلم ٥٦، وأبو داود ٤٩٤٥.

(٢) البخاري، جـ ٥/٧١، وجـ ١٢/٢٨٩.

السلام لأصحاب رسول الله ﷺ بالفضل وأنهم خير أمة أخرجت للناس وأنهم أفضل قرن ولا يدانيهم في الفضل غيرهم.

الآيات والأحاديث التي وردت في فضل الصحابة

الآيات

• قوله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ (١) فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ (٢) فَـَٔازَرَهُۥ (٣) فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ (٤).

• وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (٥) ۚ وَمَن يُوقَ (٦) شُحَّ (٧) نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا

---

(١) السيما: بالمد والقصر: وهي العلامة، قيل نور في وجوههم من الخشوع.

(٢) شطأه: فراخه وأولاده والجمع أشطاء، الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٦/٢٩٣-٢٩٥.

(٣) آزره: قوّاه وأعانه وشدّه.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٥) الخصاصة: الحاجة التي تختل بها الحال.

(٦) يوق: يكفى.

(٧) الشح: بخل مع حرص معنى الشح هنا أن تأكل مال أخيك ظلماً، الجامع لأحكام القرآن، ١٨/٣٠.

غِلًّا[1] لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[2]

• وقال ﷻ في مدحهم كذلك ورضاه عنهم: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[3].

• وقال عز من قائل: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾[4].

• وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ[5] مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ[6] قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[7].

• وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[8].

• وقال تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾[9].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: "هم أصحاب محمد ﷺ. اصطفاهم الله

---

(١) غلاً: أي حقداً وحسداً.

(٢) الحشر: ٨ – ١٠.

(٣) الفتح: ١٨.

(٤) الحديد: ١٠.

(٥) ساعة العسرة: الشدة والمراد غزوة تبوك.

(٦) يزيغ: يميل.

(٧) التوبة: ١١٧.

(٨) الحجرات: ٣.

(٩) النمل: ٥٩.

لنبيه ﷺ". [1]

• وقال ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [2]

الأحاديث

• عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تسبّوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ[3] أحدهم ولا نصيفه[4]"**. [5]

قال البغوي في شرح السنة[6]: "ومعنى الحديث أن جهد المقلّ منهم واليسير من النفقة مع ما كانوا فيه من شدة العيش والفقر أفضل عند الله من الكثير الذي ينفقه من بعدهم".

وقال النووي في معنى "لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ ..." الحديث: "ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مداً ولا نصف مد. وقال القاضي عياض: وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم ولأن إنفاقهم

---

(١) قال محقق شرح السنة: "هو أحد أقوال أربعة ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٤/٦، ١٨٥وثانيها أنهم الرسل، وثالثها الذين وحّدوا وآمنوا به ورابعها أنه محمد ﷺ".

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) مد: رطلان عند أهل العراق والجمع أمداد، المصباح جـ ٢/ ٥٦٦.

(٤) نصيفه: نصفه.

(٥) متفق عليه، البخاري في فضائل الصحابة ومسلم (٢٥٤٠).

(٦) جـ ١٤/٧٠.

كان في نصرته ﷺ وحمايته وذلك معدوم بعده وكذا جهادهم وسائر طاعاتهم وقد قال الله ﷻ: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".[1]

• وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"خير الناس قرني[2]، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"**، قال عمران: "فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة".[3]

• وعن عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: **"الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم، فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه"**.[4]

• وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **"يأتي على الناس زمان فيغزو فئام[5] من الناس فيقولون: هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ١٦/٩٣.

(٢) القرن: الجيل من الناس وقيل ثمانون، وقيل سبعون سنة، المصباح، جـ ٢/٥٠٠.

(٣) متفق عليه، مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٢٥٣٥).

(٤) الترمذي (٣٨٦١) في المناقب، قال محقق شرح السنة جـ ١٤/٧١: وفيه عبد الرحمن بن زياد، قال الذهبي: لا يعرف مع ذلك فقد صححه ابن حبان (٢٢٨٤)، وحسنه الترمذي كما نقله عنه المصنف.

(٥) فئام: جماعات.

لهم. ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم".[1]

• وعن سفينة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **"الخلافة ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً".** ثم قال: **"أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشرة، وعثمان اثني عشر، وعليّ ستة"** قال علي[2]: قلت لحماد: سفينة القائل لسعيد أمسك؟ قال: نعم".[3]

• وعن جابر رضي الله عنه يرفعه: **"إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحابي أربعة"** يعني أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليّاً فجعلهم أصحابي.[4]

• وعن رويم بن ساعدة قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن الله عز وجل اختارني واختاري لي أصحابي فجعل لي منهم وزراء وأختاناً وأصهاراً، فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه يوم القيامة صرفا**[5] **ولا عدلاً".**

• وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الله عز وجل اطلع في قلوب العباد فاختار محمداً ﷺ، فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعد، فاختار له أصحاباً، فجعلهم أنصار دينه، ووزراء نبيّه ﷺ، فما رآه المؤمنون حسناً فهو

---

(١) متفق عليه، البخاري ٢/٧، في الفضائل، ومسلم (٢٥٣٢).

(٢) علي هو علي بن الجعد أحد رواة الحديث، شرح السنة، جـ ١٤/٧٤.

(٣) الترمذي ٢٢٢٦، في الفتن وأبو داود ٤٦٤٧ في السنة باب في الخلفاء، قال محقق شرح السنة جـ١٥/٧٥: إسناده حسن وصححه ابن حبان، ١٥٣٤-١٥٣٥.

(٤) البزار: قال في مجمع الزوائد جـ ١٠/١٨، رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٥) الصرف قيل التوبة وقيل النافلة والعدل: الفدية وقيل الفريضة، هامش الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٦/٢٩٨.

عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح".[1]

• وقال ابن مسعود كذلك: "اتبعو ولا تبتدعوا، من كان مستنّاً فليستَنّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة: أبرها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلّها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم كانوا على الهدى المستقيم".[2]

• وقال الإمام الشافعي رحمه الله في رسالته ـالقديمةـ في مدح أصحاب رسول الله ﷺ: "هم قوم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل، وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا".

تنبيه

لا تعارض بين فضل الصحابة وخيريتهم على جميع الأمة الإسلامية لما سلف من أدلّة وبين ما روي عنه ﷺ:

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوّله خير أم آخره"**.[3]

• وعن أبي ثعلبة يرفعه إلى النبي: **"تأتي أيّام للعامل فيهن أجر خمسين"**، قيل منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: **"بل منكم"**.[4]

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وقال في كشف الخفا، جـ ١٨٨/٢: رواه أحمد في كتاب السنة وليس في مسنده.

(٢) شرح السنة للبغوي.

(٣) قال الحافظ في القتح جـ ٧م٦، رواه الترمذي بإسناد قوي عن أنس وصححه ابن حبان من حديث عمار والترمذي رقم (٢٨٦٩).

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

• **"ليدركنّ المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير _ثلاثاً_ ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها".**[1]

قال الحافظ في الفتح[2]: "وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُور أَنَّ فَضِيلَة الصُّحْبَة لا يَعْدِلهَا عَمَل لِمُشَاهَدَةِ رَسُول اللَّه ﷺ، وَأَمَّا مَنْ اِتَّفَقَ لَهُ الذَّبّ عَنْهُ وَالسَّبْق إِلَيْهِ بِالْهِجْرَةِ أَوْ النُّصْرَة وَضَبْط الشَّرْع الْمُتَلَقَّى عَنْهُ وَتَبْلِيغه لِمَنْ بَعْده فَإِنَّهُ لا يَعْدِلهُ أَحَد مِمَّنْ يَأْتِي بَعْده، لأَنَّهُ مَا مِن خَصْلَة مِنْ الْخِصَال الْمَذْكُورَة إِلا وَلِلَّذِي سَبَقَ بِهَا مِثْل أَجْر مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْده ، فَظَهَرَ فَضْلهمْ.

وَمُحَصَّل النِّزَاع يَتَمَحَّضُ فِيمَنْ لَمْ يَحْصُل لَهُ إِلا مُجَرَّد الْمُشَاهَدَة كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنْ جُمِعَ بَيْن مُخْتَلِف الأَحَادِيث الْمَذْكُورَة كَانَ مُتَّجَهًا، عَلَى أَنَّ حَدِيث **"لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْر خَمْسِينَ مِنْكُمْ"** لا يَدُلّ عَلَى أَفْضَلِيَّة غَيْر الصَّحَابَة عَلَى الصَّحَابَة، لأَنَّ مُجَرَّد زِيَادَة الأَجْر لا يَسْتَلْزِم ثُبُوت الأَفْضَلِيَّة الْمُطْلَقَة، وَأَيْضًا فَالأَجْر إِنَّمَا يَقَع تَفَاضُله بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يُمَاثِلهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَل فَأَمَّا مَا فَازَ بِهِ مَنْ شَاهَدَ النَّبِيّ ﷺ مِنْ زِيَادَة فَضِيلَة الْمُشَاهَدَة فَلا يَعْدِلهُ فِيهَا أَحَد، فَبِهَذِهِ الطَّرِيق يُمْكِن تَأْوِيل الأَحَادِيث الْمُتَقَدِّمَة.

وقال الحافظ في الفتح[3]: معلقاً على قوله ﷺ: **"خير القرون قرني ..."** الحديث: "وَاقْتَضَى هَذَا الْحَدِيث أَنْ تَكُون الصَّحَابَة أَفْضَل مِنْ التَّابِعِينَ وَالتَّابِعُونَ أَفْضَل مِنْ أَتْبَاع التَّابِعِينَ، لَكِنْ هَلْ هَذِهِ الأَفْضَلِيَّة بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجْمُوع أَوْ الأَفْرَاد؟ مَحَلّ بَحْث، وَإِلَى الثَّانِي نَحَا الْجُمْهُور، وَالأَوَّل قَوْل اِبْن عَبْد الْبَرّ، وَالَّذِي يَظْهَر

---

(١) قال الحافظ في القتح جـ ٦/٧، رواه ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين بإسناد حسن.

(٢) جـ ٧/٧.

(٣) جـ ٦/٧.

أَنَّ مَنْ قَاتَلَ مَعَ النَّبِيّ ﷺ أَوْ فِي زَمَانه بِأَمْرِهِ أَوْ أَنْفَقَ شَيْئًا مِنْ مَاله بِسَبَبِهِ لا يَعْدِلُهُ فِي الْفَضْل أَحَد بَعْده كَائِنًا مَنْ كَانَ"

قلت: والصواب ما ذهب إليه الجمهور أن الأفضلية عائدة لجميع أفراد الصحابة وليس لهم في مجموعهم، فهم كلهم خيار وليس فيهم نخالة ولا دقل ولا سفالة وإنما ظهر الدقل والنخالة والسفالة في الخوالف.

فعن أبي سعيد الحسن البصري أن عائذ بن عمرو رضي الله عنه دخل على عبيد الله ابن زياد قال: أي بنّيّ! سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إن شرّ الرعاء الحُطَمَة"**[1] فإياك أن تكون منهم. فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة[2] أصحاب محمد ﷺ، فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت بعدهم وفي غيرهم".[3]

نقال القاضي عياض[4]: مذهب الجمهور: تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم ... ومن أصحاب الحديث من يقول هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته، وقاتل معه، وأنفق، وهاجر، ونصر، لا لمن رآه مرة كوفود الأعراب، وصحبة آخر بعد الفتح، وبعد إعزاز الدين، من لم يوجد له هجرة ولا أثر في الدين ومنفعة المسلمين، قال: والصحيح الأول وعليه الأكثرون، والله أعلم".

---

(١) الرعاء: جمع راع، والحطمة: العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاها بل يحطمها في ذلك وفي سقيها وغيره، ويزحم بعضها بعضاً يؤذيها ويحطمها.

(٢) نُخالة: قشر الحب ولا يأكله الآدمي، المصباح، جـ ٢/٥٩٧.

(٣) رواه مسلم رقم: (١٨٣٠).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦/٩٣.

حكم من أبغض الصحابة

قال القرطبي رحمه الله [1] "روى أبو مصعب الزبيري من ولد الزبير قال: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ فقال مالك: "من أصبح من الناس وفي قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية". ذكره الخطيب أبو بكر.

قال القرطبي: "لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقَّص واحداً منهم أو طعن عليه روايته فقد ردّ على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين".

قال النووي رحمه الله[2]: "واعلم أن سبّ الصحابة ﷺ حرام، من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيرهم لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون".

قال القاضي: "وسبّ أحدهم من المعاصي الكبائر ومذهبنا[3] ومذهب الجمهور أنه يعزّر ولا يقتل وقال بعض المالكية: يقتل".

الصحابة كلهم عدول

الصحابة ﷺ كلهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم، وإجماع الأمة على ذلك فمن شك في عدالتهم وطعن في واحد منهم أو تبرأ منه فقد نافق وتزندق

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٦/٢٩٦-٢٩٧.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦/٩٣.

(٣) المذهب المالكي.

لأنه كذّب القرآن والسنّة.

قال الإمام القرطبي[1]: "فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم. ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث.

وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي، وطلحة، والزبير، وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى ﴿**مَغفِرةً وأَجراً عَظِيماً**﴾ وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك. وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الامور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب".

ثم قال: "فمن نسب أحداً من الصحابة إلى كذب فهو خارج عن الشريعة، مبطل للقرآن طاعن على رسول الله ﷺ. ومتى ألحق واحد منهم تكذيبا فقد سب، لانه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب، وقد لعن رسول الله ﷺ من سب أصحابه، فالمكذب لاصغرهم - ولا صغير فيهم - داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله ﷺ، وألزمها كل من سب واحدا من أصحابه أو طعن عليه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، جـ١٦/٢٩٩.

وعن عمر بن حبيب قال: حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسألة تنازعها الحضور وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فرفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يقبل هذا الحديث على رسول الله ﷺ، لان أبا هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي ﷺ وغيره، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب، وقمت من المجلس فانصرفت إلى مترلي، فلم ألبث حتى قيل: صاحب البريد بالباب، فدخل فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط وتكفن! فقلت: اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه.

فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب، حاسر عن ذراعيه، بيده السيف وبين يديه النطع[1]، فلما بصر بي قال لي: يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول، فرجع إلى نفسه ثم قال: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله! وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

---

(١) النطع: بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالقتل أو العذاب أو يفرش للأكل أو اللعب _الجامع لأحكام القرآن، جـــ١٦/١٢٩٩، الهامش.

أفضل الصحابة

أفضل الصحابة على الإطلاق وأفضل هذه الأمة جمعاء بعد رسولها خلفاؤه الراشدون الهداة المهديون. وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة فأفضلهم قاطبة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين.

وإليك الأدلة:

• فقد ثبت في الحديث الصحيح قوله ﷺ: **"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"**.[1]

• وصح عنه ﷺ كذلك: **"إن من أمَنّ الناس علينا في صحبته وذات يده أبو بكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً"**.[2]

• وروى مسلم في صحيحه أن أصحاب النبي ﷺ كانوا معه في سفر فقال النبي ﷺ: **"إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا"**.

• وعن عمر رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر في الأمر من أمور المسلمين وأنا معه".[3] وقال ﷺ: **"اقتدوا باللّذين من بعدي: أبي بكر وعمر"**.[4]

---

(١) رواه أبو داود رقم: (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، جـ ١٤/٥، كتاب العلم وابن ماجة (٤٢-٤٣) والنواجذ جمع ناجذ الأنياب وقيل الأضراس.

(٢) متفق عليه، البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، رقم: ٣٦٥٦.

(٣) ابن أبي شيبة.

(٤) الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر وعمر، رقم ٣٦٦٣، جـ ٦٠٩/٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

• وعن ابن عباس ﷺ قال: وضع عمر على سريره، فتكنفه[1] الناس يدعون، ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع، وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت فإذا هو علي، وترحّم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله ﷻ بعمله منك، وأيم الله[2]! إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذلك أني كنت كثيراً ما أسمع النبي ﷺ يقول: "**جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**". فإن كنت أرجو، أو أظن أن يجعلك الله معهما.[3]

• وعندما سأل هارون الرشيد الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن منـــزلتهما من النبي ﷺ في حياته، فقال مالك: منـــزلتهما منه في حياته كمنـــزلتهما منه بعد مماته".[4]

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية[5] رحمه الله: قال عليّ ﷺ: "لا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ ــيعني الشيعة الذين كانوا يفضلونه على أبي بكر وعمرــ أَنَّهُ فَضَّلَنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إلا جَلَدْته حَدَّ الْمُفْتَرِي. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ مِنْ نَحْوِ ثَمَانِينَ وَجْهًا وَأَكْثَرَ أَنَّهُ قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةَ : خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ .

---

(١) فتكنفه: اكتنفه القوم كانوا منه يمنة ويسرة، المصباح المنير جـــ٢/٥٤٢.

(٢) وأيم الله: والله أو أقسم بالله.

(٣) متفق عليه، البخاري في فضائل أصحاب النبي، باب قوله ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، جـــ ٣٣/٧، ومسلم رقم: ٢٣٨٩ في فضائل عمر.

(٤) الفتاوى جـــ٣/٤٠٣.

(٥) المصدر السابق، جـــ٤/٤٠٧-٤٠٨.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ رِوَايَةِ رِجَالِ همدان[1] خَاصَّةً – الَّتِي يَقُولُ فِيهَا عَلِيٌّ .

وَلَوْ كُنْت بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْت لهمدان اُدْخُلِي بِسَلَامِ

ورَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ كَثِيرٍ. قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ حَدَّثَنَا : جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ حَدَّثَنَا: أَبُو يَعْلَى مُنْذِرٌ الثَّوْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ قُلْت لأَبِي: يَا أَبَتِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! أَوَمَا تَعْرِفُ؟! فَقُلْت: لا. فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْت: ثُمَّ مَن؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ".

قال شيخ الإسلام: "وَهَذَا يَقُولُهُ لابْنِهِ: الَّذِي لا يَتَّقِيه وَلِخَاصَّتِه؛ وَيَتَقَدَّمُ بِعُقُوبَةِ مَنْ يُفَضِّلُهُ عَلَيْهِمَا. وَالْمُتَوَاضِعُ لا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِعُقُوبَةِ كُلِّ مَنْ قَالَ الْحَقَّ وَلا يَجُوزُ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُفْتَرِيًا".

- وقال سفيان الثوري رحمه الله: من قدم علياً على أبي بكر وعمر فقد أزرى[2] بالمهاجرين والأنصار وأخشى أن لا ينفعه مع ذلك عمل".[3]
- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة".[4]

قال النووي[5]: "قَالَ الإِمَام أَبُو عَبْد اللَّه الْمَازِرِيّ: اِخْتَلَفَ النَّاس فِي

---

(١) قبيلة همدان كانت كلها واقفة مع الإمام علي ومؤيدة له ومحبة له ورجال سند هذا الحديث كلهم من هذه القبيلة.

(٢) أزرى: استخف واحتقر.

(٣) شرح السنة جـ١٤، وقال ابن تيمية جـ٤/٤٣٦، يروى ذلك عن غير واحد منهم السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني وقال من فضل علياً على عثمان خرج من السنة إلى البدعة.

(٤) مجموع الفتاوى، جـ ٤/٤٣٥.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٥/٢٤٨.

تَفْضِيل بَعْض الصَّحَابَة عَلَى بَعْض، فَقَالَتْ طَائِفَة: لا تَفَاضُلَ، بَلْ نُمْسِكُ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ الْجُمْهُور بِالتَّفْضِيلِ، ثُمَّ اِخْتَلَفُوا، فَقَالَ أَهْل السُّنَّة: أَفْضَلُهُمْ أَبُو بَكْر الصِّدِّيق، وَقَالَ الْخَطَّابِيَّة: أَفْضَلهمْ عُمَر بْن الْخَطَّاب، وَقَالَتْ الرَّاوَنْدِيّة: أَفْضَلهمْ الْعَبَّاس، وَقَالَتْ الشِّيعَة: عَلِيّ.

وَاتَّفَقَ أَهْل السُّنَّة عَلَى أَنَّ أَفْضَلهمْ أَبُو بَكْر، ثُمَّ عُمَر. قَالَ جُمْهُورهم: ثُمَّ عُثْمَان، ثُمَّ عَلِيّ. وَقَالَ بَعْض أَهْل السُّنَّة مِنْ أَهْل الْكُوفَة بِتَقْدِيمِ عَلِيّ عَلَى عُثْمَان، وَالصَّحِيح الْمَشْهُور تَقْدِيم عُثْمَان.

قَالَ أَبُو مَنْصُور الْبَغْدَادِي: أَصْحَابنَا مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلهمْ الْخُلَفَاء الأَرْبَعَة عَلَى التَّرْتِيب الْمَذْكُور ثُمَّ تَمَام الْعَشَرَة، ثُمَّ أَهْل بَدْر، ثُمَّ أُحُد، ثُمَّ بَيْعَة الرِّضْوَان، وَمِمَّنْ لَهُ مَزِيَّة كَأَهْلِ الْعَقَبَتَيْنِ مِنْ الأَنْصَار، وَكَذَلِكَ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ، وَهُمْ مَنْ صَلَّى إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ فِي قَوْل اِبْن الْمُسَيِّب وَطَائِفَة، وَفِي قَوْل الشَّعْبِيّ أَهْل بَيْعَة الرِّضْوَان، وَفِي قَوْل عَطَاء وَمُحَمَّد بْن كَعْب أَهْل بَدْر.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: وَذَهَبَتْ طَائِفَة، مِنْهُمْ اِبْن عَبْد الْبَرّ ، إِلَى أَنَّ مَنْ تُوُفِّيَ مِنْ الصَّحَابَة فِي حَيَاة النَّبِيّ ﷺ أَفْضَل مِمَّنْ بَقِيَ بَعْده ، وَهَذَا الإِطْلاق غَيْر مَرَضِيّ وَلا مَقْبُول.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي أَنَّ التَّفْضِيل الْمَذْكُور قَطْعِيّ أَمْ لا؟ وَهَلْ هُوَ فِي الظَّاهِر وَالْبَاطِن أَمْ فِي الظَّاهِر خَاصَّة؟ وَمِمَّنْ قَالَ بِالْقَطْعِ أَبُو الْحَسَن الأَشْعَرِيّ. قَالَ: وَهُمْ فِي الْفَضْل عَلَى تَرْتِيبهمْ فِي الإِمَامَة. وَمِمَّنْ قَالَ بِأَنَّهُ اِجْتِهَادِيّ ظَنِّيّ أَبُو بَكْر الْبَاقِلانِي. وَذَكَرَ اِبْن الْبَاقِلانِي اِخْتِلاف الْعُلَمَاء فِي أَنَّ التَّفْضِيل هَلْ هُوَ فِي الظَّاهِر وَالْبَاطِن جَمِيعًا؟ وَكَذَلِكَ اِخْتَلَفُوا فِي عَائِشَة وَخَدِيجَة أَيَّتهمَا أَفْضَل؟ وَفِي عَائِشَة وَفَاطِمَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَمَّا عُثْمَان ﷺ فَخِلافَته صَحِيحَة بِالإِجْمَاعِ، وَقُتِلَ مَظْلُومًا، وَقَتَلَتْهُ فَسَقَة؛ لأَنَّ مُوجِبَات الْقَتْل مَضْبُوطَة، وَلَمْ يَجْرِ مِنْهُ ﷺ مَا يَقْتَضِيه، وَلَمْ يُشَارِكْ فِي قَتْله أَحَد مِنْ الصَّحَابَة، وَإِنَّمَا قَتَلَهُ هَمَج وَرُعَاع مِنْ غَوْغَاء الْقَبَائِل وَسَفَلَة الأَطْرَاف وَالأَرْذَال، تَحَزَّبُوا وَقَصَدُوهُ مِن مِصْر، فَعَجَزَتْ الصَّحَابَة الْحَاضِرُونَ عَنْ دَفْعهم، فَحَصَرُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ﷺ.

وَأَمَّا عَلِيّ ﷺ فَخِلافَته صَحِيحَة بِالإِجمَاعِ، وَكَانَ هُوَ الْخَلِيفَة فِي وَقته لا خِلافَة لِغَيْرِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَة ﷺ فَهُوَ مِنْ الْعُدُول الْفُضَلاء، وَالصَّحَابَة النُّجَبَاء رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

الإمساك عما شجر بين الصحابة

من السنة عدم الخوض فيما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ في الفتنة، ولا ينبغي الكلام عن هذه الفتنة إلا بعلم صحيح ثابت.

ولنقل كما قال أسلافنا: عبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز: "تلك فتنة طهّر الله منها سيوفنا وأيدينا فلا نريد أن نخوض فيها بألسنتنا ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾** ﴾".

فالصحابة الذين اشتركوا في هذه الفتنة كلهم مجتهدون فمن أصاب منهم فله أجران ومن أخطأ فله أجر. واعلم أخي المسلم أن معظم الآثار التي تروى عن الفتنة[1] منها ما هو كذب محض ومنها ما زيد فيه ونقص عنه والصحيح منها فالصحابة معذورون فيه، فهم بشر ولكنهم أفضل البشر ولا ندّعي العصمة إلا لله ولمن عصمه الله وهو رسول الله ﷺ.

---

(١) مجموع الفتاوى، جـ ٤/٤٣٤.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: "وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْمُخْتَارُ الإِمْسَاكَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالاسْتِغْفَارَ لِلطَّائِفَتَيْنِ جَمِيعًا وَمُوَالاتَهُم؛ فَلَيْسَ مِن الْوَاجِبِ اعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الْعَسْكَرِ لَمْ يَكُنْ إلا مُجْتَهِدًا مُتَأَوِّلا كَالْعُلَمَاءِ بَل فِيهِمْ الْمُذْنِبُ وَالْمُسِيءُ وَفِيهِمْ الْمُقَصِّرُ فِي الاجْتِهَادِ لِنَوْعٍ مِن الْهَوَى لَكِنْ إذَا كَانَتْ السَّيِّئَةُ فِي حَسَنَاتٍ كَثِيرَةٍ كَانَتْ مَرْجُوحَةً مَغْفُورَةً. وَأَهْلُ السُّنَّةِ تُحْسِنُ القَولَ فِيهِم وَتَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ لَكِنْ لا يَعْتَقِدُونَ الْعِصْمَةَ مِنْ الإِقْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ وَعَلَى الْخَطَأِ فِي الاجْتِهَادِ إلا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَن سِوَاهُ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الإِقرَارُ عَلَى الذَّنْبِ وَالْخَطَأِ لَكِنْ هُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ** ﴾[2]. وَفَضَائِلُ الأَعْمَالِ إنَّمَا هِيَ بِنَتَائِجِهَا وَعَوَاقِبِهَا لا بِصُوَرِهَا".

قال الإمام النووي[3] عن الفتنة: "وَأَمَّا الْحُرُوب الَّتِي جَرَتْ فَكَانَتْ لِكُلِّ طَائِفَة شُبْهَة اِعْتَقَدَتْ تَصْوِيب أَنْفُسهَا بِسَبَبِهَا، وَكُلّهمْ عُدُول رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ، وَمُتَأَوِّلُونَ فِي حُرُوبهمْ وَغَيْرهَا، وَلَمْ يُخْرِجْ شَيْء مِنْ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْهُمْ عَنْ الْعَدَالَة؛ لأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ اِخْتَلَفُوا فِي مَسَائِل مِنْ مَحَلّ الاجْتِهَاد كَمَا يَخْتَلِف الْمُجْتَهِدُونَ بَعْدهمْ فِي مَسَائِل مِنْ الدِّمَاء وَغَيْرهَا، وَلا يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ نَقْص أَحَد مِنْهُم. وَاعْلَم أَنَّ سَبَب تِلْكَ الْحُرُوب أَنَّ الْقَضَايَا كَانَتْ مُشْتَبِهَة، فَلِشِدَّةِ اِشْتِبَاههَا اِخْتَلَفَ اِجْتِهَادهمْ، وَصَارُوا ثَلاثَة أَقْسَام:

قِسْم ظَهَرَ بِالاجْتِهَادِ أَنَّ الْحَقّ فِي هَذَا الطَّرَف، وَأَنَّ مُخَالِفه بَاغٍ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ نُصْرَته، وَقِتَال الْبَاغِي عَلَيْهِ فِيمَا اِعْتَقَدُوهُ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَحِلّ لِمَن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الأحقاف: ١٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٥/١٤٩.

هَذِهِ صِفَتُهُ التَّأَخُّرُ عَنْ مُسَاعَدَة إِمَام الْعَدْل فِي قِتَال الْبُغَاة فِي اِعْتِقَادٍ.

وَقِسْم عَكْس هَؤُلاءِ، ظَهَرَ لَهُمْ بِالاجْتِهَادِ أَنَّ الْحَقّ فِي الطَّرَف الآخَر، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مُسَاعَدَته، وَقِتَال الْبَاغِي عَلَيْهِ. وَقِسْم ثَالِث اِشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمْ الْقَضِيَّة، وَتَحَيَّرُوا فِيهَا، وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ تَرجِيح أَحَد الطَّرَفَيْنِ، فَاعْتَزَلُوا الْفَرِيقَيْنِ، وَكَانَ هَذَا الاعْتِزَال هُوَ الْوَاجِب فِي حَقِّهِم، لأَنَّهُ لا يَحِلُّ الإِقْدَام عَلَى قِتَال مُسْلِم حَتَّى يَظْهَرَ أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ، وَلَوْ ظَهَرَ لِهَؤُلاءِ رُجْحَان أَحَد الطَّرَفَيْنِ، وَأَنَّ الْحَقّ مَعَهُ ، لَمَا جَازَ لَهُمْ التَّأَخُّر عَنْ نُصْرَته فِي قِتَال الْبُغَاة عَلَيْهِ. فَكُلّهمْ مَعْذُورُونَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ، وَلِهَذَا اِتَّفَقَ أَهْل الْحَقّ وَمَنْ يَعْتَدُّ بِهِ فِي الإِجْمَاع عَلَى قَبُول شَهَادَاتهم وَرِوَايَاتهم، وَكَمَال عَدَالَتهم رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ أَجْمَعِين".

ط. عدم الغلو[1] في الصالحين

على الرغم من أن حب السلف من الأنبياء والرسل والصالحين من الإيمان ولكن مما يجب التنبيه إليه أن المبالغة والغلو في الأنبياء والصالحين من المنكرات التي حذر الشرع من الوقوع فيها لأنها قد تؤدي إلى الشرك الذي حذرنا الله ورسوله منه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ

(١) الغلو: قال الفيومي في المصباح المنير جـ٢/٤٥٢، مادة غلا: غلا في الدين غلواً من باب قعد تصلب وشدد حتى جاوز الحد وفي التنزيل ﴿لا تغلوا في دينكم﴾. وغالى في أمره مغالاة بالغ. وقال الإمام القرطبي في تفسير قوله ﴿ولا تغلوا في دينكم﴾ نهى عن الغلوّ، الغلو التجاوز في الحد ومنه غلا السعر يغلو غلاء ... ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربّاً، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر، ولذلك قال مطرف بن عبد الله: الحسنة بين سيئتين. الجامع لأحكام القرآن جـ٦/٢١.

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[1].

وقال ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس رضي الله عنه: **"إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم"**.[2]

قال الطحاوي: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من بغضهم، وبغير الحق يذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".

وقال ابن أبي العز في شرحها: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الروافض والنواصب ...".[3]

صور الغلو في الأنبياء والصالحين

والغلو في الأنبياء والصالحين صوره كثيرة نذكر منها أهمها وأخطرها وهي:

١. المبالغة في المدح والثناء والكذب فيه.
٢. التصوير وعمل الأنصاب وبناء القباب على القبور.
٣. اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها.
٤. دعوى أن الرجل الصالح يعلم الغيب وينفع ويضر.
٥. اعتقاد أن بعض المشايخ يمكنهم الاستغناء عن اتباع الرسول ﷺ.

١. المبالغة في المدح والثناء والكذب فيه

لقد نهى الله ﷻ عن المبالغة في كل الأمور ومدح التوسط فخير الأمور

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٥٢٨.

الوسط، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [1] وما أحسن قول القائل:

عليك بأوساط الأمور فإنها تجارة ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

وقال آخر:

وأوف ولا تستوف حقّك كلَّه وصافح فلم يستوف قط كريم

ولا تَغْلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

والرسول ﷺ ـوهو أكرم الخلق على الله وهو سيد الأولين والآخرينـ نهى أن يفضل على يونس بن متى، ونهى أن يمدح ويبالغ في مدحه فقال ﷺ: **"لا تطروني[2] كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وقولوا عبد الله ورسوله"**.[3]

وقد حدث ما حذّر منه الرسول ﷺ –وهذا مما يدل على صدق نبوتهـ عند بعض المسلمين، مثل قول بعضهم إن الرسول ﷺ خلق من نور أو إنه يعلم الغيب، ونحو ذلك.

ومن أمثلة الإطراء التي توقع من يعتقدها في الشرك قول البصيري في مدحه للرسول ﷺ في بردته المشهورة:

يا أكرَمَ الخلقِ ما لي مَن ألوذ[4] به سواك عند حدوث الحادث العَمَم

فإنّ من جودك الدنيا وضرتها[5] ومن علومك علم اللوحِ والقَلَم

---

(١) الإسراء: ٢٩.

(٢) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

(٣) البخاري.

(٤) ألوذ: ألتجئ إليه.

(٥) وضرتها: ضرة الدنيا والآخرة.

فالرسول ﷺ غني عن مثل هذا المدح فقد مدحه الله ﷻ في كتابه بقرآن يتلى، والرسول ﷺ لا يمكن أن يقبل أن يكون لله ندّاً وشريكاً. ورسالته غايتها إخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار.

وقال ﷻ على لسان نوح عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [1] وقال على لسان رسولنا محمد ﷺ: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [2].

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ [3].

٢. التصوير وعمل الأنصاب وبناء القباب على القبور

من الأشياء التي زيّنها الشيطان لبعض قليلي العلم وضعاف الإيمان تصوير الصالحين وتعليق صورهم وعمل الأنصاب والتماثيل لهم، وبناء القباب على قبورهم والتعلق بها وهذه الأعمال من أقوى دواعي الشرك وهي كانت سبباً لظهور الوثنية مرة ثانية بعد أن أذهبها الله على يد آدم ونوح عليهما السلام.

ظهور الوثنية

قال تعالى في سورة نوح: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [4].

---

(١) هود: ٣١.

(٢) الأعراف: ١٨٨.

(٣) الأحقاف: ٩.

(٤) نوح: ٢٣ – ٢٤.

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس ﷺ: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح للعرب بعد، أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سُواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ. وأما يعوق فكانت لهمدان. أما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ[1] العلم عُبِدت".[2]

وقال الإمام القرطبي في تفسير الآية السابقة[3]: " قال ابن عباس وغيره: هي أصنام وصور، كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب. وهذا قول الجمهور. وقيل: إنها للعرب لم يعبدها غيرهم. وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، فلذلك خصوها بالذكر بعد قوله تعالى: **﴿لا تذرن آلهتكم﴾**. ويكون معنى الكلام كما قال قوم نوح لاتباعهم: "لا تذرن ألهتكم" قالت العرب لأولادهم وقومهم: لا تذرن وداً، ولا سواعاً، ولا يغوث، ويعوق، ونسرا، ثم عاد بالذكر بعد ذلك إلى قوم نوح عليه السلام. وعلى القول الأول، الكلام كله منسوق في قوم نوح.

وقال عروة بن الزبير وغيره: اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر. وكان ود أكبرهم وأبرهم به.

قال محمد بن كعب: كان لآدم عليه السلام خمس بنين: ود، وسواع،

---

(١) تنسّخ العلم ذهب العلم.

(٢) البخاري كتاب التفسير باب "وداً ولا سواعاً ولا يغوث ولا يعوق"، رقم: ٤٩٢٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، جـ١٨/٣٠٧-٣١٠.

ويغوث، ويعوق، ونسر، وكانوا عباداً فمات واحد منهم فحزنوا عليه، فقال الشيطان: أنا أصور لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه. قالوا: أفعل. فصوره في المسجد من صفر ورصاص. ثم مات آخر، فصوره حتى ماتوا كلهم فصورهم. وتنقصت الأشياء كما تتنقص اليوم إلى أن تركوا عبادة الله تعالى بعد حين.

فقال لهم الشيطان: مالكم لا تعبدون شيئا؟ قالوا: وما نعبد؟ قال: آلهتكم وآلهة آبائكم، ألا تروها في مصلاكم.

فعبدوها من دون الله، حتى بعث الله نوحا فقالوا: ﴿**لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا**﴾ الآية.

وقال محمد بن كعب أيضا ومحمد بن قيس: بل كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم تبع يقتدون بهم، فلما ماتوا زين لهم إبليس أن يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم، وليتسلوا بالنظر إليها، فصورهم. فلما ماتوا هم وجاء آخرون قالوا: ليت شعرنا! هذه الصور ما كان آباؤنا يصنعون بها؟ فجاءهم الشيطان فقال: كان آباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر، فعبدوها فابتدئ عبادة الأوثان من ذلك الوقت.

ثم قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قلتُ: وبهذا المعنى فسر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة تسمى مارية، فيها تصاوير لرسل الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**".

وذكر الثعلبي عن ابن عباس قال: هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا في مجالسهم التي

كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم تذكروهم بها، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت من دون الله.

وذكر أيضا عن ابن عباس: أن نوحا عليه السلام، كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل بالهند، فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم، وإنما هو جسد، وأنا أصور لكم مثله تطوفون به، فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها. فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب.

قال الماوردي: **فأما ود**: فهو أول صنم معبود، سمي ودا لودهم له، وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل، في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل.

وأما سواع: فكان لهذيل بساحل البحر، في قولهم.

وأما يغوث: فكان لغطيف من مراد بالجوف من سبأ، في قول قتادة.

وقال المهدوي: لمراد ثم لغطفان. وقال الثعلبي: وأخذت أعلى وأنعم ــوهما من طيءــ وأهل جرش من مذحج يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً، ثم إن بني ناجية أرادوا نزعه من أعلى وأنعم.

وأما يعوق: فكان لكهلان من سبأ، ثم توارثوه حتى صار إلى همدان.

وأما نسر: فكان لذي الكلاع من حمير، في قول قتادة، ونحوه عن مقاتل.

وقال الواقدي: "كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير".

النهي عن التصوير

لقد نهى الإسلام عن التصوير وعمل الأنصاب لأن ذلك يكون ذريعة للإشراك بالله ﷻ وقد حاول الإسلام أن يسد كل الذرائع والطرق التي قد تكون منشأ للشرك ومن ذلك التصوير.

فقال ﷺ فيما يرويه عن ربه في حديث قدسي، قال تعالى: **"ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة"**.[1]

وقال ﷺ: **"كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم"**.[2]

وعن أبي الهياج قال: قال لي عليّ رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: **"ألا تدع صورة إلا طَمَستها ولا قبراً مُشرِفاً إلا سويته"**.[3]

٣. بناء القباب واتخاذ القبور مساجد

سبق أن ذكرنا نهي الإسلام عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الشرك، وسد كل الذرائع التي قد توصل إلى إفساد عقائد البشر، ومن ذلك نهي الرسول ﷺ عن بناء القباب واتخاذ المساجد عندها والدعاء.

فعن عائشة وابن عباس رضي الله عنه قالا: لما نـــزل[4] برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتمّ بها كشفها فقال وهو كذلك: **"لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**، يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه، مسلم كتاب الجنائز، الأمر بتسوية القبر رقم: (٩٦٩)، جـــ٢/٦٦٦.

(٤) نزل به مرض الموت.

قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً".[1]

وقال ﷺ: **"اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**.[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **"لعن الله زورات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج"**.[3]

ولا يغترّ أحد من إخواني المسلمين ــهداني الله وإياهمــ بدفنه ﷺ في حجرة أم المؤمنين عاشئة رضي الله عنها وبالقبة المضروبة على قبره الشريف.

فالرسول ﷺ ليس كأحدنا وعندما توافاه الله تشاور الصحابة فيما بينهم أين يدفن؟ فمنهم من قال: يدفن في البقيع مع صحابته فحسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخليفة الراشد الأمر بأن روى حديثاً عنه ﷺ مفاده أن الأنبياء يدفنون حيث ماتوا.

فحُرِّك السريرُ الذي كان عليه جسده الطاهر وحفر له في نفس الموضع، في حجرة عائشة رضي الله عنها صيانة له وإكراماً ألا يُتَّخذَ قبرُهُ عيداً فقد قال ﷺ: **"اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد"**.

أما القبة المضروبة على قبره الشريف فلم يأمر الرسول ﷺ ببنائها و لم يبنها خلفاؤه الراشدون ولا الصحابة المهديون وإنما بنيت في القرن السابع الهجري في عهد المماليك ــعهد ابن قولون ـــ فهي ليست فيها حجة لأحد في بناء القباب على قبور الأولياء والصالحين وقد ورد النهي صريحاً عن ذلك.

---

(١) متفق عليه، مسلم كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور رقم: ٥٣١.

(٢) الموطأ.

(٣) متفق عليه، البخاري كتاب المساجد، رقم ٥٣٠، والترمذي واللفظ له أبواب الصلاة باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً رقم: ٣٢٠ جـــ١٣٦/٣، وأخرجه أهل السنن، كما قال أحمد محمد شاكر، انظر سنن الترمذي، جـــ١٣٧/٣.

وقد رُوي أن رجلاً سأل الصحابي الجليل عبد الله بن عمر ﷺ أن يبني فسطاطاً[1] على ميت له فقال له ابن عمر: إنما يظله عمله، أي لا تفعل.

وما من أحد يشاهد ما يمارسه بعض جهلة المسلمين عند القباب وقبور الصالحين إلا ازداد يقيناً بصدق تنبؤات الرسول الكريم ﷺ، وعلم أن بناء القباب من أقوى دواعي الشرك وإحياء الوثنية. فهذه الأعمال تناسب عُبّاد الأوثان والأصنام ولا تليق بحال من الأحوال بأهل التوحيد أتباع محمد ﷺ.

٤. دعوى أن الرجل الصالح يعلم الغيب وينفع ويضر

علم الغيب من الأمور التي استأثر بها الله ﷻ دون غيره. فلم يطلع على غيبه ملكاً مقرَّباً، ولا نبياً مرسلاً، ولا عبداً من عباده مرتضى، قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

وقال ﷻ ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[3] والنافع الضار هو الله ﷻ، فالمرء مهما بلغ من الصلاح لا يستطيع أن ينفع نفسه أو يضرها وقد قال ﷻ على لسان رسوله محمد ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[4].

---

(١) الفسطاط: قال في المصباح جـ٢/٤٧٢، مادة فسط: الفسطاط بضم الفاء وكسرها بيت من الشعر والجمع فساطيط.

(٢) لقمان: ٣٤.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) الأعراف: ١٨٨.

وقد روي عنه ﷺ قوله: **"لا أدري أعزير نبي أم لا؟ ولا أدري أتبّع ملعون أم لا؟"**.

وعندما سئل ﷺ عن أحب البقاع إلى الله تعالى قال: **"لا أدري"**. وعن أبغض البقاع إلى الله قال: **"لا أدري"** حتى أوحى الله إليه فقال: **"أحب البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق"**. أو كما قال.

٥. اعتقاد أن بعض المشايخ يمكنهم الاستغناء عن شرع محمد ﷺ وتسقط عنهم التكاليف

أولياء الله أولى الأمة باتباع الرسول ﷺ في كل صغير وكبير، ولكن مما يؤسف له أن بعض مدعي الولاية لهم اعتقادات فاسدة تخرج المرء عن دائرة الإسلام.

من تلك الاعتقادات اعتقاد البعض ـ هدانا الله وإياهم ـ أنه يمكن للشيخ إذا وصل مرتبة معينة أن يعمل بما يوحيه إليه قلبه ويزعمون أنه يمكنه أن يستغني عن العمل بالأوامر والنواهي، وأن مرتبة الشيخ قد تكون أفضل من مراتب بعض الأنبياء عليهم السلام.

قال الإمام الطحاوي[1] رحمه الله: "ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء".

قال العلامة ابن أبي العز في شرحه لهذه العبارة[2] ما نصه: "يشير الشيخ

---

(١) العقيدة الطحاوية، ص: ٥٥٥.

(٢) المصدر السابق، ٥٥٥-٥٥٨.

رحمه الله إلى الرد على الاتحادية[1] وجهلة المتصوفة، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع. فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾[3].

قال أبو عثمان النيسابوري: من أَمَّر السنة على نفسه قولا وفعلا، نطق بالحكمة، ومن أَمَّرَ الهوى على نفسه، نطق بالبدعة. وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئا من السنة إلا لكبر في نفسه. والأمر كما قال، فإنه إذا لم يكن متبعا للأمر الذي جاء به الرسول، كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعا لهواه، بغير هدى من الله ، وهذا غش النفس، وهو من الكبر، فإنه شبيه بقول الذين قالوا: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾[4]

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة، وتصفية

---

(١) هم أصحاب عقيدة وحدة الوجود وهم يقولون: ليس هناك ثمة عبد ورب، وخالق ومخلوق، فالكل سواء فالعابد هو المعبود فالذي يعبد الوثن هو في الحقيقة يعبد الله. يقول ابن الفارض في ديوانه ص: ٣٤، السطرين ٩-١٠.

لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لِيَ صلّت!!
كلانا مصلّ واحد ساجد إلى ... حقيقة بالجمع في كل سجدة!!

(٢) النساء: ٦٤ – ٦٥.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) الأنعام: ١٢٤.

نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم! ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!!

ومنهم من يقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!! ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء!! ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مثبتا للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله!! وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره- قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم! وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

مقـــام النبـــوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي!

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (١)

والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك. وقال ابن عربي أيضا في ((فصوصه)): ولما مَثَّل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللَّبِن فرآها قد كملت إلا لَبِنَة، فكان هو ﷺ موضع اللَّبِنة، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤية، فيرى ما مثله النبي ﷺ، ويرى نفسه في الحائط في

(١) يونس: ٦٢ – ٦٣.

موضع لبنتين!! ويرى نفسه تنطبع في موضع اللبنتين، فيكمل الحائط!!

والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين: أن الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللَّبِنة الفضة هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في الشرع ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللَّبِنة الذهبية في الباطن! فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المَلَك الذي يوحي إليه الرسول ﷺ، قال: فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع!!

فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسول المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول؟! تلك أمانيهم: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾[1]. وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟ وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى منه الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى ناقد جيد، ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير.

وكفر[2] ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾[3]. ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين، لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ﷺ ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة

---

(١) غافر: ٥٦.

(٢) وابن عربي على الرغم من كفره الصريح البين هناك من يعتقد ولايته وصلاحه ويتوسل به كما هو الحال في التوسل بالرجال عند طائفة الختمية مثلاً ... بالشِّبل، بالحلاج، بابن عربي.

(٣) الأنعام: ١٢٤.

المسلمين لما يظهر منهم. فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجرى عليه حكم المرتد. ولكن في قبول توبته خلاف، والصحيح عدم قبولها، وهي رواية مُعَلَّى عن أبي حنيفة رضي الله عنه. والله المستعان".

ي. الاعتصام بالكتاب والسنة ومجانبة البدعة

من أوجب الواجبات التي ينبغي أن يلتزم بها أولياء الله التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وبما أجمع عليه سلف هذه الأمة.

وعلى العبد الصالح البعد والفرار عن كل مُحدَث مبتدع ليس له أصل في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ فقد أمر الله ﷻ بذلك ونهى عن الابتداع في دين الله ما لم ينـــزل به سلطاناً.

وقد حذّر الرسول ﷺ أمته من البدع ومحدثات الأمور.

الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة

لقد أمر الله ورسوله المؤمنين أن يعتصموا بالكتاب والسنة وأن يتحاكموا إليهما، وأن يردوا الخلاف والنـــزاع إليهما كذكل.

فقال ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [2].

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) النور: ٥١.

وقال ﷻ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [1] وقال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [2]. وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [3]. وقال ﷻ: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [4]. وقال تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [5].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **"دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم".** [6]

وعن أبي نجيح العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت[7] منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: **"أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد حبشي. فإنّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كبيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشيدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ**[8] **وإياكم**

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) الأحزاب: ٢١.

(٥) النور: ٦٣.

(٦) متفق عليه، البخاري جـ١٣/٢١٩، ومسلم: (١٣٣٧).

(٧) وَجِلت: خافت.

(٨) النواجذ: جمع ناجذ وهو الضرس، وقيل: الناب.

ومحدثات الأمور فإن كلّ بدعة ضلالة".[1]

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"كل أمتي يدخلون الجنة إلا من بي"** قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **"من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى".**[2]

النهي عن البدع[3]

لقد نهى الله عباده عن محدثات الأمور وحذّر رسوله ﷺ من البدع وقد ورد في ذلك العديد من الآيات والأحاديث نذكر منها:

- عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتدّ غضبه، حتى :كأنه منذِر[4] جيش يقول: **"صبّحكم ومسّاكم"** ويقول: **"بعثتُ أنا والساعة كهاتين"** ويقرن بين إصبعيه؛ السبابة والوسطى، ويقول: **"أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة".**[5]
- وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**[6]**"**[7] وفي رواية لمسلم: **"من عَمِلَ**

---

(١) رواه أبو داود رقم: (٤٦٠٧) والترمذي رقم: (٢٦٧٨) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) البخاري، جـ١٣/٢١٤.

(٣) البدعة: كل أمر محدث ليس له أصل من كتاب ولا سنة ولا إجماع يراد به التقرب إلى الله.

(٤) كأنه يخبر بجيش العدو.

(٥) متفق عليه، البخاري جـ٨/٥٣٠، ومسلم رقم: (٨٦٧).

(٦) رد: عمله هذا مردود لا يقبل منه ولا يثاب عليه.

(٧) متفق عليه.

عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

• وعن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".**[1]

ليست هناك بدعة حسنة قط

يخطئ كثير من الناس في استحسان وتزيين بعض المحدثات فيقسمون البدعة إلى حسنة وقبيحة. وعمدتهم في ذلك مقولة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ عندما جمع المسلمين في قيام رمضان على إمام واحد بعد أن كانوا يصلون جماعات متفرقة وقال له أبيّ بن كعب: إن هذا لم يكن، رد عليه عمر ﷺ بقوله: نعمت البدعة هذه. وفي رواية قال له: "إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة[2] وليس في ذلك حجة لأحد في أن يحسن أمراً محدثاً لم ينـــزل الله به سلطاناً لأن صلاة القيام فعلها النبي ﷺ في جماعة. فقد ثبت أنه خرج يوماً وصلى قيام رمضان وصلّى مع عدد من الصحابة، ثم خرج في اليوم التالي وازداد عددهم، وعندما اجتمعوا للصلاة في اليوم الثالث لم يخرج عليهم مخافة أن تفرض عليهم، وكان ﷺ رحيماً بأمته يحب لهم اليسر والتخفيف وقد رغب الرسول ﷺ في قيام رمضان وحثّ عليه، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ

---

(١) مسلم، رقم: (١٠١٧)، في كتاب الزكاة.

(٢) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ص: ٢٥٢.

قال: **"من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"**.[1]

وعنه ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول: **"من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"**.[2]

وكان الناس يصلون قيام رمضان في جماعات متفرقة كما ذكرت إلى أن جاء عمر ﷺ فجمعهم على إمام واحد بمسمع ومرأى من الصحابة، و لم يخالف منهم أحد، واستمر الحال هكذا في خلافة عثمان وعلي ﷺ، وتلقّت الأمة الإسلامية هذا العمل بالقبول التام والتسليم المطلق وأصبح سنة وشعاراً من شعائر الإسلام.

فيتبين من ذلك أن اجتماع الناس في قيام رمضان له أصل شرعي فعله الرسول ﷺ وفعله الصحابة الكرام من بعده، بجانب أنه فعل أحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا الرسول ﷺ بمتابعة سنّتهم فقال: **"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"**.

ومن هذا القبيل أيضاً أذان الجمعة الأول الذي سنه الخليفة الراشد عثمان ابن عفان ﷺ لحاجة الناس إليه.

فقد كان يأمر المؤذن أن يؤذن للناس وهم مجتمعون بالسوق قبل دخوله المسجد، وأقره على ذلك علي ﷺ، واستمر عليه عمل الناس، وأجمع عليه المسلمون إلى يومنا هذا.

---

(١) متفق عليه. مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، رقم: (٧٥٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترقيب في قيام رمضان، رقم (٧٥٩).

وقد قال ﷺ: **"لن تجتمع أمتي على ضلالة"**.[1]

وقد يحتج البعض كذلك في تقسيم البدعة إلى حسنة وقبيحة بمسألة جمع المصحف في كتاب واحد، وكذلك بمسألة جمع الخليفة عثمان رضي الله عنه الناس على مصحف واحد، ومسألة تدوين السنة النبوية، وكتابة العلوم الشرعية، ونحوها من المصالح التي لها أساس في الشرع.

فقد كان النبي ﷺ يأمر بكتابة الوحي وكان له كُتّاب متخصصون لذلك الغرض فلا فرق إذاً بين أن يُكتَب مفرقاً أو مجتمعاً.

وتقسيم البدعة إلى بدعة شرعية ليس لها أصل من كتاب ولا سنّة ولا إجماع، وإلى بدعة لغوية لها أساس في الشرع هو المراد من قوله ﷺ: **"من سن سنة حسنة"** أي من أحيا سنة قد أميتت أو عمل عملاً له أساس وأصل في الشرع، و**"من سن سنة سيئة"** أي من عمل عملاً ليس له أساس ولا أصل شرعي.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أيضاً ما ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي عن الحافظ أبي نُعَيم بإسناده عن إبراهيم بن الجنيد عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: "سمعت الشافعي يقول: "البدعة بدعتان، بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم". قال ابن رجب الحنبلي: "ومراد الشافعي رضي الله عنه ما ذكرناه من قبل وهو أن أصل البدعة المذمومة ما ليس له أصل في الشريعة ترجع إليه، وهي البدعة في إطلاق الشرع، أما البدعة المحمودة

---

(١) المراد اجتماع أهل العلم والفقه والفتوى ولو كان واحداً وليس المراد اجتماع الدهماء والجهلة، فهذا لا يعتدّ به. والحديث مروي بألفاظ مختلفة وهذه رواية ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الكف عمن قال لا إله إلا الله، وقد صححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٩٥٠.

فما وافق السنة، يعني ما كان لها أصل في السنة ترجع إليه وإنما هي بدعة لغة لا شرعاً لموافقتها السنّة، وقد روى الشافعي كلاماً آخر يفسر هذا وأنه قال: المحدثات ضربان: ما أُحدِث مما يخالف كتاباً أو سنّة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة، وما أحدث فيه من الخبر، لا خلاف فيه لواحد من هذا فهذه محدثة غير مذمومة".[1]

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أيضاً مراد اللغة العربية ومدلولاتها كقوله ﷺ: **"كل بدعة ضلالة"** ... الحديث. فكل في اللغة تفيد الحصر كما قال الشاعر العربي لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكلّ نعـــيم لا محـــالة زائل

فصدقه رسولُ الله ﷺ في صدر البيت، أما في عجز البيت فقال له: **"كذبت نعيم الآخرة لا يزول"**، لأن كلمة كل أداة حصر.

وإذا قلت مثلاً: كل الطلاب ناجحون، دل ذلك على عدم رسوب أحد منهم فلا ينبغي بعد ذلك أن يعمل عملاً ليس له أصل شرعي ثم ينسبه للإسلام بهذه الحجة.

فالإسلام بريء من هذا العمل وهو مردود على فاعله وصاحبه مأزور غير مأجور، ولا تغتر أخي المسلم ــهداني الله وإياكــ بوفرة البدع وكثرة أتباعها، ولا تغترّ بتحسين بعض الناس لبعض المحدثات التي زيّنها لهم الشيطان ليصدهم بها عن سبيل الرشاد، وعليك أن تتّبع فتسلم ولا تبتدع فتندم. ولله در الإمام المعظم، والخليل المفخم، إمام دار الهجرة، مالك بن أنس الذي كان كثيراً ما

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ص: ٢٥٣.

يردد:

وخيرُ أمورِ الدينِ ما كان سنّة ... وشـــرُّ الأمورِ المحدثات البدائِعُ

ك. مجانبة أهل البدع والأهواء

لقد نهى الله ﷻ عن مخالطة أهل البدع والأهواء زجراً لهم ولأمثالهم فقد قال الله ﷻ للسامري عندما اتخذ لبني إسرائيل عجلاً جسداً من ذهب له خوار فقام القوم حوله يرقصون ويتواجدون قال له: ﴿ **قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ** ﴾[1].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية[2]: "وقال الحسن البصري ــرحمه اللهــ: جعل الله عقوبة السامري ألا يماس[3] الناس ولا يماسوه عقوبة له ولمن كان منه إلى يوم القيامة، وكأن الله شدد عليه المحنة بأن جعله لا يماس أحداً وليمكِّن من أن يمسَّهُ أحد وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا".

ثم قال القرطبي رحمه الله: "هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا، وقد فعل النبي ﷺ ذلك بكعب بن مالك والثلاثة الذين خُلِّفوا. قلت: فينبغي لأولياء الله الصالحين الفرار من أهل البدع والمعاصي كفرارهم من الأسد وألا يخالطوهم ولا يعاشروهم ولا يوقروهم ففي مخالطتهم الضرر البليغ والأذى الجسيم.

---

(١) طه: ٩٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، جـــ١١/٢٤٠-٢٤١.

(٣) أي لا يخالط الناس ويعاشرهم ولا يخالطونه ولا يعاشرونه ويعيش وحيداً ذليلاً منبوذاً بسبب ما ابتدعه وهكذا ينبغي أن ينبذ جميع المبتدعة.

ل. الورع وترك الشُّبَه

ينبغي لأولياء الله الصالحين أن يتّصفوا بخلق الورع، وأن يبتعدوا عن الشبه، وعن كل ما يشينهم ويحط من قدرهم ويجعل الناس يسيئون بهم الظن.

فعن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إن الحلال بيّن، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألاً وإن لكل ملك حمى ألا إن حَمِي الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهي القلب".**(١)

وعن النواس بن سمعان ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في الصدر، وكرهت أن يطلع عليه الناس".**(٢)

وعن الحسن بن علي ﷺ قال: "حفظتُ من رسول الله ﷺ: **"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك".**(٣)

وعن عطية بن عروة السعدي الصحابي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس".**(٤)

وعن نافع أن عمر بن الخطاب ﷺ كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة

---

(١) متفق عليه، البخاري جـ١/١١٦، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) مسلم رقم: (٢٥٥٣).

(٣) الترمذي رقم: (٢٥٢٠)، وقال حديث حسن صحيح، وأحمد جـ١/٢٠٠، وصححه ابن حبان (٥١٢).

(٤) الترمذي رقم: (٢٤٥٣)، وقال حديث حسن، قال محقق رياض الصالحين ص: ٢٧٩: وفي سنده عبد الله ابن يزيد الدمشقي وهو ضعيف.

آلاف، وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقيل له: هو من المهاجرين فَلِمَ نقصته؟ فقال: إنما هاجر به أبوه، يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه".[1]

م. الاشتغال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها أولياء الله الصالحون كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد مدح الله جل ثناؤه هذه الأمة بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[2]، قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيرها[3]: مدح لهذه الأمر ما أقاموا على ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سبباً لهلاكهم.

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وردت آيات وأحاديث كثيرة تشهد بفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نذكر منها:

- قوله ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[4].
- وقله ﷻ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) البخاري، جـ٧/١٩٨.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، جـ٤/١٧٣.

(٤) آل عمران: ١٠٤.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1].

• وقوله ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[2].

• وقوله ﷻ على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[3]

أما الأحاديث فكثيرة جداً نذكر منها ما يلي:

• عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"**.[4]

• وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"ما من نبي بعثه الله في أمّة قبلي إلا كان له من أمّته حوارِيُّون[5] وأصحاب يأخذون بسنّته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف[6]، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"**.[7]

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"أفضل الجهاد كلمة حق**

---

(١) التوبة: ٧١.

(٢) الأعراف: ١٩٩.

(٣) لقمان: ١٧.

(٤) رواه مسلم رقم (٤٩) وأبو داود رقم (١١٤٠) والترمذي (٢١٧٣).

(٥) هم خلصاء الأنبياء وأصفياؤهم.

(٦) خلوف جمع خلْف بسكون اللام وهم الأشرار قال تعالى ﴿فخَلَفَ مِن بعدِهِم خَلْف أضاعُوا الصلاةَ واتبعوا الشهواتِ فسوفَ يلقونَ غياً﴾ ... الآية.

(٧) مسلم، رقم: (٥٠).

عند سلطان جائر".[1]

حكم الاشتغال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ذهب أهل العلم في حكم الاشتغال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذاهب:

١. فرض عين على كل مكَلَّف مستطيع حسب إمكاناته.

٢. واجب على قدر الطاقة.

٣. فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله ﷻ: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ** ﴾: " و (مِنْ) في قوله ﴿**منكم**﴾ للتبعيض، ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء. وقيل: لبيان الجنس، والمعنى لتكونوا كلكم كذلك.

قلت: القول الأول أصح، فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية، وقد عينهم الله تعالى بقوله: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ** ﴾[2] الآية، وليس كل الناس مكنوا".

وقد ورد في تفسير قوله ﷻ: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ** ﴾: "وقال ابن عباس: "المراد المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان. وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ. وقال عكرمة: هم أهل الصلوات الخمس. وقال الحسن

---

(١) الترمذي رقم (٢١٧٥) وقال حديث حسن، أبو داود رقم (٤٣٤٤)، وابن ماجة (٤٠١١)، وقال محقق رياض الصالحين ص: ١٠٤، وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف لكن له شاهد يقويه.

(٢) الحج: ٤١.

وأبو العالية: هم هذه الأمة إذا فتح الله عليهم أقاموا الصلاة. وقال ابن أبي نجيح: يعني الولاة. وقال الضحاك: هو شرط شرطه الله ﷻ على من آتاه الملك، وهذا حسن. قال سهل بن عبد الله: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على السلطان، وعلى العلماء الذين يأتونه وليس على الناس أن يأمروا السلطان، لأن ذلك لازم له واجب عليه، ولا يأمروا العلماء فإن الحجة قد وجبت عليهم".

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

"ودلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة.

وقال الحسن: قال النبي ﷺ: **"من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه"**.

الاستطاعة شرط في الأمر بالمعروف

والراجح والله أعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم ولكن كلا حسب طاقته وإمكاناته وقد بيّن الرسول ﷺ درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحديث السابق: **"من رأى منكم منكراً فليغيره** ..." الحديث. فأضعف الإيمان أن ينكر المرء المنكر بقلبه ومن لم يستطع الإنكار بالقلب فهو من المنافقين، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الفرق بين

(١) آل عمران: ٢١.

المؤمنين والمنافقين، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [1] وقال: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [2].

قال الإمام القرطبي رحمه الله[3]: "فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه".

ثم قال: أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الاذى فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فيقلبه ليس عليه أكثر من ذلك.

قال ابنُ عبد البر: "والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كثيرة جدا ولكنها مقيدة بالاستطاعة".

قال الحسن ــالبصريــ: "إنما يُكَلَّم مؤمن يرجى، أو جاهل يعلم، فأما من وضع سيفه أو سوطه فقال: اتقني اتقني فما لك وله".

قال العلماء: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء، يعني عوام الناس.

وقال ابن عطية: "والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا

---

(١) التوبة: ٧١.

(٢) التوبة: ٦٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، جـ ٤/٤٧-٤٨.

المنكر ولا يخالطه".

العدالة ليست شرطاً في الأمر والنهي

ينبغي على كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حسب طاقته ــ كما مر سابقاً ــ وليس من شروط الآمر والناهي أن يكون عَدْلاً فإن العدالة محصورة في أناس قليلين والكمال لله وحده وما لا يدرك كله لا يترك جله.

قال الإمام القرطبي: "ليس من شرط الناهي أن يكون عدلا عند أهل السنة، خلافا للمبتدعة حيث تقول: لا يغيره إلا عدل. وهذا ساقط، فإن العدالة محصورة في القليل من الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام في جميع الناس.

فإن تشبثوا بقوله تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**﴾ وقوله: ﴿**كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ ونحوه، قيل لهم: إنما وقع الذم ها هنا على ارتكاب ما نهي عنه لا على نهيه عن المنكر.

ولا شك في أن المنهي عنه ممن يأتيه أقبح ممن لا يأتيه، ولذلك يدور في جهنم كما يدور الحمار بالرحى.

وقال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى[1]:﴿ **أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ** ... ﴾[2]: "اعلم وفّقك الله تعالى أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر ولهذا ذم الله تعالى في كتابه قوما كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها وبخهم به توبيخا يتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، جـ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) البقرة: ٤٤.

ثم سرد عدداً من الأبيات والمواعظ منها:

قال أبو العتاهية:

وصَفتَ التُّقَى حتى كأنَّكَ ذُو تُقى وريحُ الخَطايا مِن ثيابِكَ تَسطَع

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإن انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم

وقال أبو عمرو بن مطر: حضرت مجلس أبي عثمان الحيري الزاهد، فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير، فسكت حتى طال سكوته، فناداه رجل كان يعرف بأبي العباس: ترى أن تقول في سكوتك شيئا؟ فأنشأ يقول:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي والطبيب مريض

قال: فارتفعت الاصوات بالبكاء والضجيج.

قال إبراهيم النخعي: إني لاكره القصص لثلاث آيات، قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ** . . .﴾ الآية، وقوله: ﴿**لم تقولون ما لا تفعلون**﴾، وقوله: ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾.

وقال الحسن لمُطَرِّف بن عبد الله: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، قال: يرحمك الله! وأينا يفعل ما يقول! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف و لم ينه عن منكر.

وقال مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر

أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. قال مالك: وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيء؟!.

قال القرطبي[1]: وقال حذاق أهل العلم: وليس من شرط الناهي أن يكون سليما عن معصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضاً. وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكئوس أن ينهى بعضهم بعضا واستدلوا بهذه الآية ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾، قالوا: لأن قوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي. وفي الآية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين والأمر بتركهم وهجرانهم".

ويؤيد ما ذهبنا إليه من أن العدالة ليست شرطاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "... **أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**".[2]

وذكر في الحديث قصة الرجل الذي قاتل وقال عنه النبي ﷺ: "**إنه من أهل النار**" وظهر بعد ذلك أنه قتل نفسه.

قال ابن المنير[3]: معلقاً على ترجمة البخاري: "موضع الترجمة من الفقه أن لا يتخيل في الإمام إذا حمى حوزة الإسلام وكان غير عادل أنه يُطْرح النفع في الدين لفجوره فيجوز الخروج عليه، فأراد أن هذا التخيل مندفع بهذا النص، وأن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، جـ٦/٢٥٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، رقم: (٣٠٦٢).

(٣) الفتح، جـ٦/١٨٠.

الله قد يؤيد دينه بالفاجر، وفجوره على نفسه".

التحذير وعقاب ترك الأمر والنهي

لقد حذر الله ﷻ عباده مغبة التهاون وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكى لنا ما أصاب الأمم السابقة من جراء ذلك فقال ﷻ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

وقال: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ[2] بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[3].

وقد حذرنا رسولنا ﷺ من التهاون والتباطؤ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أحاديث كثيرة، منها:

- عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**والذي نفسي بيده لتأمُرُنّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**".[4]
- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن أول ما دخل النقص**

---

(١) المائدة: ٧٨ – ٧٩.

(٢) بئيس: شديد.

(٣) الأعراف: ١٦٥.

(٤) الترمذي، رقم (٢١٧٠)، وقال حسن. قال محقق رياض الصالحين، ص: ١٠٤: وفي سنده عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الراوي عن حذيفة لم يوثقه غير ابن حبان لكن له شاهد من حديث ابن عمر عند الطبراني في الأوسط وآخر عن أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط، انظر مجمع الزوائد جـ٧/٢٦٦.

على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض". ثم قال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ .... ﴾ الآية، ثم قال:

"كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهونّ عن المنكر، ولتأخذُنّ على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم".[1]

ن. الاهتمام بأمر المسلمين

من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم فعلى العبد الصالح أن يهتم بأمر إخوانه المسلمين وأن يعمل على إعانتهم ومساعدتهم، ودرء المخاطر عنهم، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فقد بيّن الرسول ﷺ أن مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد وكمثل البينان يشد بعضه بعضاً، فقال ﷺ فيما يرويه عنه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"**، ثم شبّك بين أصابعه.[2]

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"مثل المؤمنين في**

---

(١) أبو داود، رقم (٣٣٦)، والترمذي رقم: (٣٥٠)، وابن ماجه (٤٠٠٦) وفي سنده انقطاع لكن في الباب عن أبي موسى عند الطبراني قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/٧: ورجاله رجال الصحيح، انظر هامش رياض الصالحين، ص: ١٠٥.

(٢) متفق عليه، البخاري، كاب الأدب باب تعاون المؤمنين، رقم: (٦٠٢٦) ومسلم، رقم: (٢٥٨٥).

توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إلا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".[1]

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من لا يرحم لا يرحم".**[2]

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّ لنفسه"**[3]، ومعنى "لا يؤمن" لا يكون مؤمناً كامل الإيمان وليس المراد نفي الإيمان عنه بالكلية.

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه**[4]**، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة".**[5]

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: **"أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار القسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي وإفشاء السلام.**

ونهانا عن خواتيم أو تختم بالذهب، وعن شرب بالفضة، وعن المياثر[6]

---

(١) متفق عليه، البخاري، جـ ١٠/٣٦٧، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ١٣/٣٠٣، ومسلم رقم (٢٣١٩).

(٣) متفق عليه، البخاري، جـ ١/٥٣، ومسلم: (٤٥).

(٤) أي لعدوه.

(٥) متفق عليه، البخاري جـ ٥/٧٠-٧١، ومسلم (١٥٨٠).

(٦) المياثر: جمع ميثرة، وهي شيء يتخذ من حرير ويحشى قطناً أو غيره ويجعل في السرج وكور البعير، رياض الصالحين، ص: ١٢٤.

الحُمُر، وعن القسيّ[1]**، وعن لبس الحرير والإستبرق والديباج".**[2] وفي رواية: **"وإنشاد الضالة في السبع الأول".**

وقال ﷺ: **"كل مسلم على المسلم حرام؛ عرضه، وماله، ودمه".**[3]

ت. التَّوَكّل على الله

من صفات عباد الله المتقين وجنده الصالحين، التوكل والاعتماد على الله في كل الأمور.

تعريف التوكل

التوكل هو اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب، ومع كامل اليقين أن الرازق الخالق، المحيي المميت، والمعطي المانع هو الله ﷻ لا إله غيره ولا رب سواه.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"لو أنكم تتوكلون على الله حق توكّله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتعود بطاناً".**[4]

---

(١) القسي: ثياب من حرير، المصدر السابق.

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ٣/٩٠، ومسلم: (٢٠٦٦).

(٣) الترمذي: (١٩٢٨)، وهو صحيح.

(٤) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٤٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأخرجه أحمد في مسنده، ١/٣٠، وابن ماجه (٤١٦٤) وقال محقق رياض الصالحين ص: ٥٢: وإسناده صحيح، وصححه الحاكم، ج٤/٣١٨.

قال الإمام النووي رحمه الله[1] مبيناً لمعنى الحديث: "معناه تذهب أول النهار خماصاً: أي ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار بطاناً، أي ممتلئة البطون.

هذا مذهب أهل السنة، وسلف هذه الأمة، وذهبت المتصوفة إلى أنه لا يبلغ درجة التوكّل إلا إذا ترك السعي في طلب الرزق وهذا الكلام باطل مردود.

قال القرطبي[2]: "وأختلف العلماء في حقيقة التوكل، فسئل عنه سهل بن عبد الله فقال: قالت فرقة الرضا بالضمان، وقطع الطمع من المخلوقين. وقال قوم: التوكل ترك الأسباب، والركون إلى مسبب الأسباب، فإذا شغله السبب عن المسبب زال عنه اسم التوكل.

قال سهل: "من قال إن التوكل يكون بترك السبب فقد طعن في سنة رسول الله ﷺ لأن الله ﷻ يقول: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ فالغنيمة اكتساب. وقال تعالى: ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ فهذا عمل.

وقال النبي ﷺ: **"إن الله يحب العبد المحترف"**. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقترضون على السرية[3]".

وقال غيره: وهذا قول عامة الفقهاء، وأن التوكل على الله هو الثقة بالله والإيقان بأن قضاءه ماض، وأتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه من

---

(١) رياض الصالحين، ص: ٥٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن.

(٣) السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة.

الأسباب من مطعم ومشرب وتحرز من عدو وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة.

وإلى هذا ذهب محققو الصوفية، لكنه لا يستحق اسم التوكل عندهم مع الطمأنينة إلى تلك الاسباب والالتفات إليها بالقلوب، فإنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، بل السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل منه وبمشيئته، ومتى وقع من المتوكل ركون إلى تلك الاسباب فقد انسلخ عن ذلك الاسم.

ثم المتوكلون على حالين:

الأول: حال المتمكن في التوكل فلا يلتفت إلى شيء من تلك الأسباب بقلبه، ولا يتعاطاه إلا بحكم الأمر.

الثاني: حال غير المتمكن وهو الذي يقع له الالتفات إلى تلك الأسباب أحيانا غير أنه يدفعها عن نفسه بالطرق العلمية، والبراهين القطعية، والأذواق الحالية، فلا يزال كذلك إلى أن يرقيه الله بجوده إلى مقام المتوكلين المتمكنين، ويلحقه بدرجات العارفين.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[1]: "وأصل التوكل الوُكول، يقال وكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانا استكفاه أمره ثقة بكفايته. والمراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا**﴾[2] وليس المراد به ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين، لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل.

وقد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئاً

---

(١) جـ١١/٣٠٥-٣٠٦.

(٢) هود: ٦.

حتى يأتيني رزقي فقال: "هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي ﷺ: **"إنَّ اللهَ جَعَلَ رِزقي تحتَ ظلِّ رُمْحِي"**[1] وقال: **"لو تَوَكَّلْتُم على الله حَقَّ توكِّلِهِ لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"**[2].

فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق قال: وكان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم، والقدوة بهم. انتهى.

وقال الحافظ[3]: "قيل: لا يستحق التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف من شيء البتة حتى السبع الضاري والعدو العادي ، ولا من لم يسع في طلب رزق ولا في مداواة ألم، والحق أن من وثق بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماض لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب اتباعا لسنته وسنة رسوله ، فقد ظاهر ﷺ في الحرب بين درعين، ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشِّعْب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة، وهاجَرَ هو، وتعاطى أسبابَ الأكل والشرب، وادخر لأهله قوتهم ولم ينتظر أن يترل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك، وقال للذي سأله: أعقل ناقتي أو أدعها ؟ قال: **"اعقلها وتوكل"** فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل، والله أعلم".

فضل التوكل على الله

لقد ورد في فضل التوكل على الله العديد من الآيات الكريمة والأحاديث

---

(١) البخاري في الجهاد.

(٢) الترمذي والحاكم وصححاه كما قال الحافظ في الفتح، جـ١١/٣٠٦.

(٣) الفتح: جـ١٠/٢١٢.

النبوية الشريفة نذكر منها ما يأتي:

- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [1].
- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ [2] قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [3].
- وقال ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [4].

وأما الأحاديث فمنها:

- عن عبد الله بن عباس [5] ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **"عرضت عليّ الأمم فرأيت النبيّ ومعه الرُّهَيط [6]، والنبي ومعه الرجل أو الرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفِع إليّ سواد عظيم [7] فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، لكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمّتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب"**. ثم نهض فدخل منـــزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين

---

(١) آل عمران: ١٧٣.

(٢) وجلت: خافت.

(٣) الأنفال: ٢.

(٤) الفرقان: ٥٨.

(٥) متفق عليه، في كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، رقم: ٦٥٤١، ومسلم: ٢٢٠، ولفظه: "لا يرقون" انفرد بها مسلم، انظر الفتح، جـــ١١/٤٠٥، والصفحات التي تليها.

(٦) الرُهيط: تصغير رهط وهم دون عشرة أنفس.

(٧) أناس كثيرون.

وُلِدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئاً ـوذكروا أشياءـ فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: **"ما الذي تخوضون فيه؟"** فأخبروه، فقال: **"هم الذين لا يرقون ولا يسترقون**[1] **ولا يتطيرون**[2] **وعلى ربهم يتوكلون"**، فقام عكاشة بن مُحصِن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: **"أنت منهم"**، فقام آخر فقال: "ادع الله أن يجعلني منهم" فقال: **"سبقك بها عكّاشة"**.

• وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾[3].

وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: "حسبي الله ونعم الوكيل".

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من قال** ـيعني إذا خرج من بيتهـ **بسم الله، توكّلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له؛ هُديتَ، وكُفيتَ، ووُقيتَ وتنَحَّى عنه الشيطان"**.[4]

السعي والكسب لا ينافي التوكّل

السعي وراء الرزق ليعفّ الإنسان نفسه ومن يعول عن السؤال من صميم التوكّل، فقد رفع أبو هريرة رضي الله عنه إلى النبي ﷺ: **"أفضل ما أكل الرجل من**

---

(١) أي لا يطلبون الرقية من غيرهم.

(٢) يتطيرون: يتشاءمون.

(٣) آل عمران: ١٧٣.

(٤) أبو داود، (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٢)، وصححه وابن حبّان رقم: (٢٣٧٥).

كسبه، وكان داود يأكل من كسبه".[1] فقال عنه ﷻ: ﴿**وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ**﴾[3] وقال: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ**﴾[4].

قال أبو القاسم القُشيري[5]: "التوكّل محلّه القَلْب، وأما الحركة الظاهرة فلا تنافيه إذا تحقق العبد أن الكل من قبل الله، فإن تيسر شيء فبتيسيره وإن تعسر فبتقديره".

وقال الحافظ[6]: "وأما قول القائل: كيف نطلب ما لا نعرف مكانه؟ فجوابه أنه يفعل السبب المأمور به ويتوكل على الله فيما يخرج عن قدرته فيشقّ الأرض مثلاً، ويلقي الحبّ، ويتوكل على الله في إنباته وإنزاله الغيث له، ويحصل السلعة وينقلها، ويتوكل على الله في إلقاء الرغبة في قلب من يطلبها منه، بل ربما كان التكسّب واجباً كقادر على الكسب يحتاج عياله للنفقة فمتى ترك ذلك كان عاصياً".

وقال ابن الجوزي في "تلبيس إبليس"[7] بعد أن ذكر مقالات لبعض المتصوفة فحواها أن الكسب يتنافى مع حقيقة التوكل في بيان تلبيس إبليس على كثير من المتصوفة في ترك الأسباب. قلت: هذا كلام قوم ما فهموا معنى

---

(١) البخاري، جـ٤، ٢٥٩، وجـ٣/٢٦٥.

(٢) الأنبياء: ٨٠.

(٣) النساء: ٧١.

(٤) الأنفال: ٦٠.

(٥) الفتح، جـ١١/٤١٠.

(٦) المصدر السابق.

(٧) ص: ٢٨١-٢٨٣.

التوكل، وظنوا أنه ترك الأسباب وتعطيل الجوارح عن العمل، وقد بيّنا أن التوكل فعل القلب، فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حرّاثاً، ونوح وزكرياً نجّارين، وإدريس خيّاطاً، وإبراهيم ولوط زرّاعين، وصالح تاجراً، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة، صلوات الله عليهم أجمعين. وقال نبينا ﷺ: **"كنت أرعى غنماً لأهل مكة بالقراريط"**، فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتجّ إلى الكسب. وقد كان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة رضي الله عنهم بزازين.[1] وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازَين، وكان الزبير ابن العوام، وعمرو بن العاص، وعامر بن كريز خزّازين[2] وكذلك أبواب حنيفة، وكان سعد بن أبي وقاص يُبرِي النبل وكان عثمان بن طلحة خيّاطاً، وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب.

ثم روى بسنده إلى عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه أصبح غادياً إلى السوق على رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا: أين تريد؟ قال: السوق، فقالا: تصنع ماذا، وقد ولّيت أمور المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟

ثم روى بسنده كذلك إلى ميمون بن مهران قال: لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفَين[3]، فقال: زيدوني فإنّ لي عيالاً وقد شغلتموني عن التجارة

---

(١) بائعي الثياب.

(٢) يعمل الخزّ وهي ثياب تنسج من صوف وإبريسم، هامش تلبيس إبليس، ص: ٢٨٢.

(٣) درهم.

فزادوه خمسمائة.

ثم قال: قلت: لو قال رجل للصوفية: من أين أطعم عيالي؟ لقالوا: قد أشركت، ولو سئلوا عمن يخرج إلى التجارة لقالوا: ليس بمتوكل ولا موقن، وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين: أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى إلى الدنيا مستجدياً، ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له .. وأما الجلوس في الرباط في هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح[1] كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء.

وقد روي[2] عن أحمد ــرحمه اللهــ أنه قال لبعض أهل اليمن ممن يزعم أنهم متوكلون ويأتون إلى الحج بدون تزوّد، قال لأحدهم: "إنْ كنْتَ متوَكِّلاً حقاً فلا تخرج مع القافلة"، فأبى إلا الخروج مع القافلة فقال له أحمد: فعلى جُرُب القوم توكَّلْتَ!!! ثم ذكر ابن الجوزي بعض الآثار في الحث على الاحتراف والتكسّب نذكر منها[3]:

- كان سعيد بن المسيّب يقول: "من لزم المسجد وترك الحرفةَ وقَبِل ما يأتيه فقد ألحَفَ في السؤال".
- وكان أبو تراب يقول لأصحابه: "من لبس منكم المرقعة فقد سأل، ومن قعد في خانقاه[4] أو مسجد فقد سأل".

---

(١) يريد عطايا من الناس.

(٢) تلبيس إبليس، ص: ٢٨٤.

(٣) انظر تلبيس إبليس، ص: ٢٨٣-٢٨٥.

(٤) الخان: ما ينــزله المسافرون، المصباح جـ١/١٨٤.

• وقال عمر بن الخطاب ﷺ: "يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين".

• وعن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه: هل له من حرفة، فإن قيل: لا، قال: سقط من عيني.

• وقال أحمد بن حنبل: "قد أمرت ــيعني أولادهــ أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة"، وقال أحمد بن حنبل: "أحب الدراهم إليّ درهم من تجارة، وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان".

• وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: "سألت أبي عن قوم يقولون: نتوكّل على الله ولا نكتسب فقال: ينبغي للناس كلّهم أن يتوكلوا على الله ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب، هذا قول إنسان أحمق".

الرقية لا تنافي التوكل على الله

كما ذكرنا سابقاً فإن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع كمال التوكل واليقين، فالسعي لطلب الرزق والتداوي والتعلم كل هذا بتقدير الله ﷻ كما قال الخليفة الراشد الملهم عمر بن الخطاب ﷺ: "نفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله"، عندما قال له الصحابي الجليل أبو عبيدة وقد نزل الطاعون ببلاد الشام: نفرّ من قدر الله؟

فالرقى السنِّية الثابتة عن رسول الله ﷺ لا تنافي بين الأخذ بها والتوكل على الله ﷻ، بل هي في الحقيقة ذكر ودعاء وتضرع لله ﷻ من عبد ذليل فقير محتاج مضطر.

وكما سبق أن ذكرنا أن لفظة "لا يرقون" الواردة في حديث ابن عباس

ﷺ الآنف الذكر انفرد بتخريجها الإمام مسلم رحمه الله.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[1] معلقاً على ما رواه البخاري عنه ﷺ: **"كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون"**.

"اتفق على ذكر هذه الأربع معظم الروايات في حديث ابن عباس وإن كان عند البعض تقديم وتأخير، وكذا في حديث عمران بن حصين عند مسلم، وفي لفظ له سقط "ولا يتطيرون" هكذا في حديث ابن مسعود وفي حديث جابر اللذين أشرت إليهما بنحو الأربع.

ووقع في رواية سعيد بن منصور عند مسلم "ولا يرقون" بدل "ولا يكتوون" وقد أنكر الشيخ تقي الدين ابن تيمية هذه الرواية وزعم أنها غلط من راويها، واعتل بأن الراقي يحسن إلى الذي يرقيه فكيف يكون ذلك مطلوب الترك؟ وأيضاً فقد رقى جبريل النبي ﷺ ورقى النبي أصحابه وأذن لهم في الرقى وقال "من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل" والنفع مطلوب.

وقال: وأما المسترقي فإنه يسأل غيره ويرجو نفعه ، وتمام التوكل ينافي ذلك.

قال: وإنما المراد وصف السبعين بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يكويهم ولا يتطيرون من شيء.

قال الحافظ: وأجاب غيره بأن الزيادة من الثقة مقبولة وسعيد بن منصور حافظ وقد اعتمده البخاري ومسلم واعتمد مسلم على روايته هذه وبأن تغليط الراوي مع إمكان تصحيح الزيادة لا يصار إليه. والمعنى الذي حمله على التغليط

---

(١) الفتح جـ ١١/٤٠٩.

موجود في المسترقي لأنه اعتل بأن الذي لا يطلب من غيره أن يرقيه تام التوكل فكذا يقال له: والذي يفعل غيره به ذلك ينبغي أن لا يمكنه منه لأجل تمام التوكل.

وليس في وقوع ذلك من جبريل دلالة على المدعى ولا في فعل النبي ﷺ له أيضا دلالة لأنه في مقام التشريع وتبين الأحكام.

ويمكن أن يقال: إنما ترك المذكورون الرقى والاسترقاء حسما للمادة؛ لأن فاعل ذلك لا يأمن أن يكل نفسه إليه وإلا فالرقية في ذاتها ليست ممنوعة وإنما منع منها ما كان شركا أو احتمله ومن ثم قال ﷺ: "**اعرضُوا عليَّ رقاكم، ولا بأسَ بالرقى ما لم يكُنْ شركٌ**"، ففيه إشارة إلى علة النهي كما تقدم تقرير ذلك واضحاً في كتاب الطب.

ثم قال الحافظ: وقد نقل القرطبي عن غيره أن استعمال الرقى والكي قادح في التوكل بخلاف سائر أنواع الطب، وفرق بين القسمين بأن البرء فيهما أمر موهوم وما عداهما محقق عادة كالأكل والشرب فلا يقدح.

ثم قال: قال القرطبي وهذا فاسد من وجهين:

أحدهما: أن أكثر أبواب الطب موهوم.

والثاني: أن الرقى بأسماء الله تعالى تقتضي التوكل عليه والالتجاء إليه والرغبة فيما عنده والتبرك بأسمائه، فلو كان ذلك قادحا في التوكل لقدح الدعاء إذ لا فرق بين الذكر والدعاء، وقد رُقِيَ النبي ﷺ ورَقَى وفعله السلف والخلف، فلو كان مانعا من اللحاق بالسبعين أو قادحا في التوكل لم يقع من هؤلاء وفيهم من هو أعلم وأفضل ممن عداهم.

ث. حسن الخُلُق

ينبغي على أولياء الله المتقين وعباده الصالحين أن يكونوا من أحسن الناس خلقاً تأسِّياً برسول الله ﷺ واقتداء بصحابته وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم.

لقد مدح الله رسوله بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً". [2]

ومن حسن خُلُقه ﷺ ما رواه عنه خادمه أنس بن مالك الذي كان ملازماً له ملازمة الظل ولمدة عشر سنوات قال أنس: ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط أفّ، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟. [3]

كان خلقه القرآن

عندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه قالت قولاً موجزاً بليغاً: "كان خلقه القرآن"[4]، يعني كان مؤتمراً بأمره ومنتهياً بنهيه ومتمثلاً لما جاء به في كل صغير وكبير.

فمن أراد أن يكون من أحسن الناس خلقاً فعليه التمسك بكتاب الله

---

(١) القلم: ٤.

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ ١٠/٤٨٠، ومسلم رقم: (٢١٥٠).

(٣) متفق عليه، البخاري جـ٦/٤٢٠-٤٢١، ١٠/٣٨٣-٣٨٤، ومسلم (٢٣٣٠) و(٢٣٠٩).

(٤) رواه مسلم من صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل، حديث رقم: (١٣٩) والمسند جـ٦/١٨٨.

وبسنة رسول الله ﷺ.

فضل حسن الخلق

لقد وردت أحاديث كثيرة في فضل حسن الخلق نذكر منها ما يلي:

• عن النواس بن سمعان ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم فقال: "**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**".(١)

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً، ولا متفحشاً، وكان يقول: "**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**".(٢)

• وعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وأن الله يبغض الفاحش البذيء**".(٣)

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخِل الناس الجنة؟ فقال: "**تقوى الله، وحسن الخلق**"، وسئل عن أكثر ما يُدخِل الناسَ النارَ؟ فقال: "**الفم، والفَرْج**".(٤)

---

(١) مسلم، رقم: ٢٥٥٣، والترمذي (٢٣٩٠).

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ١٠/٣٧٨.

(٣) أخرجه الترمذي رقم: ٢٠٠٣-٢٠٠٤، وقال حديث حسن صحيح، قال محققو رياض الصالحين ص: ٢٨٨: وفي سنده يعلَى بن مالك لم يوثقه غير ابن حبان، لكن أخرج الشطر الأول منه أحمد، جـ ٦/٤٤٢-٤٤٦-٤٤٨، وأبو داود رقم: (٤٧٩٩)، من طريق آخر عنه وسنده صحيح وصححه ابن حبان: (١٩٢١)، وللشطر الآخر شواهد تصححه.

(٤) الترمذي: (٢٠٠٥) وأحمد جـ٢/٢٩١-٣٩٢، وابن ماجه: (٢٦٤٦)، وإسناده حسن وصححه ابن حبان، رقم: (١٩٢٣).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم".**[١]

• وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"أنا زعيم[٢] ببيت في ربض[٣] الجنة لمن ترك المراء[٤] ولو كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".**[٥]

ويتمثل حسن الخلق في الآتي:

١. طيب الكلام وطلاقة الوجه.
٢. حسن المعاملة.
٣. الحلم وكظم الغيظ.
٤. عدم الغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله.
٥. الحياء.
٦. لا يعيب طعاماً قدم له.
٧. السخاء والجود.
٨. عدم الحسد والبغضاء.

طيب الكلام وطلاقة الوجه

طيب الكلام ولين الجانب وبشاشة الوجه من البر ومن المعروف خاصة

---

(١) أبو داود (٤٧٩٨)، وصححه ابن حبان.

(٢) زعيم: ضامن.

(٣) رَبَض: طَرَف.

(٤) المراء: الجدل بدون حجة ولا برهان.

(٥) رواه أبو داود رقم: (٤٨٠٠)، قال النووي، في رياض الصالحين، ص: ٢٨٩: حديث صحيح.

للضعفاء ولمن هم دونك فقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ فقال: ﴿**وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾[1]، وقال في مدحه كذلك: ﴿**وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ**﴾[2]. والكلمة الطيبة صدقة وتباعد بين المرء وبين النار، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**اتقوا النار ولو بشِقّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيّبة**".[3] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "**لا تحقرَنّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**".[4]

حسن المعاملة

من حسن خلق المرء أن يحسن معاملة جميع من يعاشرهم خاصة الذين يكونون تحت كفالته ورعايته كالوالدين والزوجة والأولاد والعمال وأن يحسن معاملة جيرانه وأقربائه.

فقد جاء في الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**".[5] وفي رواية لمسلم: "**حتى يحبّ لجاره ما يحِبُّ لنفسه**".

والمراد بقوله: "لا يؤمن أحدكم" أي لا يكون مؤمناً كامل الإيمان وليس المراد نفي الإيمان بالكلية عمن لا يحبّ لأخيه ولجاره مثل ما يحب لنفسه.

---

(١) الحجر: ٨٨.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) متفق عليه، البخاري جـ١٠/٣٧٠، ومسلم: (١٠١٦).

(٤) مسلم، رقم: (٢٦٢٦).

(٥) متفق عليه، البخاري، ١/٥٣-٥٤، ومسلم رقم: (٤٥).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائه"**.[1]

ومن حسن الخلق احتمال الأذى خاصة من الزوجة والجيران والأقارب، فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ! فقال: **"لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل[2] ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك"**.[3]

وأولى الناس بحصن الخلق الوالدان، فعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! من أحقّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: **"أمك"**، قال: ثم من؟ قال: **"أمك"**، قال: ثم من؟ قال: **"أمك"**، قال: ثم من؟ قال: **"أبوك"**، وفي رواية: يا رسول الله! من أحق بحسن الصحبة؟ قال: **"أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك"**. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **"الرَّحِم مُعَلَّقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله"**.[4]

ومن حسن الخلق رسول الله ﷺ ما رواه أنس ﷺ قال: **"كانت الأمة**[5]

---

(١) رواه الترمذي: (١١٦٢)، وأخرجه أحمد في المسند، جـ٢/٢٥٠-٤٧٢، وسنده حسن وصحّحه ابن حبان: (١٣١١)، والحاكم، جـ ١/٣، ووافقه الذهبي، انظر هامش رياض الصالحين، ص: ١٤٣.

(٢) الملّ: الرماد الحار.

(٣) مسلم، رقم: (٢٥٥٨).

(٤) مسلم، رقم: (٢٥٥٨).

(٥) الأَمة: الجارية.

من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت".[1]

وعن الأسود بن يزيد قال: سئلت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله ـيعني خدمة أهلهـ فإذا حضرت الصلاة خرج".[2]

وممن تجب رعايتهم كذلك الجيران، فعن ابن عمر وعائشة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: **"ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".**[3]

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن!"** قيل: من يا رسول الله؟ قال: **"الذي لا يأمن جاره بوائقه**[4]**"**.[5] وفي رواية: **"لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه".**

الحلم وكظم[6] الغيظ والعفو عن الجاهلية

من صفات عباد الله المتقين الحلم وكظم الغيظ والترفّع عن سفاهات الجاهلين، قال تعالى: في وصف المتقين﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ**

---

(١) البخاري تعليقاً، جـ١٠/٤٠٨-٤٠٩.

(٢) البخاري، جـ١٠/٣٨٥، وأحمد جـ٦/٤٩-١٢٦-٢٠٦.

(٣) متفق عليه، البخاري، جـ ١٠/٣٦٩-٣٧٠، ومسلم (٢٦٢٤)، (٢٦٢٥).

(٤) البوائق: الغوائل والشرور.

(٥) متفق عليه، البخاري جـ١٠/١٧٠-٣٧١، ومسلم: (٤٦).

(٦) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ٤/٢٠٦: "وكظم الغيظ رده في الجوف، يقال كظم غيظه أي سكت عليه و لم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه".

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [1].

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن كذلك: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [2].

قال تعالى مخاطباً رسوله ودالا له على كريم الخصال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ [4] ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [5].

نماذج من حلمه وكظم غيظه ﷺ

• عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِن يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: **"لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذ عَرَضتُ نَفسِي عَلَى ابنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ**

---

(١) آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤.

(٢) الفرقان: ٦٣.

(٣) الأعراف: ١٩٩.

(٤) أي صديق شفيق.

(٥) فصلت: ٣٤ – ٣٥.

بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِم. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَال، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّد! فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ. إِن شِئتَ أَن أُطبِقَ عَلَيْهِم الأَخْشَبَين[1]. **فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".**[2]

• وعن عائشة كذلك قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى.[3]

• وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه[4] بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة[5] عاتق[6] النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء"[7]، وروي أنه قال له: **"فإنه ليس بمالك ولا مال أبيك ولا أمك"**.

ولا يقف حسن خلق المسلم عند كظم الغيظ بل يتعداه إلى العفو والمسامحة فقد روي[8] عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها

---

(١) الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكّة والأخشب هو الجبل الغليظ.

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ٦/٢٢٤-٢٢٥، ومسلم (١٧٩٥).

(٣) رواه مسلم، رقم: (٢٣٢٨)، وأحمد في مسنده جـ ٦/٣٢-٢٨١.

(٤) الجَبْذَة: الجذبة، هامش رياض الصالحين، ص: ٢٩٤.

(٥) الصفحة: الجانب.

(٦) العاتق: ما بين العنق والكتف، المصدر السابق.

(٧) متفق عليه، البخاري، جـ١م٢٣٤-٤٢٠-٤٢١، ومسلم رقم: (١٠٥٧).

(٨) الجامع لأحكام القرآن، جـ٤/٢٠٧.

مرقة حارة، وعنده أضياف فعثرت فصبّت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: استعمل قول الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ قال لها: قد فعلت، فقالت: اعمل بما بعده ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ فقال: قد عفوت عنك فقالت الجارية: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، قال ميمون: قد أحسنت إليك فأنت حرة لوجه الله.

عدم الغضب إلا إن انتُهِكَت حرمات الله

الغضب من أسول الأخلاق، ولا ينبغي لعبد تقي أن يتصف به وعلى المؤمن الصالح ألا يغضب لنفسه ولا يثور من أجلها ولكن عليه أن يغضب إذا انتهكت حرمات الله.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: **"لا تغضب"** فردد مراراً، قال: **"لا تغضب"**.[1]

وعنه ﷺ كذلك أن رسول الله ﷺ قال: **"ليس الشديد بالصُّرْعة[2]، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغَضَب"**[3]

فبين الرسول ﷺ أن الشدة الحقيقة تكمن في ملك النفس عند الغضب وذلك من أعظم العبادة ومجاهدة النفس.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت وهي تصف خلق الرسول ﷺ: "ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في

---

(١) رواه البخاري، جـ١٠/٤٣٠.

(٢) الصرعة: الذي يصرع الناس ويغلبهم، الشديد القوي.

(٣) متفق عليه، البخاري، جـ١٠/٤٣١، ومسلم (٢٦٠٩).

سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى".[١]

الحياء[٢]

الحياء من الإيمان فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"الإيمان بضع[٣] وسبعون شعبة[٤] أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة[٥] الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان".**[٦]

وكان ﷺ من أكثر الناس حياء، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء[٧] في خدرها[٨] فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه".[٩]

وقال ﷺ: **"الحياء لا يأتي إلا بخير".**[١٠]

وحقيقة الحياء الخوف من الله ﷻ ولهذا قال ﷺ فيما يرويه عنه عبد الله

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٢) قال النووي في رياض الصالحين ص: ٣٠٧: قال العلماء: حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. وروينا عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله قال: الحياء رؤية الآلاء أي النعم، ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء.

(٣) بضع يطلق على العدد من ثلاثة إلى عشر.

(٤) شُعبة: قسم.

(٥) إماطة: إزالة.

(٦) متفق عليه، البخاري جـ١/٤٨-٤٩، ومسلم (٣٥).

(٧) العذراء: البنت البكر.

(٨) الخدر: ستر تجعله البكر في جنب البيت، المصباح، جـ١/١٦٥، مادة الأخدود.

(٩) متفق عليه، البخاري، جـ١٠/٤٣٤، ومسلم (٢٣٢٠).

(١٠) متفق عليه، البخاري، جـ١٠/٤٣٣، ومسلم (٣٧)وأبو داود (٤٧٩٦).

ابن مسعود ﷺ: **"إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت".**[1]

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[2] قال الخطابي: الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكفّ الإنسان عن موافقة الشر هو الحياء فإذا تركه صار كالمأمور طبعاً بارتكاب كل شر.

وقال النووي في "الأربعين": "الأمر فيه للإباحة، أي إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحي إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلا فلا، وعلى هذا مدار الإسلام وتوجيه ذلك أن المأمور به الواجب والمندوب يستحي من تركه، والمنهي عنه الحرام، والمكروه يستحي من فعله، وأما المباح فالحياء من فعله جائز وكذا من تركه فتضمن الحديث الأحكام الخمسة. وقيل هو أمر تهديد كما تقدم فوجهه ومعناه إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فإن الله يجازيك عليه، وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الحياء، وقيل هو أمر بمعنى الخبر، أي من لا يستحي يصنع ما أراد.

الحياء قسمان

ينقسم الحياء من حيث الأصل إلى قسمين:

١. حياء فطري غريزي.

٢. حياء مكتسب.

قال الحافظ[3]: "قال أبو العباس القرطبي الحياء المكتسب هو الذي جعله

---

(١) البخاري، كتاب الأدب، رقم (٦١٢٠).

(٢) الفتح جـ١٠/٥٢٣.

(٣) الفتح، جـ١٠/٥٢٢.

الشارع من الإيمان وهو المكلف به دون الغريزي غير أن من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب وقد يتطبع بالمكتسب حتى يصير غريزياً. قال: وكان النبي ﷺ قد جُمِع له النوعان فكان في الغريزي أشدّ حياء من العذراء في خدرها وكان في الحياء المكتسب في الذروة العليا".

حياء شرعي وحياء غير شرعي

ومن حيث الناتج كذلك ينقسم الحياء إلى قسمين هما:

١. حياء شرعي: وهو خلق يبعث على ترك القبيح كما ذكرنا.

٢. حياء غير شرعي: بل هو خجل ناتج عن ضعف ومهانة.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح معلقاً على قوله ﷺ: "**الحياء لا يأتي إلا بخير**".[١]: "والجواب أن المراد بالحياء في هذه الأحاديث ما يكون شرعياً والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياء شرعياً، بل هو عجز ومهانة وإنما يطلق عليه حياء لمشابهته للحياء الشرعي".

فالحياء الشرعي هو الذي يمنع ويحول من الوقوع في المحرمات والقبائح، ولكنه لا يمنع من الاستفسار والسؤال عما جهل من أمور الدين وما يجب عليه معرفته، ومن ذلك ما روته أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سُلَيم[٢] إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت فقال: "**نعم إذا رأت الماء**".[٣]

وفي رواية: "**رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهم الحياء ...**".

---

(١) المصدر السابق.

(٢) وهي زوجة أبي طلحة وأم أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) البخاري كتاب الأدب، باب ما لا يستحي من الحق للتفقه في الدين، رقم: (٦١٢١).

ومن أمثلة الحياء الشرعي ما رواه عبد الله بن عمر ﷺ قال: مرّ النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحي حتى كأنه يقول: قد أضربك فقال رسول الله ﷺ: **"دعه فإن الحياء من الإيمان"**.[1]

لا يعيب طعاماً قدم له

ومن حسن خلق المرء ألا يعيب طعاماً ولا شراباً قدم له، فإن اشتهاه أكله وإن عافه أو أباه تركه. فعن أبي هريرة ﷺ قال: **"ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإن عافه تركه"**.[2]

وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ سأل أهله الإدام[3] فقالوا: ما عندنا إلا خل، فدعا به فجعل يأكل ويقول: **"نعم الإدام الخل، نعم الإدام الخل"**.[4]

وقد صدق الله في وصفه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[5].

السخاء والكرم

من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها أولياء الله الصالحون صفة الجود والكرم فقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس وأكرم الخلق أجمعين.

فعن ابن عباس ﷺ قال[6]: "كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أجود ما

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء، رقم: (٦١١٨).

(٢) متفق عليه البخاري جـ٩/٤٧٧ ومسلم:٢٠٦٤ وأبو داود: ٣٧٦٣ والترمذي: ٢٠٣٢

(٣) يُؤتدم به مائعاً كان أو جامداً وجمعه أدم مثل كتاب وكتب المصابح، جـ١/٩، مادة أدب.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٠٥٢) وأبو داود (٣٨٢٠) و(٣٨٢١) والترمذي ١٨٤٠ و١٨٤٣

(٥) القلم: ٤.

(٦) البخاري تعليقاً كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل.

يكون في رمضان".

وعن أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس ..." الحديث.[1]

وعن جابر ﷺ يقول: "ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قط فقال: لا".[2]

قال الحافظ في الفتح[3] قال الكرماني: معناه ما طلب منه شيء من أمر الدنيا فمنعه.

وقال الفرزدق يمدح علي زين العابدين بن الحسين بن علي ﷺ جميعاً:

ما قال لا قطّ إلا في تشهّده لو لا التشهّد كانت لاؤه نعم

قال الحافظ معلقاً على الحديث السابق: "وليس المراد أنه يعطي ما يطلب مه جزماً، بل المراد أنه لا ينطق بالردّ، بل إن كان عنده أعطاه، إن كان الإعطاء سائغاً وإلا سكت".

وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية أخرجه ابن سعد ولفظه: "إذا سئل فأراد أن يفعل قال: نعم، وإذا لم يرد أن يفعل سكت".

وقال الشيخ العز بن عبد السلام: "معناه لم يقل "لا" منعاً للعطاء ولا يلزم من ذلك أن يقولها اعتذاراً كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**﴾[4] ولا يخفى الفرق بين قول ﴿**لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ**﴾ وبين لا أحملكم.

---

(١) البخاري كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء، رقم: (٦٠٣٣).

(٢) متفق عليه، البخاري كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء، رقم (٦٠٣٤).

(٣) جـ ١٠/٤٥٧.

(٤) التوبة: ٩٢.

ذمّ الشحّ[1] والبخل

البخل من أسوأ الصفات وإذا ناسب كل البشر فإنه لا يناسب العبد الصالح التقي فهو يتنافى مع كمال الإيمان ومكارم الأخلاق.

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في ذمّ الشح والتحذير منه نذكر منها ما يلي:

من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾[2]

٢. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾[3].

٣. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ ﴾[4]

٤. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ ﴾[5]

المراد بالشح والبخل

قال الإمام القرطبي[6] في تفسير هذه الآية: "والمراد بالآية: الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوي الأرحام والضيافة، وما شاكل ذلك؛ فليس

---

(١) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ١٨/٢٩، الشح والبخل سواء، وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل، وفي الصحاح الشح البخل مع حرص.

(٢) النساء: ٣٧.

(٣) محمد: ٣٨.

(٤) آل عمران: ١٨٠.

(٥) الحشر: ٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن.

بشحيح ولا بخيل من أنفق في ذلك، وإن أمسك عن نفسه.

وروى الأسود عن ابن مسعود أن رجلا أتاه فقال له: إني أخاف أن أكون قد هلكت؟ قال: وما ذاك؟ قال: سمعت الله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً. فقال ابن مسعود: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن، إنما الشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما، ولكن ذلك البخل، وبئس الشيء البخل. ففرق رضي الله عنه بين الشح والبخل.

وقال طاوس: البخل أن يبخل الإنسان بما في يده، والشح أن يشح بما في أيدي الناس، يحب أن يكون له ما في أيديهم بالحل والحرام، لا يقنع.

وعن ابن عيينة: الشح الظلم.

وعن الليث: ترك الفرائض وانتهاك المحارم.

وعن ابن عباس: من اتبع هواه و لم يقبل الإيمان فذلك الشحيح.

وقال أنس: قال النبي ﷺ: **"برئ من الشح من أدّى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في النائبة"**.

ومن الأحاديث التي وردت في ذم الشح والبخل:

- عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحّ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم"**.[1]
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"السخي قريب من الله،**

---

(١) رواه مسلم، (٢٥٧٨).

قريب من الناس، قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس، بعيد من الجنة قريب من النار".[1]

- وعنه ﷺ: **"ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهو متبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه".**[2]
- وجاء في دعائه ﷺ: **"اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل".**[3]
- وعنه ﷺ: **"شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع".**[4]
- قال أبو الهياج الأسدي: رأيت رجلاً في الطواف يدعو: الله قني شحّ نفسي. ولا يزيد على ذلك شيئاً. فقلت له فقال: إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، و لم أزنِ و لم أفعل، فإذا هو عبد الرحمن بن عوف.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في السخاء رقم: (١٩٦١) جـ٣٤٢٤، قال محقق جامع الأصول جـ٣/٥-٤: "من حديث سعيد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وسعيد بن محمد الوراق ضعيف كما قال الحافظ في التقريب، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد وقد خُولِف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد، إنما يروي عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل".
ثم قال عبد القادر الأرناؤوط: ورواه البيهقي في "شعب الإيمان" عن جابر، والطبراني في الأوسط عن عائشة وقال المناوي في التيسير: بأسانيد ضعيفة يقوي بعضها بعضها وقال: ومعنى الحديث صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، كما قال في مجمع الزوائد، جـ٩٦/١، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف ومن لا يعرف.

(٣) متفق عليه.

(٤) البخاري في التاريخ وأبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً.

حكم البخل

ذهب أهل العلم في البخل مذهبين:

١. حرام.

٢. مكروه وقد جنح إلى كراهته الإمام أبو عبد الله البخاري فقد ترجم لذلك في صحيحه في كتاب الأدب "باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل".

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح معلقاً على قوله ﷺ: **"ما سئل النبي عن شيء قط فقال لا"** الحديث: "وفهم بعضهم من لازم عدم قول ‹‹لا›› إثبات ‹‹نعم›› ورتّب عليه أنه يلزم منه تحريم البخل؛ لأن من القواعد أنه ﷺ إذا واظب على شيء كان ذلك علامة وجوبه، والترجمة تقتضي أن البخل مكروه. وأجيب بأنه إذا تم هذا البحث حملت الكراهة على التحريم، لكنه لا يتم لأن الذي يحرم من البخل ما يمنع الواجب، سلّمنا أنه يدل على الوجوب لكن على من هو في مقام النبوة، إذ مقابله نقص منـــزه عنه الأنبياء فيختص الوجوب بالنبي ﷺ، والترجمة تتضمن أن من البخل ما يكره، ومقابله أن منه ما يحرم، كما أن فيه ما يباح، بل ويستحب، بل ويجب، فلذلك اقتصر المصنف على قوله يكره".

والراجح أن البخل حرام، فخلق البخل لا يجتمع مع الإيمان، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الأخلاق".**[1] وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"لا يدخل**

---

(١) الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في البخل، رقم: (١٩٦٢) جـــ٣٤٣/٤، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صدقة بن موسى.

الجنة خِبٌّ[1] **ولا منّان، ولا بخيل**".[2]

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**المؤمن غر كريم، والفاجر خِب لئيم**".[3]

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "**من سيدكم يا بني سلمة؟**" قالوا: الجعد بن قيس على أنا نبخله، قال: "**وأي داء أدوأ من البخل؟ بل سيدكم الجعد القطط** _أي شديد الجعودة_ **عمرو بن الجموح**".[4]

حقيقة البخل

قال الصنعاني في "سبل السلام"[5] عن حقيقة البخل: "فإن قلت: وما حقيقة البخل المذموم؟ وما من أحد إلا وهو يرى نفسه أنه غير بخيل، ويرى غيره بخيلاً، وربما صدر فعل من إنسان فاختلف فيه الناس فيقول جماعة: إنه بخيل، ويقول آخرون: ليس بخيلاً. فماذا حد البخل الذي يوجب الهلاك؟ وما حد البذل الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها؟ قلت: السخاء هو أن يؤدي ما أوجب الله عليه.

---

(١) خِبٌّ: خدّاع، المصباح المنير جـ١/١٦٢.

(٢) الترمذي رقم (١٩٦٣)، جـ٤/٣٤٣، وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (١٩٦٤) جـ٤/٣٤٣، وقال: غريب، والبغوي في المشكاة رقم: (٥٠٨٥) قال عنه الحافظ ابن حجر في أجوبته عن أحاديث المشكاة: أخرجه أبو داود والحاكم وقد اختلف في وصله وإرساله.

(٤) قال في مجمع الزوائد جـ١٠٣١٨: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني.

(٥) جـ٤/١٨٤-١٨٥.

والواجب واجبان

١. واجب الشرع، وهو ما فرضه الله تعالى من الزكاة والنفقات لمن يجب عليه إنفاقه وغير ذلك.

٢. وواجب المروءة، والعادة.

والسخي: هو الذي لا يمنع واجب الشرع، ولا واجب المروءة، فإن منع واحدا منهما فهو بخيل لكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل، فمن أعطى زكاة ماله مثلا ونفقة عياله بطيب نفسه، ولا يتيمم الخبيث من ماله في حق الله، فهو سخي.

والسخاء في المروءة أن يترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات، فإن ذلك مستقبح ويختلف استقباحه باختلاف الأحوال، والأشخاص، وتفصيله يطول.

واعلم أن البخل داء له دواء وما أنزل الله من داء إلا وله دواء، وداء البخل وسببه أمران:

الأول: حب الشهوات التي لا يتوصل إليها إلا بالمال وطول الأمل.

والثاني: حب ذات المال والشغف به وببقائه لديه، فإن الدنانير مثلاً رسول تنال به الحاجات والشهوات فهو محبوب لذلك، ثم صار محبوبا لنفسه؛ لأن الموصل إلى اللذات لذيذ، فقد ينسى الحاجات والشهوات وتصير الدنانير عنده هي المحبوبة، وهذا غاية الضلال، فإنه لا فرق بين الحجر وبين الذهب إلا من حيث تقضى به الحاجات ، فهذا سبب حب المال ويتفرع منه الشح، وعلاجه بضده، فعلاج الشهوات القناعة باليسير وبالصبر، وعلاج طول الأمل الإكثار من ذكر الموت وذكر موت الأقران والنظر في ذكر طول تعبهم في جمع المال، ثم ضياعه بعدهم وعدم نفعه لهم، وقد يشح بالمال شفقة على من بعده من الأولاد، وعلاجه

أن يعلم أن الله هو الذي خلقهم فهو يرزقهم وينظر في نفسه ، فإنه ربما لم يخلف له أبوه فلساً. ثم ينظر ما أعد الله ﷻ لمن ترك الشح وبذل من ماله في مرضاة الله، وينظر في الآيات القرآنية الحاثة على الجود المانعة عن البخل، ثم ينظر في عواقب البخل في الدنيا ، فإنه لا بد لجامع المال من آفات تخرجه على رغم أنفه، فالسخاء خير كله ما لم يخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه.

وقد أدب الله عباده أحسن الآداب فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [1] فخيار الأمور أوسطها.

وخلاصته أنه إذا وجد العبد المال أنفقه في وجوه المعروف بالتي هي أحسن، ويكون بما عند الله أوثق منه بما هو لديه، وإن لم يكن لديه مال لزم القناعة والتكفف وعدم الطمع".

قال الحافظ العراقي في طرح التثريب[2] معلقاً على حديث هند بنت عتبة رضي الله عنها الذي روته السيدة عائشة قالت: جَاءَتْ هِنْدٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللَّه! مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أهل خِبَاءٌ[3] أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُذِلَّهُمْ اللَّهُ مِن أَهْلِ خِبَائِك، وَمَا عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ الْيَوْمَ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يُعِزَّهُمْ اللَّهُ مِن أَهْلِ خِبَائِك. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَيْضًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه. ثُمَّ قَالَت: يَا رَسُولَ اللَّه! إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ[4] فَهَل عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ أُنْفِقَ

---

(١) الفرقان: ٦٧

(٢) جـ٧/١١٧.

(٣) خباء: بيت من بيوت العرب يكون من وبر أو صوف، ولا يكون من شعر. انظر طرح التثريب، جـ٧/١٧١.

(٤) مَسيك، أو مِسّيك: بفتح الميم وتخفيف السين والثاني بكسر الميم وتشديد السين طرح التثريب، جـ٧/١٧١.

عَلَى عِيَالِهِ مِن مَالِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا حَرَجَ عَلَيْك أَنْ تُنْفِقِي عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرُوف".[1]

قال الحافظ العراقي: "والشح عندهم في كل شيء، وهو أعم من البخل، وقيل الشح لازم كالطبع.

قال أبو العباس القرطبي: ولم ترد أنه شحيح مطلقاً فتذمه بذلك، وإنما وصفت حاله معها فإنه كان يقتر عليها، وعلى أولادها كما قالت: لا يعطيني وبني ما يكفيني، وهذا لا يدل على البخل مطلقا فقد يفعل الإنسان هذا مع أهل بيته لأنه يرى غيرهم أحوج منهم، وأولى ليعطي غيرهم، وعلى هذا فلا يجوز أن يستدل به على أن أبا سفيان كان بخيلا فإنه لم يكن معروفا بهذا".

قلت: بجانب كلام الحافظ العراقي يستدل على عدم بخل وشح أبي سفيان بأنه كان سيد قريش ولا يمكن أن يسود قريشاً رجل بخيل والله أعلم.

حكم الضيافة

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".**[2]
- وعن أبي شريح العدوي قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال: **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته"**، قيل: وما جائزته يا رسول

---

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري، كتاب الأدب، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، رقم: (٦٠١٨).

الله؟ قال: "**يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**".[١]

• وعن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيف جائزته، يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحلّ له أن يثوى عنده حتى يحرجه**".[٢]

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: دخل علي رسول الله ﷺ فقال: "**ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟**" قلت: بلى، قال: "**فلا تفعل قُم ونَم، وصُم وأفطر، فإنّ لجسدك عليك حقاً، وإنّ لعينك عليك حقّاً، وإنّ لزَوْرِك**[٣] **عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقّاً ...**"[٤]

• وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلنا يا رسول الله: إنك تبعثنا فننـــزل بقوم فلا يقرونا، فما ترى فيه؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: "**إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فأقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حقّ الضيف**[٥] **الذي ينبغي لهم**".[٦]

من هذه الأحاديث يتضح أن الضيافة واجبة، وأن الواجب منها ثلاثة أيام، فما زاد عن ذلك فتطوّع وصدقة. وعلى المضيف أن يتكلّف لضيفه ويجتهد في

---

(١) البخاري، كتاب الأدب، الباب السابق، رقم: (٦٠١٩).

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم: (٦١٣٥).

(٣) قال أبو عبد البخاري، الفتح جـــ١٠/٥٣١: يقال هو زوْر، وهؤلاء زَوْر وضيف ومعناه أضياف وزُوّار.

(٤) البخاري في كتاب الأدب، باب حق الضيف، رقم الحديث: (٦١٣٤).

(٥) قال الحافظ في الفتح جـــ١٠/٥٣٢: لفظ ضيف يكون واحداً وجمعاً وجمع القلة أضياف والكثرة ضيوف وضيفان.

(٦) صحح البخاري كتاب الأدب باب إكرام الضيف رقم: (٦١٣٧).

إكرامه في اليوم الأول، أما بعد ذلك فيقدم له ما سهل وحضر بدون تكلّف.

قال الحافظ ابن حجر[1]: قال ابن بطال المالكي سئل عنها مالك ـأي عن الضيافةـ فقال: يكرمه ويتحفه يوماً وليلة وثلاثة أيام ضيافة، قلت أي الحافظ: واختلفوا هل الثلاث غير الأول أو يعد منها؟ فقال أبو عبيد: يتكلّف له في اليوم الأول بالبرّ والإلطاف، وفي الثاني والثالث يقدم له ما حضره ولا يزيد على عادته، ثم يعطيه ما يجوز به مسافة يوم وليلة وتسمّى الجيزة، وهي قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل، منه الحديث الآخر: "**أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**". وقال الخطابي: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده في البِرّ على ما بحضرته يوماً وليلة، وفي اليومين الأخيرين يقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقّه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة، وقد وقع في رواية عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري عن أبي شريح عند أحمد ومسلم بلفظ: "**الضيافة ثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة**" هذا يدلّ على المغايرة ويؤيده ما قاله أبو عبيد".

لا يحل للضيف أن يثقل على مضيفه

لا ينبغي للضيف أن يثقل على مضيفه كما ورد في حديث أبي شريح السابق: "**ولا يحلّ له أن يثوى[2] عنده حتى يحرجه!**"[3] ... الحديث، وفي رواية عند مسلم "**حتى يؤثمه**" هذا إذا لم تكن الإقامة بإذنه ورضاه ولو ضمنياً.

---

(١) الفتح جـ ١٠/٥٣٣.

(٢) يثوى بكسر الواو وبفتحها والثواء الإقامة انظر الفتح، جـ ١٠/٥٣٣.

(٣) الحرج: الضيق.

قال النووي[1]: حتى يؤثمه: أي يوقعه في الإثم، لأنه قد يغتابه أو يعرض له بما يؤذي أو يظن به ظناً سيئاً. وهذا كله محمول على ما إذا لم تكن الإقامة باختيار صاحب المنـــزل بأن يطلب منه الزيادة في الإقامة أو يغلب على ظنّه أنه لا يكره ذلك وهو مستفاد من قوله حتى يحرجه لأن مفهومه إذا ارتفع الحرج أن ذلك يجوز.

ووقع عند أحمد في رواية عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري عن أبي شريح؛ "قيل يا رسول الله وما يؤثمه؟ قال: **"يقيم عنده لا يجد شيئاً يقدمه"** أخرجه أحمد والحاكم، وفيه قصة لسلمان مع ضيفه، حيث طلب منه ـأي الضيفـ زيادة على ما قدم له فرهن مطهرته بسبب ذلك ثم قال ـأي الضيفـ الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا. فقال له سلمان: لو قنعت ما كانت مطهرتي مرهونة.

النهي عن التكلف للضيف

روى سلمان الفارسي ﷺ: "نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف".[2]

فلا ينبغي لأحد أن يتكلف لأخيه ولضيفه كلفة ترهقه وتحرجه أو تؤدي إلى التضييق والتقتير على العيال فكما جاء في الحديث: **"اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول"**.[3]

قال الحافظ معلقاً على الحديث السابق[4]: "قد يستدل به على تحريم الإيثار

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قال الحافظ في الفتح جـ١٠/٥٣٤ أخرجه أحمد والحاكم.

(٣) البخاري وأبو داود النسائي.

(٤) طرح التثريب، جـ ١٧٨/٧.

بقوته أو قوت عياله لما في ذلك من مخالفة أمره ﷺ بالبداوة بمن يعول. وأقوى من ذلك في الدلالة على هذا قوله ﷺ: **"كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت"** وهو الذي صححه النووي في شرح المهذب. ولكن صحح في الروضة جواز الإيثار بقوته دون قوت عياله.

قال في شرح المهذب ولا يشترط في جواز الضيافة الفضل عن نفقته ونفقة عياله لتأكدها وكثرة الحث عليها: قال: وليست الضيافة صدقة واستدل على ذلك في شرح مسلم فقال: لا يجوز لأنها غير واجبة وأجاب عن الحديث المذكور بحمله على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين للأكل وإنما طلبوه على عادة الصبيان في الطلب من غير حاجة والله أعلم".

الإكثار من زيارة أهل التقوى والصلاح من الإخوان

الإكثار من زيارة أهل الفضل والصلاح من الإخوان والأصدقاء سنّة فقد روى البخاري في صحيحه بسنده[1] أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: "لم أعقل أَبَوَيَّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر عليهما يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية. فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل: هذا رسول الله ﷺ. في ساعة لم يكن يأتينا فيها، قال أبو بكر: ما جاء في هذه الساعة إلا أمر. قال: **"إني قد أذن لي بالخروج"** يعني بالهجرة للمدينة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح[2]: "وكأن البخاري رمز بالترجمة

---

(١) البخاري كتاب الأدب باب هل يزور صاحبه كل يوم؟ رقم: ٦٠٧٩.

(٢) جـ ١٠/٤٩٨.

إلى توهين[1] الحديث المشهور: "زُر غبّاً تزدَد حباً"، وقد ورد من طرق أكثرها غرائب لا يخلو واحد منها من مقال وقد جمع طرقه أبو نُعَيم وغيره. وجاء من حديث علي، وأبي ذر، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأبي برزة، وعبد الله ابن عمر، وأنس، وجابر، وحبيب بن مسلمة، ومعاوية بن حيدة وقد جمعتها في جزء مفرد".

وقال الحافظ[2]: "وأخرج ابن حبّان في صحيحه من طريق عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال: "دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت: يا عبيد بن عمير ما يمنعك أن تزورنا؟ قال: قول الأول: **"زر غبّاً تزدد حباً"**، فقال عبد الله بن عمير: دعونا من بطالتكم هذه وأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ".

ثم قال الحافظ: "وذكر أبو عبيد في الأمثال بأنه من أمثال العرب. ثم قال: ولا منافاة بين هذا الحديث وحديث الباب لأن عمومه يقبل التخصيص فيحمل على من ليست له خصوصية ومودة ثابتة فلا ينقص كثرة زيارته من منـــزلته. قال ابن بطال: الصديق الملاطف لا يزيده كثرة الزيارة إلا محبة بخلاف غيره".

عدم الحسد والبغضاء

الحسد حرام وهو من الأخلاق السيئة الذميمة التي لا تليق بعبد صالح بل لا تليق بأي مسلم يؤمن بقضاء الله وقدره.

---

(١) توهين: تضعيف.

(٢) المصدر السابق.

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[1].

وقد حذرنا رسولنا ﷺ من الحسد، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"لا تباغضوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا، ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"**.[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب"**.[3]

وعن أنس كذلك يرفعه: **"الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار"**.[4]

تعريف الحسد

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير سواء كانت نعمة دينية أو دنيوية.

قال الحافظ في الفتح[5]: الحسد تمني الشخص زوال النعمة عن مستحق لها أعمّ من أن يسعى في ذلك أولاً، فإن سعى كان باغياً وإن لم يسع في ذلك ولا أظهره ولا تسبب في تأكيد أسباب الكراهة التي نهى المسلم عنها في حق المسلم نظر: فإن كان المانع له من ذلك العجز بحيث لو تمكن لفعل هذا مأزور، وإن كان المانع له من ذلك التقوى فقد يعذر لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية فيكفيه في مجاهدتها أن لا يعمل بها ولا يعزم على العمل بها. وقد أخرج عبد

---

(١) النساء: ٥٤.

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ١٠/٤٠١-٤٠٣، ومسلم رقم: (٢٥٥٩).

(٣) أبو داود، رقم: (٤٩٠٣)، قال محقق رياض الصالحين، ص: ٦٠، وفي سنده مجهول.

(٤) ابن ماجه (٤٢١٠).

(٥) جـ ١٠/٤٨٢.

الرزاق عن معمر عن إسماعيل عن أمية رفعه: **"ثلاثة لا يسلم منها أحد: الطيرة، والظن، والحسد"**، قيل: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: **"إذا تطيّرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تَبغِ"**.

وعن الحسن البصري قال: ما من آدمي إلا وفيه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك إلى البغي والظلم لم يتبعه منه شيء.

مراتب الحسد

الحسد مراتب وأنواع، ثلاثة منها سيئة وذميمة ولكن بعضها أسوأ من بعض، وواحد ليس مذموماً.

المرتبة الأولى: الحسد بمعنى الغبطة وهو أن لا يتمنى زوال النعمة من صاحبه ولكنه يغبطه عليها ويتمنى أن يكون له مثل ما لأخيه كما ورد في الحديث الصحيح: **"لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً ... ورجلاً آتاه الله القرآن"**. الحديث. فهاتان النعمتان يحق للمرء أن يغبط عليهما ويتمنى أن يكون مثل أصحابهما وما سواهما من النعم لا تستحق الغبطة وهذه الحالة تسمّى حسداً تجاوزاً وإلا فهي غبطة.

المرتبة الثانية: أن يتمنى زوال النعمة من صاحبها لتعود وترجع إليه هو.

المرتبة الثالثة: أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبها ولو لم تعد إليه.

المرتبة الرابعة: وهي أسوأ الأنواع الثلاثة الأخيرة: إن كان مريضاً يتمنّى أن يكون الجميع مرضى، وإن كان فقيراً لا يريد أن يملك شخص فَلْساً وإن كان جاهلاً غاظه المشتغلون بالعلم وتمنّى أن يصبح الجميع أجهل من ضبّ وهكذا.

خ. التوبة والإنابة إلى الله

قال ﷻ مادحاً عباده المتقين وحزبه المفلحين: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[1].

روى القرطبي في تفسيرها[2]: ذكر الله تعالى في هذه الآية صنفاً، هم دون الصنف الأول[3] فألحقهم به، وبرحمته ومنّه، فهؤلاء التوابون.

قال ابن عباس في رواية عطاء: نزلت هذه الآية في نبهان التمار ــ وكنيته أبو مقبل ــ أتته امرأة حسناء باع منها تمراً، فضمّها إلى نفسه وقبلها، فندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية، وقد تنزل الآية بسبب خاص ثم تتناول جميع من فعل ذلك أو أكثر منه.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[4].

وروي عنه ﷺ: **"ما من عبد يذنب ذنباً، ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله، إلا غفر له"**، ثم تلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ الآية.

فالتوبة والندم والإنابة إلى الله ﷻ في كل وقت وحين ومن جميع الذنوب

---

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، جـ٤/٢٠٩.

(٣) وهم الذين وصفهم الله بقوله ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين﴾ سورة النساء، الآية: ١٣٤.

(٤) النساء: ١١٠.

من أبرز صفات المؤمنين الصالحين، كما أن التمادي في الخطأ والإصرار على الذنب والغفلة من صفات الكفرة المعاندين، والفسقة الجاهلين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله: "وقد ذكر عن آدم أبي البشر أنه استغفر ربّه وتاب إليه فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه، وعن إبليس أبي الجن ـلعنه اللهـ أنه أصرّ متعلقاً بالقدر فلعنه وأقصاه، فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه ومن أشبه أباه فما ظلم".

الأمر بالتوبة والاستغفار

لقد أمر الله عباده بالتوبة والاستغفار فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وكان سيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين وفي رواية أكثر من مائة مرة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"**.[3]

فرح الله بتوبة عبده

ثبت عن الرسول ﷺ فرح الله عز وجل بتوبة عبده وإنابته إليه وقد مثل الرسول ﷺ لهذا الفرح بما يأتي:

---

(١) مجموع الفتاوى، جـ ٣/١٢٠.

(٢) النور: ٣١.

(٣) البخاري، جـ١١/٨٥، والترمذي (٣٢٥٥).

• عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلّه في أرض فلاة".**[1]

• وفي رواية لمسلم: **"لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلّها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها**[2] **ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح".**

• وعن أبي موسى، عبد الله بن قيس الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها".**[3]

• وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر**[4]**".**[5]

الذنوب التي يتاب منها[6]

تنقسم الذنوب التي يتاب منها إلى قسمين:

١. كفر وشرك، فالكافر أو المشرك توبته بإيمانه ورجوعه إلى الإسلام مع

---

(١) متفق عليه، البخاري جـ١١/٩١-٩٢، ومسلم (٢٧٤٧).

(٢) خطام، الحبل.

(٣) رواه مسلم، رقم: (٢٧٦٠).

(٤) يغرغر: تصل الروح الحلقوم.

(٥) الترمذي رقم: (٣٥٣١)، وأحمد رقم: (٦١٦٠) وابن ماجه: (٤٢٥٣)، وصححه ابن حبان: (٢٤٤٩).

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن، جـ ٤/٢١٣.

الندم على ما مضى.

٢. معاصٍ وذنوب: وهذه تنقسم إلى قسمين:

أ. حقوق الله ﷻ

فحقوق الله يكفي فيها التوبة والندم وتتم بترك المعصية. وإن كانت هناك حقوق تحتاج إلى قضاء نحو الصلاة، والصيام قضاها مع اختلاف بين أهل العلم في ذلك، ومنها ما يحتاج إلى كفارة كالحنث في الأيمان والظهار ونحوهما، فلا بد من أداء الكفّارة.

ب. حقوق الآدميين

ويجب فيها ما يأتي:

- رد المظالم إلى أهلها والحقوق إلى مستحقيها، أو إلى ورثتهم من بعدهم.
- فإن لم يتمكن من ذلك لأي سبب من الأسباب تصدق عنهم.
- ومن لم يستطع الرد ولا التصدق فرحمة الله موجودة وهي أوسع له من ذلك، فعليه أن يكثر الدعاء لمستحقها.

مَن همّ بحسنة أو سيئة ولم يعملها

- قال الله ﷻ: ﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾** ﴾ (١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**قال الله: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة، فأنا أكتبها له حسنة ما لم يفعل، فإذا عملها فأنا**

---

(١) الأنعام: ١٦٠.

أكتبها له بعشر أمثالها، فإذا تحدث بأن يعمل سيئة، فأنا أغفرها له، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها".

• وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله ﷻ".**

• وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: أرقبوه فإن عملها فاكتبوها بمثلها".** وللبخاري: **"فإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة".**[1]

ومن هم بحسنة و لم يتمكن من فعلها لأي سبب من الأسباب كتبت له حسنة، ولكن من همّ بها و لم يحلّ بينه وبين فعلها عذر مانع ومع ذلك لم يفعلها لم يكتب له شيء.

وكذلك الأمر بالنسبة للهَمِّ بالسيئة فمن همّ بعمل سيئة وسعى في تنفيذها ولكن حيل بينه وبينها، كتبت له سيئة وأمّا من همّ بها و لم يسع لتحقيقها وعزف عنها وصرف نظره إلى غيرها، كتبت له حسنة وإذا عملها كتبت له سيئة واحدة وهذا من فضل الله وعدله.

قال الحافظ العراقي معلقاً[2] على قوله: **"وإذا همّ بحسنة ولم يعملها فاكتبوها له حسنة"**: "والظاهر أن المراد إذا منعه من ذلك عذر ولا تكتب له

---

(١) قال الحافظ العراقي في طرح التثريب جـ٨/٢٢٨-٢٢٩، أخرجه بألفاظه الثلاثة مجموعة مسلم من هذا الوجه عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق وأخرجه البخاري بمعنى اللفظ الثاني، وأخرجه أيضاً في كتاب التوحيد من صحيحه.

(٢) طرح التثريب، جـ ٨/٢٢٩.

الحسنة بمجرد الهمّ مع الانكفاف عن الفعل بلا عذر يحتمل حمله على إطلاقه، وأن مجرد الهمّ بالخير قربة، وإن لم يمنع مانع".

وقال[1] عن الهم بالسيئة: "ولم يقيد ذلك بأن يكون تركها لأجل الله تعالى، فقد يتمسك به ـالحديث السابقـ على كتابتها حسنة وإن لم يتركها لخوف الله تعالى. وقد حكى القاضي عياض عن بعض المتكلمين أنه ذكر في ذلك خلافاً وعلّل كتابتها حسنة بأنه إنما حمله على تركها الحياء، قال القاضي عياض: وهو ضعيف لا وجه له.

والظاهر حمل هذا المطلق على ذلك المقيد ـوهو "إنما تركها من جرائي" فهو الذي يقتضيه الدليل وتساعده القاعدة والله أعلم.

قال الخطابي: هذا إذا لم يعملها تاركاً لها مع القدرة عليها، لا إذا همّ بها فلم يعملها مع العجز عنها وعدم القدرة عليها، ولا يسمّى الإنسان تاركاً للشيء الذي لا يتوهم قدرته عليه.

وقال الإمام القرطبي في تفسير قوله[2] **﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾**: "في قوله **﴿لم يصروا﴾** حجة واضحة ودلالة قاطعة لما قاله سيف السنة ولسان الأمة القاضي أبو بكر بن الطيب: إن الإنسان يؤاخذ بما وطن عليه ضميره وعزم عليه بقلبه من المعصية.

قال القرطبي: قلت: وفي التنـــزيل: **﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾**[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٠/٢١٥.

(٣) الحج: ٢٥.

وقال: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [1] فعوقبوا قبل فعلهم بعزمهم ... وفي البخاري: **"إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار"**. قالوا: يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: **"إنه كان حريصاً على قتل صاحبه"**، فعلق الوعيد على الحرص وهو العزم وألقى إظهار السلاح، وأنص من هذا ما أخرجه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري وصححه مرفوعاً: **"إنما الدنيا لأربعة نفر: رجل أعطاه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً، فهو يقول لو أن لي علماً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيّته فوزرهما سواء"**. ثم قال: هذا والذي صار إليه القاضي هو الذي عليه عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، ولا يلتفت إلى خلاف من زعم أن ما يهم الإنسان به وإن وطن عليه لا يؤاخذ به. ولا حجة له في قوله ﷺ: **"من همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فإن عملها كتبت سيئة واحدة"**، لأن معنى "فلم يعملها" فلم يعزم على عملها بدليل ما ذكرنا، ومعنى "فإن عملها" أي أظهرها أو عزم عليها بدليل ما وصفناه وبالله التوفيق.

تضعيف الحسنات

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ

(١) القلم: ٢٠.

﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [1]. وقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [2].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: **"إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله ﷻ عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها ففعلها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة"**.

قال الحافظ العراقي[3]: "وهو صريح بأن التضعيف لا يقف على سبعمائة بل قد يزيد عليها لمن أراد الله تعالى زيادته له وهو أحد القولين في قوله تعالى **﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾** بهذا التضعيف، والأوّل أصح. وقال النووي: المذهب الصحيح المختار عند العلماء أن التضعيف لا يقف على سبعمائة وحكى أبو الحسن الماوردي عن بعض العلماء أن التضعيف لا يجاوز سبعمائة، قال النووي: وهو غلط لهذا الحديث.

وقد ورد التضعيف بأكثر من سبعمائة في عدة أحاديث.

السيئات لا تضاعف

من عدل الله ﷻ أن السيئات لا تضاعف كما قال: ﴿**وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ**﴾ [4].

---

(١) البقرة: ٢٦١.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) طرح التثريب، جـ٨/٢٣٠.

(٤) الأنعام: ١٦٠.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر: **"من جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر"**.

وهذا يقتضي أن السيئات لا تضاعف بل قد يتجاوز الله عن المسيء فلا يؤاخذه بها وهذا من فضله وجود وكرمه.

ذ. حفظ اللسان

لقد أمر الله عباده المؤمنين بحفظ ألسنتهم وبعدم التحدث إلا بخير، فقال ﷺ في الحديث الصحيح: "... **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**". وفي رواية **"ليسكت"** فعلى العبد الصالح أن يفكر فيما يريد أن يقول، وأن يزن ألفاظه قبل أن يتلفظ بها وعليه أن يتجنب الآتي:

١. الإكثار من الكلام واللغو فيه.
٢. التحدث بكل ما سمع.
٣. الكذب.
٤. قول الزور
٥. السب واللعن.
٦. الغيبة.
٧. النميمة.

الإكثار من الكلام واللغو فيه

لقد نهى الله عباده المؤمنين عن الكلام إلا بخير وأخبر أن الكلام محصي على المتكلم وسوف يحاسب عليه ويجزى به.

فقال: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

وقال في مدح عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2]. قال الإمام النووي رحمه الله[3]: "اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه مصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه لأنه قد يجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة والسلامة لا يعدلها شيء".

قال معلقاً على قوله ﷺ: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**[4]": "وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شكّ في ظهور المصلحة فلا يتلكم".

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح[5] معلقاً على هذا الحديث: وقد استشكل التخيير الذي في قوله: "**فليقل خيراً أو ليصمت**" لأن المباح إذا كان في أحد الشقين لزم أن يكون مأموراً به فيكون واجباً أو منهياً فيكون حراماً، والجواب عن ذلك أن صيغة "افعل" في قوله "فليقل" وفي قوله "ليسكت" لمطلق الإذن الذي هو أعم من المباح وغيره، نعم يلزم من ذلك أن يكون المباح حسناً لدخوله في الخير، ومعنى الحديث أن المرء إذا أراد أن يتكلم فليفكّر قبل كلامه،

---

(١) ق: ١٨.

(٢) المؤمنون: ٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) لِيَصْمُت: لغتان بضم الميم وكسرها كحفر وضرب، انظر الفتح، جـ١٠/٥٣٢.

(٥) الفتح: جـ١٠/٥٣٢.

فإذا علم أنه لا يترتب عليه مفسدة، ولا يجرّ إلى محرم ولا مكروه فليتكلم وإن كان مباحاً فالسلامة في السكوت لئلاً يجر المباح إلى المحرم والمكروه، وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان: **"ومن أحصى كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه"**.

والنهي والتحذير عن الإعراض عن كل ما لا يعني الإنسان من كلام وغيره وردت فيه العديد من الآيات والأحاديث منها:

- قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾** ﴾[1].

- وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: **"من يضمن لي ما بين لحييه[2] وما بين رجليه[3] أضمن له الجنة"**.[4]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **"إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين[5] فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب"**.[6]

- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: **"امسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك"**.[7]

- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي المسلمين

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) لسانه.

(٣) فرجه.

(٤) متفق عليه، البخاري، جـ١١/٢٦٤-٢٦٥.

(٥) يتبين: يفكر فيما يقول.

(٦) متفق عليه، البخاري جـ١١/٢٦٥-٢٦٦، ومسلم رقم: (٢٩٨٨).

(٧) الترمذي، رقم: (٢٣٠٨)، وقال حسن وأحمد، جـ٤/١٤٨-١٥٨.

أفضل؟ قال: **"من سلم المسلمون من لسانه ويده"**.[1]

• وفي حديث معاذ: **"وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم"**.

التحدث بكل ما سمع

لقد نهى الله ورسوله ﷺ أن يتحدث المرء بكل ما سمعه بدون تحفظ وتأكد، وعد ذلك من الآثام كما ورد في الآية السابقة: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾** ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"كفى بالمرء إثماً أن يحدّث بكل ما سمع"**.[2]

ويتأكد النهي عن التحدث بكل ما يسمعه المرء عنه ﷺ فعن المغيرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من حدَّثّ عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين"**.[3]

الكذب

الكذب حرام ومن الكبائر وإذا ناسب الكذب جميع الخلق فلا يناسب العبد الصالح بحال من الأحوال ولو كان الكذب حلالاً لما كان لعبد صالح أن يكذب، لما فيه من فساد الأخلاق ومخالفته للمروءة والرجولة، كما قال الإمام

---

(١) متفق عليه، البخاري، جـ١/٥١-٥٢، ومسلم رقم (٤٢).

(٢) رواه مسلم، جـ ١/١٠، رقم: ٥.

(٣) رواه مسلم، جـ ١/٩، والترمذي رقم (٢٦٦٢).

محمد بن شهاب الزهري راداً على هشام بن عبد الملك عندما أغضبه وقال له: كذبت، فقال له محمد بن شهاب وقد امتلأ غضباً: أنا أكذب! لا أبا لك! فوالله لو ناداني مناد من السماء أن الله أحلّ الكذب ما كذبت".[1]

الأدلة على تحريم الكذب وذمه

الأدلة من القرآن والسنة على تحريم الكذب كثيرة جداً نذكر منها ما يلي:

• عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن الصدق يهدي إلى البر[2]، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".**[3]

• وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"أربع من كنّ فيه، كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".**[4]

• وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **"أفرى الفرى أن يُرِي الرجل عينيه ما لم تريا".**[5]

---

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص: ٣١٤-٣١٥.

(٢) الطاعة وأعمال الخير.

(٣) متفق عليه، جـ ١٠/٤٢٣، ومسلم (٢٦٠٧).

(٤) متفق عليه، البخاري، جـ١/٨٤، ومسلم: (٥٨).

(٥) البخاري، جـ١٢/٣٧٦-٣٧٧.

ما يجوز من الكذب

كما ذكرنا فإن الكذب حرام ولكنه يجوز في بعض الأحوال عند الضرورات.

فيجوز الكذب مثلاً بغرض الإصلاح بين المتخاصمين، وفي الحرب، وفي حديث الزوجين كل مع الآخر.

فعن أم كلثوم رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً"**[1].متفق عليه، وزاد مسلم في رواءة: **"قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث، تعني**[2] **الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها"**.

قال النووي: "اعلم أن الكذب وإن كان أصله محرماً يجوز في بعض الأحوال بشروط قد أوضحتها في كتاب الأذكار[3]، ومختصر ذلك أن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب، جاز الكذب.

ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً كان الكذب مباحاً وإن كان واجباً كان الكذب واجباً.

فإن اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وأخفى ماله وسئل إنسان عنه وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة، وأراد ظالم

---

(١) يبلغ خيراً، رياض الصالحين: ٥٩٣.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر الأذكار، ص: ٣٣٦.

أخذها وجب الكذب بإخفائها.

والأحوط في هذا كله أن يوري، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام".

قول الزور[1] أو شهادة الزور

لقد حرّم الإسلام شهادة الزور وقول الزور فقال ﷻ: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[2]. وقال في مدح عباده الصالحين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾[3].

وشهادة الزور من أكبر الكبائر، فعن أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟"** قلنا: بلى يا رسول الله! قال: **"الإشراك بالله وعقوق الوالدين"** وكان متكئاً فجلس، فقال: **"ألا وقول الزور"**، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.[4]

السب واللعن[5]

لقد نهى الإسلام المسلم عن السباب والشتم واللعن، وكان رسول الله ﷺ عفّ اللسان، طاهر الجنان. فعن أنس ﷺ قال واصفاً لخلق رسول الله ﷺ: "لم

---

(١) الزور: الكذب قيل له ذلك لكونه مائلاً عن الحق، والزور بفتح الزاي الميل. انظر الفتح جـ١٠/٤٧٣.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) الفرقان: ٧٢.

(٤) متفق عليه، البخاري، جـ٥/١٩٣، ومسلم رقم: (٢٣٠٢).

(٥) اللعن هو الطرد من رحمن الله.

يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعّاناً ولا سبّاباً، كان يقول عند المعتبة[1]: ما له ترب جبينه[2]". [3]

بل عدّ لعن المؤمن كقتله فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه ــ وكان من أصحاب الشجرة ــ قال: قال رسول الله ﷺ: "لعن المؤمن كقتله"[4]، وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **"سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"**.[5]

النهي عن لعن المسلم

يحرم لعن المسلم المستور الحال وذلك أن الرسول ﷺ نهى عن لعن الدواب وغيرها فكيف بلعن الإنسان؟! بل كيف بلعن المسلم؟!

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: **"خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة"**. قال عمران فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد".[6]

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم، إذ بصرت بالنبي ﷺ، وتضايق بهم الجبل، فقالت: حل[7] اللهم العنها،

---

(١) المعتبة: المعاتبة.

(٢) ترب جبينه: أفتقر الرجل وكأنه لصق جبينه بالتراب.

(٣) لبخاري: كتاب الأدب، رقم: (٦٠٤٦).

(٤) متفق عليه، البخاري، جـ١٠/٣٨٩، ومسلم رقم: (١١٠).

(٥) البخاري في الأدب، رقم: (٦٠٤٤).

(٦) مسلم رقم: (٢٥٩٥)، كتاب البر، باب النهي عن لعن الدواب.

(٧) حل: كلمة لزجر الإبل، النووي رياض الصالحين، ص: ٥٩٦.

فقال النبي ﷺ: **"لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة".**[1]

فقال النووي معلقاً على هذا الحديث: "واعلم أن هذا الحديث قد يستشكل معناه، ولا إشكال فيه، بل المراد النهي أن تصاحبهم تلك الناقة، وليس فيه نهي عن بيعها وذبحها وركوبها في غير صحبة النبي ﷺ بل كل ذلك وما سواه من التصرفات جائز لا منع منه، إلا من مصاحبته ﷺ بها".

من لَعَنَ أو فَسَّقَ من لا يستحق ارتدّ عليه قوله

إذا لعن المرء، أو سبّ، أو فسق، أو كفّر إنساناً آخر وكان ذلك بريئاً من ذلك رجعت تلك الأوصاف لقائلها، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه".**[2]

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **"لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك".**[3]

وفي رواية لمسلم: **"ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حاد عليه".**

قال الحافظ في الفتح[4]: "وهذا يقتضي أن من قال لآخر يا فاسق، أو قال له: يا كافر، فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور، وإذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيما قال.

ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقاً ولا كافراً أن لا يكون آثماً

---

(١) رواه مسلم رقم: (٢٥٩٦)، كتاب البر، باب النهي عن لعن الدواب.

(٢) الترمذي وأبو داود.

(٣) البخاري في الأدب رقم: (٦٠٤٥)، وجاد عليه رجع عليه.

(٤) جـ١٠/٤٦٦.

في صورة قوله له فاسق، بل في هذه الصورة تفصيل: إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز، وإن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز، لأنه مأمور بالستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى، فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف لأنه قد يكون سبباً في إغوائه وإصراره على ذلك الفعل كما في طبع كثير من الناس من الأنفة لا سيما إن كان الآمر دون المأمور في المنـــزلة".

المراد برجوع الكفر والفسق لقائله

قال الحافظ[1]: "قال النووي: اختلف في تأويل هذا الرجوع فقيل رجع عليه الكفر إن كان مستحلاً، وهذا بعيد عن سياق الخبر، وقيل محمول على الخوارج لأنهم يكفرون المؤمنين هكذا نقله عياض عن مالك وهو ضعيف، لأن الصحيح عند الأكثرين أن الخوارج لا يكَفَّرون ببدعتهم. قلت ـأي الحافظـ: ولما قاله مالك وجه، وهو أن منهم من يكفر كثيراً من الصحابة ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وبالإيمان فيكون تكفيرهم من حيث تكذيبهم للشهادة المذكورة لا من مجرد صدور التكفير منهم بتأويل.

ثم قال: والتحقيق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم، وذلك قبل وجود فرقة الخوارج وغيرهم.

وقيل: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره وهذا لا بأس به.

وقيل: يخشى عليه أن يؤول به ذلك إلى الكفر، كما قيل: المعاصي بريد الكفر، فيخاف على من أدامها وأصرّ عليها سوء الخاتمة.

---

(١) المصدر السابق.

وأرجح من الجميع أن من قال ذلك لمن يعرف منه الإسلام و لم تقم له شبهة في زعمه فإنه يكَفَّر بذلك كما سيأتي تقريره فمعنى الحديث فقد رجع عليه تكفيره، فالراجع التكفير لا الكفر فكأنه كفّر نفسه لكونه كفّر من هو مثله، ومن لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام".

والراجح رجوع الإثم والوزر إلى القائل، والله أعلم.

جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين.

يجوز لعن أصحاب المعاصي بدون تعيين مثل ألا لعنة الله على الظالمين، وعلى الكاذبين، وعلى المنافقين، والكافرين ونحو ذلك.

قال الإمام النووي[1]: "ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة أن رسول الله ﷺ قال: **"لعن الله الواصلة والمستوصلة"** الحديث. وأنه قال: **"لعن الله آكل الربا"** الحديث. وأنه قال: **"لعن الله المصورين"**، وأنه قال: **"لعن الله من غير منار[2] الأرض"**. الحديث. وأنه قال: **"لعن الله السارق يسرق البيضة"**. وأنه قال: **"من أحدث فينا حدثاً[3]، أو آوى مُحدِثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"**.

وأنه قال: **"اللهم العن رعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله"**. وهذه ثلاث قبائل من العرب. وأنه قال: **"لعن الله اليهود حرّمت عليهم الشحوم فباعوها"**. وأنه قال: **"لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم**

---

(١) الأذكار، ص: ٣١٤-٣١٥.

(٢) الحدود والعلامات لتختلط الحقوق.

(٣) المراد بالحدث البدعة.

مساجد". وأنه قال: **"لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال"**. وجميع هذه الألفاظ في صحيحي البخاري، ومسلم، وبعضها فيهما وبعضها في أحدهما وإنما أشرت إليها و لم أذكر طرقها للاختصار".

ثم قال: "وروينا في صحيح مسلم عن جابر أن النبي ﷺ رأى حماراً قد وسم في وجهه فقال: **"لعن الله الذي وسمه"**.

وفي الصحيحين أن ابن عمر رضي الله عنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه فقال ابن عمر: لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ قال: **"لعن الله من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً"**.

لعن العصاة المعينين

لعن العصاة المعينين ليس بحرام.

قال الإمام النووي: "وأما لعن الإنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني، أو ظالم، أو مصوِّر، أو سارق، أو آكل الربا فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام، وأشار الغزالي بتحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب، وأبي جهل، وفرعون، وهامان، وأشباههم. قال: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله تعالى، وما ندري ما يختم به لهذا الفاسق أوالكافر.

قال: وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر. قال: ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان: لا أصح الله جسمه، ولا سلّمه الله، وما جرى مجراه، وكل ذلك مذموم وكذلك لعن جميع الحيوانات والجماد فكله مذموم".

واحتج المجوزون للعن المعيّن بالحديث الصحيح الوارد في المرأة: **"إذا دعاها**

زوجها إلى فراشها فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح".

قال الإمام ابن علان في تعليقه على الأذكار[1] قال الحافظ ابن حجر: واحتج شيخنا الإمام البلقيني على ما قاله المهلب من جواز لعن المعين بالحديث الوارد في المرأة إذا دعاها زوجها إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح، وتوقف بعض من لقيناه، فإن اللاعن هنا الملائكة، ويتوقف الاستدلال على جواز التأسي بهم وعلى التسليم فليس في الخبر تسميتها، والذي قاله شيخنا أقوى، فأن الملك معصوم والتأسي بالمعصوم مشروع، والبحث في جواز لعن المعيّن موجود. انتهى.

قال العلقمي في شرح الجامع الصغير لعل قول الملائكة: "اللهم العن فلانة الممتنعة من فراش زوجها أو هذه الممتنعة إلى آخرها، فهي معينة بالاسم أوبالإشارة إليها. فيتجه ما قاله البلقيني لأن قوله ﷺ "لعنتها" الضمير يخصها فلا بدّ من صفة غيرها وذلك إما بالاسم أو الإشارة إليها". انتهى.

سب الوالدين من الكبائر

لقد حرم الله سب المسلمين وأذاهم، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[2] فكيف بمن يسب أبويه ويشتمهما؟ وقد نهى الله عن قول أف لهما، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ

(١) هامش الأذكار، ص: ٣١٥.

(٢) الأحزاب: ٥٨.

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [1]

فسب الوالدين من الكبائر ومن الموبقات المهلكات فإذا لم يجدا من الابن المعاملة الحسنة الكريمة وخفض الجناح فأضعف الإيمان أن يمسك عنهما شره وبلاه.

فعن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"من الكبائر شتم الرجل والديه"** قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: **"نعم، يسُبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسب أمه فيسب أمه"**.[2] هذا سب غير مباشر ولكن الآن نجد كثيراً من الأبناء العاقين يسبون والديهما سبّاً مباشراً وينهرونهما، والسب المباشر أقبح وأشد حرمة ولا يصدر إلا ممن جهل دينه وفسد خلقه.

النهي عن الدعاء على النفس والولد

جرت على ألسنة كثير من الناس ــخاصة النساءــ هدانا الله وإياهمــ لعن أبنائهم والدعاء عليهم بالسوء والشر وهم لا يشعرون وهذا أمر جد خطير، لأن اللعن معناه الطرد من رحمة الله، وإذا أصاب الطفل مكروه كان الوالد أول النادمين، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [3].

قال القرطبي[4]، قال ابن عباس في تفسيرها: "هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب أن يستجاب له، اللهم أهلكه، ونحوه".

---

(١) الإسراء: ٢٣ – ٢٤.

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ١٠/٣٣٨، ومسلم رقم: ٩٠.

(٣) الإسراء: ١١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١٠/٢٢٥.

الغيبة

تعريف الغيبة

الغيبة هي ذكرك أخاك بما فيه وهو غائب بما يكره، أما إن ذكرته بما ليس فيه فهو بهتان، ولا يدخل في ذلك ذكرك له بما يحب.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**أتدرون ما الغيبة؟**" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "**ذكرك أخاك بما يكره**". قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتّه**".[1]

وقيل هي ذكر العيب بظهر الغيب.

قال الحسن[2]: "الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى: الغيبة، والإفك، والبهتان. فأما الغيبة فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك: فأن تقول فيه ما بلغك عنه. وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه".

قال القرطبي: قال معاوية بن قرة: لو مر بك رجل أقطع، فقلت هذا أقطع كان غيبة، وقال شعبة: فذكرته لأبي إسحاق فقال: صدق.

وروى أبو هريرة أن الأسلمي ماعزاً جاء إلى النبي ﷺ، فشهد على نفسه بالزنا فرجمه النبي ﷺ، فسمع نبي الله ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: "**أين فلان وفلان؟**" فقالا: نحن ذا يا رسول الله، قال: "**انزلا فكلا من هذا**

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر، باب تحريم الغيبة، رقم: (٢٥٨٩).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٣٣٥.

الحمار"، فقالا: يا نبي الله! ومن يأكل من هذا؟! قال: **"فما نلتما من عرض أخيكما أشدّ من الأكل منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها"**.[1]

قال الإمام النووي[2]: "فأما الغيبة فهي ذكرك الإنسان بما فيه مما يكره سواء كان في بدنه، أم دينه، أم دنياه، أم نفسه، أم خلقه، أم خلقه، أم ماله، أم ولده، أم زوجته ... أم غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أم كتابك، أم رمزت، أم أشرت إليه بعينك، أم يدك، أم رأسك ونحو ذلك، أما البدن فكقولك: أعمى، أعرج، أعمش، أقرع، قصير، طويل، أسود، أصفر .

أما الدِّين فكقولك: فاسق، سارق، خائن، ظالم، متهاون في الصلاة، متساهل في النجاسات، ليس باراً بوالديه، لا يضع الزكاة مواضعها".

وقال الحافظ[3]: "وقد اختلف في حد الغيبة وفي حكمها، فأما حدها فقال الراغب: هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك.

وقال الغزالي: حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه.

وقال ابن الأثير في النهاية: الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه".

التعريض بالغيبة

وقال النووي[4]: "وممن يستعمل التعريض في ذلك كثير من الفقهاء في

---

(١) روا أبو داود في كتاب الحدود ٤٤٢٨، وهو حديث ضعيف.

(٢) الأذكار، ص: ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) الفتح جـ١٠/٤٦٩.

(٤) الأذكار، ٢٩٩، و الفتح جـ١٠/٤٦٩.

التصانيف وغيرها كقولهم: قال بعض من يدعي العلم، أو بعض من ينسب إلى الصلاح، أو نحو ذلك مما يفهم السامع منه المراد، ومنه قوله عند ذكره: الله يعافينا، الله يتوب علينا، نسأل الله السلامة ونحو ذلك وكل ذلك من الغيبة.

حكم الغيبة

الغيبة حرام ومن الكبائر.

قال الحافظ في الفتح[1]: وأما حكمها فقال النووي في الأذكار[2]: الغيبة والنميمة محرمتان بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك وذكر في "الروضة" تبعاً للرافعي أنها من الصغائر، وتعقبه جماعة ونقل أبو عبد الله القرطبي في تفسيره[3] الإجماع على أنها من الكبائر، لأن حد الكبيرة صادق عليها، لأنها مما ثبت الوعيد الشديد فيها، وقال الأذرعي: لم أر من صرح أنها من الصغائر إلا صاحب العدة والغزالي، وصرح بعضهم بأنها من الكبائر. وإذا لم يثبت الإجماع فلا أقل من التفصيل. فمن اغتاب ولياً، أو عالماً، ليس كمن اغتاب مجهول الحالة مثلاً.

وقال القرطبي[4]: "لا خلاف أن الغيبة من الكبائر".

قلت: والصواب أن الغيبة حرام ومن الكبائر لما تسببه من البغضاء والشحناء بين الناس وبما تفسده من الإخاء والمحبة بين الأصدقاء والأخلاء، فتتحول بسببها الصداقة إلى عداوة والصفاء إلى كدر.

---

(١) جـ١٠/٤٧٠.

(٢) ص: ٢٩٩.

(٣) جـ١٦/٣٣٧.

(٤) المصدر السابق.

الأدلة على تحريم الغيبة

الأدلة على أن الغيبة حرام، ومن الكبائر ما يأتي:

• قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

• وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم".**[2]

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله".**[3]

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك[4] من صفية[5] كذا وكذا قال بعض الرواة: تعني قصيرة فقال: **"لقد قلت كلمةً لو مُزِجت بماء البحر لمزجته".**[6]

تحريم سماع الغيبة

الغيبة حرام؛ سماعها، وإقرارها، والاستماع إليها، والتلذّذ بها حرام كذلك.

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) أبو داود رقم (٤٨٧٨)، وأحمد جـ٣/٢٢٤، قال محقق رياض الصالحين، ص: ٥٧٨: وإسناده صحيح.

(٣) مسلم رقم: ٢٥٦٤.

(٤) حسبك: كافيك.

(٥) صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ.

(٦) الترمذي (٢٥٠٤) وقال: حسن صحيح وأبو داود (٤٨٧٥)، وأحمد في المسند جـ٦/١٨٩، وإسناده صحيح، رياض الصالحين.

قال الإمام النووي في الأذكار[1]: "اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها، فيجب على من سمع إنساناً يبتدئ بغيبة محرّمة أن ينهاه، إن لم يخف ضرراً ظاهراً، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته. فإن قدر على الإنكار بلسانه، أو على قطع الغيبة بكلام آخر لزمه ذلك فإن لم يفعل عصى، فإن قال بلسانه: اسكت وهو يشتهي بقلبه استمراره، فقال أبو حامد الغزالي: ذلك نفاق لا يخرجه عن الإثم ولا بدّ من كراهته بقلبه، ومتى اضطر إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة، وعجز عن الإنكار فلم يقبل منه، ولم يمكنه المفارقة بطريق، حرم عليه الإصغاء والاستماع للغيبة، بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه أو بقلبه، أويفكر في أمر يشغله عن استماعها ولا يضرّه بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغاء في هذه الحالة المذكورة".

والأدلة على تحريم استماع الغيبة ما يلي:

- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾[2].
- وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3].
- وقال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[4].
- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"من ردّ عن عرض أخيه، ردّ**

---

(١) ص: ٣٠٢.

(٢) القصص: ٥٥.

(٣) المؤمنون: ٣.

(٤) الأنعام: ٦٨.

الله عن وجهه النار يوم القيامة".[1]

• وعن كعب بن مالك ﷺ في حديثه الطويل في قصة توبته قال: قال النبي ﷺ وهو جالس في القوم بتبوك: **"ما فعل كعب بن مالك؟** فقال رجل من بني سلمة: يا رسول اللهَ! حبسه برداه، والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل ﷺ: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.[2]

ما يباح[3] من الغيبة

الغيبة كما ذكرنا حرام فلا تجوز إلا لغرض شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريقها. وقد عدد النووي الأسباب التي تبيح الغيبة وهي ستة أسباب نلخصها فيما يلي فهي:

١. لدفع الظلم

فيجوز للمظلوم أن يشتكي للقاضي أو الحاكم ويبين لهما مظلمته. ودليل ذلك ما روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجلٌ شحيحٌ وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم. قال: **"خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف".**[4]

---

(١) الترمذي، (١٩٣٢)، وأحمد في مسنده، جـ٦/٤٥٠، وسنده حسن، كما قال في رياض الصالحين ص: ٥٧٩.

(٢) متفق عليه، البخاري جـ٨/٦٨-٩٣، ومسلم، رقم: ٢٧٦٨.

(٣) انظر رياض الصالحين، ص: ٤٥٠-٤٥٣.

(٤) متفق عليه، البخاري، جـ٩/٤٤٤-٤٤٥، ومسلم (١٧١٤).

٢. لغرض الاستعانة على تغيير منكر

وأن يكون هدفه الإصلاح وإزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك فحرام عليه، كمن يدل على من يتجر بالمخدرات، أو يصنع الخمور ونحو ذلك.

فعن زيد بن أرقم ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فاجتهد يمينه: ما فعل، فقالوا: كذب زيدٌ رسولَ الله ﷺ فوقع فنفسي مما قالوه شدّة حتى أنزل الله تصديقي ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[1].

٣. للاستفتاء

بأن يقول ظلمني أبي أو زوجي وقال النووي: "فهذا جائز للحاجة ولكن الأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا؟ فإن يحصل به الغرض مع غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز، كما ورد في حديث هند السابق".

٤. للتحذير من الشر

لتحذير المسلمين من الشر ونصحهم لما فيه خيرهم منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة. ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته أو معاملته. ومنها أن يرى رجلاً عالماً

---

(١) المنافقون: ١.

يتردد على صاحب بدعة أو فاسق.

فعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبا الجهم ومعاوية خطباني، فقال رسول الله ﷺ: **"أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو الجهم، فلا يضع العصا عن عاتقه"**.[1]

٥. أن يكون الشخص مجاهراً بفسقه وببدعته فلا غيبة لفاسق.

٦. إذا كان له لقب مثل الأعمش، والأعرج، والأعمى، والأحول، ونحو ذلك، ويزاد على ذلك.

٧. بيان فساد الحاكم الذي لا يحكم بشرع الله وتوضيح خزاياه وتعريته للناس فالحكم بغير ما أنزل الله أشد من الفسق والفجور.

النميمة

تعريف النميمة

هو نقل الكلام من شخص لآخر بغرض الإفساد بينهما.

حكمها

النميمة حرام ومن الكبائر فهي مثل الغيبة بل هي أشد وأكثر ضرراً منها.

أدلة تحريمها

- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا يدخل الجنّة نمّام"**.[2]

---

(١) متفق عليه، مسلم (١٤٨٠).

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ١٠/٣٩٤، ومسلم رقم (١٠٥).

• وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: "**إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير! بلى إنه لكبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**".[1]

(١) متفق عليه، البخاري، جـ١/٢٧٣-٢٧٦، ومسلم: ٢٩٢.

الفصل الثالث

الخوارق والكرامات

تعريف الكرامة

الكرامة أمر خارق للعادة يجريه الله على يد عبد من عباده الصالحين ليكون ذلك دليلاً على رضاه وقبوله له، والفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة كذلك هي: أمر خارق للعادة يجريه الله على يد رسول من رسله ولكن المعجزة لا تكون إلا للرسل خاصة وتكون المعجزة دائماً مرتبطة بتحدي أمم الرسل لرسلهم.

قال في شرح العقيدة الطحاوية[1]: "فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعها: الأمر الخارق للعادة".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[2]: "وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ــ ويسمونها آيات ــ، لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعها الأمر الخارق للعادة".

دليل الكرامة من الكتاب والسنة

الكرامة ثابتة بالكتاب والسنة وبإجماع الأمة، ولم ينكرها إلا مبتدع.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٥٥٨.

(٢) مجموع الفتاوى، جـ١١/٣١١.

دليل الكرامة من القرآن

فمن الكتاب ما حكاه لنا المولى ﷻ عن مريم عليها السلام قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ [1].

وقال عنها كذلك: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾ [2] فقد جاء في تفسير ذلك أنه كان يجد عندها فاكهة الشتاء في القيظ وفاكهة القيظ في الشتاء، فقال: يا مريم أنى لك هذا؟ فقالت: هو من عند الله". [3]

وكذلك قصة أصحاب الكهف وما أجراه الله عليهم من النوم. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [4].

قال القرطبي في تفسيره[5]: "وذهب الزجاج إلى أن فعل الشمس كان آية من الله دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك"، وقصتهم من أولها إلى آخرها آية وخارقة تدلّ على صلاح هؤلاء الفتية وعلى صدق إيمانهم وتقواهم.

---

(١) مريم: ٢٥ - ٢٦

(٢) آل عمران: ٣٧

(٣) الجامع لأحكام القرآن، جـ٤/٧١.

(٤) الكهف: ١٦ - ١٧

(٥) الجامع لأحكام القرآن، جـ١٠/٣٦٩.

دليل الكرامة من السنة

ودليل الكرامة من السنة ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحَدَّثون[1] فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر".**[2]

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره[3]: "كرامات الأولياء ثابتة على ما دلّت عليه الأخبار الثابتة، والآيات المتواترة، ولا ينكرها إلا مبتدع جاحد، أوفاسق حائد، فالآيات ما أخبر الله تعالى في حق مريم من ظهور الفواكه الشتوية في الصيف والصيفية في الشتاء ... وما ظهر على يدها من حيث أمر النخلة وكانت يابسة فأثمرت وهي ليست بنية".

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية[4]: "وقول المعتزلة في إنكار الكرامة: ظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات، وقولهم لو صحت لأشبهت المعجزة فيؤدي إلى التباس النبي بالولي، وذلك لا يجوز! وهذه الدعوة تصحّ إذا كان الولي يأتي بالحارق ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، وإذا ادعى النبوة لم يكن ولياً بل كان متنبئاً كذاباً".

ضابط الكرامة الأساس هو الاستقامة على أمر الدين

اعلم أخي المسلم ـ وفقني الله وإياك على الاستقامة على طاعته ـ أن ضابط

---

(١) محدَّثون: ملهمون.

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري، جـ٧/٤٠-٤١، ورواه مسلم عن عائشة، رقم: ٢٣٩٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، جـ١١/٢٨.

(٤) شرح الفقيدة الطحاوية، ص: ٥٦٢-٥٦٣.

الكرامة الأساس هو التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وبما أجمع عليه سلف هذه الأمة وأن أكبر كرامة للعبد الصالح في هذه الحياة الدنيا هي الاستقامة على طاعة الله ورسوله ﷺ.

فالكرامة إذن هي ثمرة الإيمان والتقوى واتباع الرسول ﷺ، وإتقان الفرائض، والإكثار من النوافل، والبعد عن المعاصي والشبه والبدع والمنكرات.

وليس كل أمر خارق للعادة يسمى كرامة، فعلينا أن ننظر إلى سيرة الرجل الذي جرت على يده الخارقة فإن كانت سيرته مرضية، وكان عمله كله موافقاً للشرع وكان هذا الرجل مجانباً للبدع والشُّبَه والمعاصي، فلا مانع من أن يكرمه الله ﷻ.

أما إذا كان صاحب الخارقة غير متبع للرسول ﷺ وهو من أهل البدع والمنكرات فهذه ليست كرامة وصاحبها ليس من أولياء الله الصالحين. قال الإمام الشافعي رحمه الله: "إذا رأيت الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه ولا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للرسول ﷺ".

فكم من صاحب خارقة هو من ألد أعداء الله؟! كالمسيح الدجّال الذي يجوب الأرض شرقاً وغرباً والذي يأمر السماء أن تمطر فتمطر في الحال بإذن الله ويأمر الأرض أن تخرج زروعها فتخرجها ويقول للشجرة تعالي فتأتي ويقول لها ارجعي فترجع. وكذلك هنالك من الفسقة والكفرة من له صلة بالشياطين أوعلم بالسحر من يأتي بالعجائب.

قال العلامة ابن أبي العز رحمه الله في شرحه للعقيدة الطحاوية[1]: "ثم الخارق إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جـ ١١/٦٦٦.

بها ديناً وشرعاً، إما واجب وإما مستحب، وإن حصل به أمر مباح، كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تتريه كان سبباً للعذاب أو البغض، كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها، بلعام بن باعورا، لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أوغلبة حال، أو عجز أو ضرورة.

فالخارق ثلاثة أنواع: محمود في الدين، ومذموم، ومباح، فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها.

قال أبو علي الجوزجاني: كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة.

قال الشيخ السهروردي في "عوارفه": "وهذا أصل كبير في الباب، فإن كثيراً من المجتهدين المتعبدين سمعوا السلف الصالحين المتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئاً منها، ولعلّ أحدهم يبقى منكسر القلب، متهماً لنفسه في صحة عمله، حيث لم يحصل له خارق، ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقيناً فيقوي عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى، فسبيل الصادقين مطالبة النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة.

ثم قال ابن أبي العز[1]: "فإن تقرر ذلك فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضرّ المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم

(١) المصدر السابق.

يسخر له شيئاً من الكونيات، لا ينتقص ذلك من مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له. فإنه إن اقترن[1] به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين، وقد يكون مع عدمه، أوفساده أونقصه، فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له، كما أن الرئاسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال النافع بيد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فمن جعلها هي المقصودة، وجعل الدين تابعاً لها ووسيلة إليها، لا لأجل الدين في الأصل فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين. وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة، فإن ذلك ما هو مأمور به وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[2] رحمه الله: "ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أوالمحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلوّ درجتِهِ وغناه عنها، لا لنقص ولايته؛ ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة؛ بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة.

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية مثل حال عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال؛ لكنه كان من جنس الكهان قال له النبي ﷺ قد خبأت لك خبئاً قال: الدخ الدخ. وقد كان خبأ له سورة الدخان

---

(١) أي الخارق.

(٢) مجموع الفتاوى.

فقال له النبي ﷺ: **"اخسأ فلن تعدو قدرك"** يعني إنما أنت من إخوان الكهان ؛ والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: **"إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم"**.

ثم قال: والأسود العنسي الذي ادعى النبوة باليمن في أخريات أيام النبي ﷺ، كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبية فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه.

وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره. بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد وتمنع السلاح أن ينفذ فيه وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء ويقول: هي الملائكة وإنما كانوا جنا ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه فقال له عبد الملك: إنك لم تسم الله فسمى الله فطعنه فقتله.

أنواع الفِرَاسة والإلهام

كما ورد في الحديث السابق الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ:

"لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، فإن يك في أمتي أحدٌ فإنه عمر"[1]، فهل كل فراسة تدل على تقوى؟

قال ابن أبي العز رحمه الله: "ومما ينبغي التنبيه عليه هاهنا : أن الفراسة ثلاثة أنواع:

١. فراسة إيمانية

وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانا كان أخد فراسته. قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب ، وهي من مقامات الإيمان.[2]

٢. وفراسة رياضية

وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان، ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم.

وهذا النوع من الفراسة هو الموجود اليوم عند الكثيرين ممن يدعي الولاية.

---

(١) متفق عليه.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٥٦٣.

٣. وفراسة خَلْقية

وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخَلْق على الخُلُق، لما بينهما من الارتباط، الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره على كبره، وسعة الصدر على سعة الخلق، وبضيقه على ضيقه، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما وضعف حرارة قلبه.

مذاهب الناس في إثبات الكرامة

وذهب الناس في إثبات الكرامة ثلاثة مذاهب، وسط وطرفي نقيض:

١. فريق يقرّها ولكن في حدود ضيقة جداً جداً أو معدومة.

٢. فريق يثبتها مطلقاً ولكن بشروط وضوابط معينة وهذا هو الوسط.

٣. وفريق يعتبر كل خارقة كرامة مهما كان حال صاحب الخارقة. وهذا خطأ.

قال الحافظ في الفتح[١] معلقاً على ما رزقه الله لخبيب بن عدي وقول بنت الحارث "ما كان إلا رزقاً رزقه الله". قال ابن بطال: هذا يمكن أن يكون الله جعله آية على الكفار وبرهاناً لنبيه لتصحيح رسالته قال: فأما من يدعي وقوع ذلك له اليوم بين ظهراني المسلمين فلا وجه له، إذ المسلمون قد دخلوا في الدين وأيقنوا بالنبوة، فأي معنى لإظهار الآية عندهم؟ ولو لم يكن في تجويز ذلك إلا أن يقول جاهل إذا جاز ظهور هذه الآيات على يد غير نبي فكيف نصدقها من نبي والفرض أن غيره يأتي بها لكان في إنكار ذلك قطعا للذريعة، إلى أن قال:

---

(١) جـ٧/٣٨٣.

إلا أن وقوع ذلك مما لا يخرق عادة ولا يقلب عينا، مثل أن يكرم الله عبدا بإجابة دعوة في الحين، ونحو ذلك مما يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة الولي، ومن ذلك حماية الله تعالى عاصما لئلا ينتهك عدوه حرمته انتهى.

قال الحافظ: إن ابن بطال توسط بين من يثبت الكرامة ومن ينفيها فجعل الذي يثبت ما قد تجري به العادة لآحاد الناس أحياناً، والممتنع ما يقلب الأعيان مثلا، والمشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقا، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء فقال، ولا يصلون إلى مثل إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك، وهذا أعدَلُ المذاهبِ في ذلك، فإن إجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة، فانحصر الخارق الآن فيما قاله القشيري، وتعين تقييد قول من أطلق أن كل معجزة وجدت لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي.

ووراء ذلك كله أن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلط ممن يقوله، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل، من ساحر، وكاهن، وراهب ، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق ، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا وبالله التوفيق.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله[1]: "وكان حيوة بن شريح ضيّق العيش جداً فقيل له لو دعوت الله أن يوسع عليك؟ فأخذ حصاة من الأرض، فقال:

(١) جامع العلوم والحكم، ص: ٣٤٨.

اللهم اجعلها ذهباً فصارت تبرة في كفّه، وقال: ما خير في الدنيا إلا الآخرة. ثم قال هو أعلم بما يصلح عباده، وربما دعا المؤمن المجاب الدعوة بما يعلم الله الخير له في غيره فلا يجيبه إلى سؤاله، ويعوضه مما هو خير له، إما في الدنيا أو في الآخرة.

وخرج الطبراني من حديث سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: **"إن من أمتي من لو جاء أحدهم يسأله ديناراً لم يعطه، ولو سأله فلساً لم يعطه، ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها، ذو طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه"**. وخرّجه غيره مرسلاً وزاد فيه: **"ولو سأل الله شيئاً من الدنيا ما أعطاه تكرمة له"**.

الفرق بين الكرامة، والأحوال الشيطانية، والسحر، والاستدراج

كما سبق أن ذكرنا فليس كل أمر خارق للعادة يعتبر كرامة وينبغي أن لا نحكم على صاحبه بأنه من أولياء الله الصالحين، فقد يكون صاحب الخارقة عدواً من أعداء الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى[1]: "فهؤلاء المبتدعون المخالفون للكتاب والسنة أحوالهم ليست من كرامات الصالحين ؛ فإن كرامات الصالحين إنما تكون لأولياء الله المتقين؛ الذين قال الله فيهم: ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾**﴾ ... فأولياء الله المتقون هم المتبعون لكتاب الله وسنة رسوله كما قال

(١) جـ١١/٦٦٥-٦٦٦.

تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ وطريقهم طريق أنبياء الله المرسلين، وأولياء الله المتقين، وحزب الله المفلحين.

وأما أهل الشرك والبدع والفجور فأحوالهم من جنس أحوال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي اللذين ادعيا النبوة في آخر أيام النبي ﷺ، وكان لكل منهما شياطين تخبره وتعينه.

وقال ابن أبي العز[1] رحمه الله: "وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع، نوع منهم أهل تلبيس وكذب وخداع، الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له، أو يدعي الحال من أهل المحال، من المشايخ النصابين، والفقراء الكذابين، والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس. وقد يكون من هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك.

ونوع يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر. وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، في المنصوص عنه. وهذا هو المأثور عن الصحابة كعمر وابنه وعثمان وغيرهم.

ثم اختلف هؤلاء: هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر؟ أم يقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟

وقالت طائفة: إن قتل بالسحر يقتل، وإلا عُوقِب بدون القتل، إذا لم يكن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٥٦٩.

في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي وهو قول في مذهب أحمد.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الأحوال الشيطانية:

"ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع، ومنهم من يطير بهم الجنيّ إلى مكّةَ أو بيتِ المقدسِ أو غيرهما، ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم يعيده من ليلته فلا يحج حجا شرعيا؛ بل يذهب بثيابه ولا يحرم إذا حاذى الميقات، ولا يلبي، ولا يقف بمزدلفة ولا يطوف بالبيت، ولا يسعى بين الصفا والمروة، ولا يرمي الجمار؛ بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته وهذا ليس بحج. ولهذا رأى بعض هؤلاء الملائكة تكتب الحجاج، فقال ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج. يعني حجاً شرعياً. وبين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة".(١)

قلت: فالشياطين لهم صلة بالبشر ويتشكلون بأشكال مختلفة وما قصة أبي هريرة ﷺ مع أسيرة عنا ببعيدة، ففي الحديث الصحيح أن أبا هريرة لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه، فيقول له النبي ﷺ: **"ما فعل أسيرُك البارحة؟"** فيقول: زعم أنه لا يعود، فيقول: **"كذبك وأنه سيعود"**. فلما كان في الثالثة قال: دعني حتى أعلمك ما ينفعك: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ** ... ﴾ الآية، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان، فلما أخبر النبي ﷺ، بذلك قال: **"صدقك وهو كذوب"**. وأخبره أنه الشيطان.

---

(١) مجموع الفتاوى، ج١١/٢٨٦-٢٨٧.

فتنة المسيح الدجّال

ومما يدلك على أن حدوث الخارقة لا يثبت صلاحاً، وعدم حدوثها لا ينفيه ما يجريه الله ﷻ من الخوارق على يد المسيح الدجّال عليه اللعنة، فهو الدجال الأكبر، وفتنته تصيب المؤمنين الصالحين حتى أن الرسول ﷺ كان يستعيذ في صلاته من فتنته كما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: **"سمعت رسولَ الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال"**.[1] وكان الصحابة يتهيبون خروجه في عهدهم ويكثرون من السؤال عنه.

فعن قيس قال: "قال لي المغيرة بن شعبة: ما سأل أحد صلى الله عليه وسلم عن الدجال ما سألته، وإنه قال لي: **"ما يضرّك منه؟"** قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء، قال: **"بل هو أهون على الله من ذلك**[2]**"**.[3]

وقد أنذر الرسولُ أصحابَه منه ومن فتنته وهكذا فعل جميعُ الأنبياء قبلُ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: **"إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه، لكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور"**.[4]

---

(١) البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم: (٧١٢٩).

(٢) قال القاضي عياض: معناه هو أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوب المؤمنين، بل ليزداد الذين آمنوا إيماناً ويرتاب الذين في قلوبهم مرض فهو مثل قول الذي يقتله: ما كنت أشد بصيرة مني اليوم فيك، الفتح ج١٣/٩٣.

(٣) البخاري في الفتن، باب ذكر الدجال، رقم: (٧١٢٢).

(٤) البخاري في الفتن، باب ذكر الدجال رقم (٧١٢٧).

وعن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال في الدجال: "**إن معه ماءً وناراً، فناره ماء بارد، وماؤه نار**".[1]

وعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "**ما بعث نبي إلا أنذر أمّته الأعور الكذاب، إلا أنه أعور، وإن ربّكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر**".[2]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله**".[3]

وعن عتبة بن مسعود أن أبا سعيد قال: حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما يحدثنا به أنه قال: "**يأتي الدجال _وهو محرم عليه_ أن يدخل نقاب المدينة_ فيترل بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس _أو من خيار الناس_ فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييته هي تشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشدّ بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه**".[4]

قال الحافظ[5]: "وقال القاضي عياض: في هذه الأحاديث حجةٌ لأهل

---

(١) البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم: (٧١٣٠).

(٢) البخاري في كتاب الفتن باب ذكر الدجال، رقم: (٧١٣١).

(٣) متفق عليه.

(٤) البخاري في الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم: (٧١٣٢).

(٥) الفتح، جـ١٣/١٠٥.

السنة في صحةِ وجودِ الدجّال، وأنه شخص معين يبتلي الله به العباد ويقدره على أشياء كإحياء الميت الذي يقتله، وظهور الخصب والأنهار، والجنة والنار، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء فتمطر، والأرض فتنبت وكل ذلك بمشيئة الله، ثم يعجزه الله فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ثم يبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم.

وقد خالف في ذلك بعض الخوارج، والمعتزلة، والجهمية فأنكروا وجوده وردوا الأحاديث الصحيحة، وذهب طوائف منهم كالجبائي إلى أنه صحيح الوجود لكن كل الذي معه مخاريق وخيالات لا حقيقة لها، وألجأهم إلى ذلك أنه لو كان ما معه بطريق الحقيقة لم يوثق بمعجزات الأنبياء، وهو غلط منهم لأنه لم يدع النبوة فتكون الخوارق تدل على صدقه، وإنما ادعى الإلهية وصورة حاله تكذبه لعجزه ونقصه فلا يغتر به إلا رعاع الناس إما لشدة الحاجة والفاقة وإما تقية وخوفا من أذاه وشره مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكث حتى يتأمل الضعفاء حاله ، فمن صدقه في تلك الحال لم يلزم منه بطلان معجزات الأنبياء ، ولهذا يقول له الذي يحييه بعد أن يقتله: "**ما ازددت فيك إلا بصيرة**".

قلتُ: ولا يعكر على ذلك ما ورد في حديث أبي أمامة عند ابن ماجه أنه "يبدأ فيقول أنا نبي، ثم يثني فيقول أنا ربكم" فإنه يحمل على أنه، إنما يظهر الخوارق بعد قوله الثاني. ووقع في حديث أبي أمامة المذكور "**وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول نعم، فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه يقولان له: يا بني اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، ويمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر والأرض أن تنبت فتمطر وتنبت حتى تروح**

مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظم وأمده خواصر وأدره ضروعا".

ألقاب باطلة: مثل الأوتاد، والأقطاب، وخاتم الأولياء، والغوث

ومما يجدر ذكره في هذا المقام التنـــبيه على بعض الألقاب والأسماء التي يدور ذكرها على ألسنة بعض الناس مثل (الغَوث) و(الأوتاد) و(الأقطاب) فهل لهذه الألقاب والأسماء أصل في كتاب وسنة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد سئل عن الحديث المروي في "الأبدال هل صحيح أم مقطوع؟ وهل الأبدال مخصوصون بالشام؟".

فأجاب[1]: "أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل "الغوث" الذي بمكة و"الأوتاد الأربعة" و"الأقطاب السبعة" و"الأبدال الأربعين" و"النجباء الثلاثمائة"؛ فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى؛ ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال. فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال: "إن فيهم -يعني أهل الشام- الأبدال الأربعين رجلا كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا". ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف.

كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله فإن كل الأحاديث التي وردت في الأبدال في إسنادها مقال وقد خرّجها الشيخ ناصر الدين الألباني وهي:

- **"الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله تعالى**

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية المجلد ١١/٤٣٣، والصفحات التالية لها.

مكانه رجلاً، وكلما ماتت امرأة أبدل الله تعالى مكانها امرأة"، عن أنس ضعيف.[1]

- **"الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقي بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب"**. عن علي ضعيف.[2]
- **"الأبدال في أمتي ثلاثون، وبهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون وبهم تنصرون"**. عن عبادة بن الصامت، ضعيف.[3]
- **"الأبدال في أهل الشام وبهم ينصرون وبهم يرزقون"**. عن عوف بن مالك ضعيفاً.[4]
- **"الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل، أبدل الله مكانه رجلاً"**. ضعيف[5] عبادة بن الصامت.
- **"الأبدال من الموالي"** عن عطاء مرسلاً، ضعيف.[6]

الغوث

ثم قال: "فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله فهو غياث

---

(١) ضعيف الجامع الصغير للألباني، ج١/٢٧٤، رقم(٢٢٦٥) والأحاديث الضعيفة رقم(٢٤٩٨).

(٢) ضعيف الجامع الصغير للألباني، ج١/٢٧٥، رقم (٢٢٦٦) والأحاديث الضعيفة رقم (٢٩٩٣).

(٣) ضعيف الجامع الصغير للألباني، ج١/٢٧٤، رقم (٢٢٦٧) والأحاديث الضعيفة رقم (٩٤٠).

(٤) ضعيف الجامع الصغير للألباني، ج١/٢٧٤، رقم (٢٢٦٨) والأحاديث الضعيفة رقم (٩٤٠).

(٥) ضعيف الجامع الصغير للألباني ج١/٢٧٥-٢٧٦، رقم ٢٢٦٩ والأحاديث الضعيفة رقم (٩٤٠).

(٦) ضعيف الجامع الصغير للألباني، ج١/٢٧٦، رقم (٢٢٦٥) والأحاديث الضعيفة رقم (١٤٧٦).

المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل. ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة، والثلاثمائة إلى السبعين، والسبعون إلى الأربعين، والأربعون إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة، والأربعة إلى الغوث، فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾.

الأوتاد

وأما الأوتاد فقد يوجد في كلام البعض أنه يقول: فلان من الأوتاد، يعني بذلك أن الله تعالى يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله به كما يثبت الأرض بأوتادها وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة من العلماء ... وليس ذلك محصوراً في أربعة ولا أقلّ ولا أكثر.

خاتم الأولياء

ثم قال: وكذا لفظ "خاتم الأولياء" لفظ باطل لا أصل له وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: كابن حمويه، وابن عربي، وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي عليه السلام من بعض الوجوه إلى غير ذلك من الكفر والبهتان وكل ذلك طمعا في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء وقد غلطوا؛ فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك وليس كذلك خاتم الأولياء فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون

الأولون من المهاجرين والأنصار وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ﷺ ثم عمر ﷺ ثم عثمان ﷺ ثم علي ﷺ وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس وليس ذلك بخير الأولياء ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق ﷺ ثم عمر ﷺ: اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما".[1]

كرامات أولياء هذه الأمة هي امتداد لمعجزاته ﷺ

كرامات أولياء الله الصالحين هي ثمرة الإيمان والتقوى ومحبة الله ورسوله واتباعه ﷺ فيما أمر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر ولذلك فهي امتداد لمعجزات نبينا وحبيبنا محمد ﷺ.

ما أكرم الله به أولياءه

لقد أكرم الله عباده المتقين بكرامات كثيرة واصطفاهم وميّزهم على غيرهم بأشياء كثيرة عديدة:

من تلكم الكرامات:

١. "لهم البشرى في الحياة الدنيا"

فما المراد بهذه البشرى؟

قال الله تعالى معدداً ما أكرم به أولياءه بقوله: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

(١) مجموع الفتاوى، مجلد١١/٤٣٣، والصفحات التي تليها.

وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾[1].

ولقد ورد في تفسير البشرى هذه أقوال كثيرة وآراء عديدة مدارها وملخصها في شيئين اثنين هما:

- أن البشرى هي الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له.
- وقيل إن المراد بالبشرى: البشارة التي تبشرها الملائكة للعبد المؤمن عند مفارقته للدنيا وإقباله على الآخرة.

فعن أبي الدرداء ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عنها ـ يعني عن البشرى ـ فقال: **"ما سألني أحد عنها غيرك منذ أنزلت: هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له"**.[2]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"الرؤيا الحسنة هي البشرى، يراها المسلم أو ترى له"**.[3]

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا نبوة بعدي إلا المبشرات"** قيل: يا رسول الله! ما المبشرات؟ قال: **"الرؤيا الصالحة"**.[4]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثاً: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله،**

---

(١) يونس: ٦٤

(٢) الترمذي (٢٢٧٣) كتاب الرؤيا باب قوله لهم البشرى، جـ٤/٥٣٤.

(٣) قال عنه محمود شاكر، صحيح الإسناد: تفسير الطبري بتحقيقه، جـ١٥/١٣٠.

(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه، وأحمد كما قال السيوطي في الدر المنثور.

والرؤيا ما تحزن من الشيطان، والرؤيا بما يحدث بها الرجل نفسه، وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث به الناس".

وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **"الرؤيا على ثلاثة: تخويف من الشيطان ليحزن به ابن آدم، ومنه الأمر يحدث به نفسه في اليقظة فيراه في النوم، ومنه جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة".**[1]

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله[2] في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ**... ﴾ الآية، اختلف أهل التأويل في البشرى التي بشّر الله بها هؤلاء القوم ما هي؟ وما صفتها؟ فقال بعضهم: هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له.

ثم بعد أن فصّل في إيراد الآثار في تأويل البشرى قال[3]: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله كما روي عن النبي ﷺ: **"إن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه".**[4]

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيرها[5]: "وقال الزهري وعطاء

---

(١) ابن أبي شيبة.

(٢) جـ١٥/١٢٤.

(٣) المصدر السابق، جـ١٥/١٤٠.

(٤) قال عنه الشيخ محمود محمد شاكر جـ١٥/١٤٠: لم أستطع أن أجده بلفظ في مكان قريب.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، جـ٨/٣٥٨.

وقتادة: هي البشارة التي تبشّر بها الملائكة المؤمن في الدنيا عند الموت.

قال القرطبي: وعن محمد بن كعب القرظي: إذا استنقعت[1] نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليكم ولي الله، الله يقرئك السلام، ثم نزع واستدل بهذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾[2].

قال القرطبي: قال قتادة والضحاك: هي أن يعلم أي هو من قبل أن يموت وقال القرطبي قال الحسن: هي ما يبشرهم الله تعالى في كتابه، من جنته وكريم ثوابه بقوله: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ ﴾[3] وبقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ ﴾[4] وبقوله: ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[5].

رؤيا النبي ﷺ

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **"من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان بي"**.[6] وقال أبو عبد الله: قال ابن سيرين: إذا رآه في صورته.[7]
- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **"من رآني في المنام فقد رآني، فإن**

---

(١) استنقعت: اجتمعت تريد الخروج.

(٢) النحل: ٣٢.

(٣) التوبة: ٢١.

(٤) البروج: ١١.

(٥) فصلت: ٣٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ، رقم: (٦٩٩٣).

(٧) البخاري تعليقاً كتاب التعبير باب من رأى النبي ﷺ.

الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة".[1]

فرؤيا الرسول ﷺ من البشارات الواضحات والكرامات البينات. هذا إذا رآه المرء بكامل هيئته وبصفاته المعلومة ﷺ فإن الشيطان لا يتمثل به وذلك من إكرام الله لعبده ورسوله محمد ﷺ.

فالذي رأى الرسول ﷺ في المنام إما أن يكون رآه قبل ذلك كالصحابة، وإما أن يكون لم يره فهذا لا تصدَّق رؤياه حتى يصفه كما وصفه أهل السير، فإن خرم من صفاته شيئاً فهو لم يره، لأن الشيطان لا يتمثل به بأبي هو وأمّي.

فعن أيوب السختياني قال: كان محمد بن سيرين إذا قص عليه رجلٌ أنه رأى النبي ﷺ قال: صف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره".[2]

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[3] معلقاً على أثر ابن سيرين السابق: "ووجدتُ له ما يؤيده: فأخرج الحاكمُ من طريق عاصم بن كليب حدّثني أبي قال: قلتُ لابن عباس: رأيت النبي ﷺ في المنام، قال: صف لي. قال: ذكرتُ الحسن بن عليّ فشبّهتُهُ به قال: قد رأيته".[4]

وقال الحافظ في الفتح[5]: "وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا: إذا قال

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ، رقم: (٦٩٩٤).

(٢) قال الحافظ في الفتح، جـ١٢/٣٨٤، وسنده صحيح.

(٣) جـ١٢/٣٨٤.

(٤) قال الحافظ: وسنده جيد، المصدر السابق.

(٥) جـ١٢/٣٨٧.

الجاهل: رأيت النبي ﷺ فإنه يُسأَل عن صفته فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه، وأشاروا إلى ما إذا رآه على هيئة تخالف هيئته مع أن الصورة[1] كما هي، فقال أبو سعد أحمد بن محمد بن نصر: من رأى نبيّاً على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي، وكمال جاهه وظفره بمن عاداه، ومن رآه متغير الحال عابساً مثلاً فذاك دالّ على سوء حال الرائي".

وقال[2]: قال بعض علماء التعبير: إن من رآه شيخاً فهو عام سِلْم، أوشابّاً فهو عام حرب.

فهذا فهم ابن عباس رضي الله عنه حبر الأمة وترجمان القرآن الذي دعا له رسول الله ﷺ بالفقه في الدينِ فهل يدانيه فهم؟!

وكذلك فهم محمد بن سيرين وهو إمامٌ في التعبير، فهل بعد ذلك يلتفت إلى قول أحد ممّن يزعم أن الرسول ﷺ يراه الرائي على قدر حالة؟ فيمكن أن يراه حليقاً مثلاً؟ أو على هيئة شخص يرتدي زي الكفار؟ ونحو ذلك؟ فهذا فهم سقيم، وهذه ليست رؤيا، وإنما هي أضغاث أحلام ولا ينبغي أن يلتفت إليها ولا يعَوَّل عليها. وما روي عن ابن عباس وابن سيرين بالأسانيد الصحيحة يدلّ على ضعف ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من رآني في المنام فقد رآني فإني أرى في كل صورة"**.[3]

---

(١) لا بد أن تكون الصورة كما هي، لكن قد يراها عابساً، أو باسماً، أو شابّاً، أو كهلاً، ونحو ذلك.

(٢) ص: ٣٨٦.

(٣) قال الحافظ في الفتح، جـ١٢/٣٨٤: وفي سنده صالح مولى التوأمة وهو ضعيف لاختلاطه وهو رواية من سمع منه بعد الاختلاط.

ما المراد بقوله "فكأنما رآني في اليقظة"؟

قال الحافظ[1]:وقال المازري: إن كان المحفوظ **"فكأنما رآني في اليقظة"** فمعناه ظاهر وإن كان المحفوظ: **"فسيراني في اليقظة"** احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر إليه فإنه إذا رآه في المنام جعل علامة على أنه يراه بعد ذلك في اليقظة وأوحى الله بذلك إليه ﷺ.

وقال القاضي: وقيل معناه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها، وقيل معنى الرؤيا في اليقظة أنه سيراه في الآخرة ... رؤية خاصة من القرب.

وقد اشتد إنكار القرطبي على من قال من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة.

تنبيه

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرسول ﷺ لا يُرى في الدنيا يقِظَة بعد انتقاله للرفيق الأعلى فلو كانت رؤياه يقظة ممكنة لرآه الصحابة الأخيار لا سيما فقد حدثت بعده أمور جسام، وفتن عظام، وكان الصحابة يحتاجون فيها إلى قول فصل.

٢. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير ذلك[2]: المراد بـ ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ قيل: يقصد به الدنيا، وقيل إن من تولاه الله تعالى، وتولى

(١) الفتح، جـ١٢/٣٨٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، جـ٨/٣٥٧.

حفظه وحياطته ورضي عنه، فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن. وقيل: لا خوف عليهم في ذريتهم لأن الله يتولاهم.

وقال الإمام الألوسي في تفسيره (روح المعاني)[1] ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: "والمعنى لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب في جميع الأوقات _أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك، لا أنهم لا يعتريهم مكروه_ لكنهم لا يخافون ولا يحزنون.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره[2]﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: "أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما وراءهم من الدنيا".

٣. تولي الله لمحاربة أعداء أوليائه

ومن إعزاز الله لأوليائه المتقين وجنده المخلصين أن تولّى محاربة أعدائهم وآذنهم بالحرب وذلك لأنهم هم في الحقيقة أعداء الله ﷻ.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضتُه عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكرهُ الموتَ وأنا أكره مساءته".**[3]

---

(١) جـ١١/١٤٦-١٤٧.

(٢) جـ٢/٤٢٢.

(٣) البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم: (٦٥٠٢).

قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم[1] معلقاً على حديث: **"من عادى لي ولياً** ..." الحديث. قال: قيل إنه أشرف حديث في ذكر الأولياء. فأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[2]

المراد بمحاربة الله

محاربة الله ﷻ كامنة في ترك أوامره وارتكاب معاصيه، قال ابن رجب الحنبلي[3]: "واعلم أنَّ جميعَ المعاصي محاربة لله ﷻ، قال الحسن: ابنَ آدم! هل لك بمحاربة الله من طاقةٍ؟ فإنَّ مَنْ عصى الله، فقد حاربه، لكن كلَّما كانَ الذَّنبُ أقبحَ، كانت المحاربة لله أشد، ولهذا سمّى الله تعالى أَكَلةَ الرِّبا، وقُطَّاع الطَّريق محاربينَ لله تعالى ولرسوله؛ لعظيم ظلمهم لعباده، وسعيهم بالفساد في بلاده، وكذلك معاداةُ أوليائه، فإنَّه تعالى يتولَّى نُصرةَ أوليائه، ويُحبهم ويؤيِّدُهم، فمن عاداهم، فقد عادى الله وحاربه، وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ قال: "اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتَّخذوهُم غرضاً، فمن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يُوشِكُ أن يأخُذَهُ".[4] وذلك لأن أصحابه أفضل أولياء الله على الإطلاق فهم أفضل البشر بعد الأنبياء والرسل.

قال الحافظ في الفتح[5]: **"من عادى لي وليا"** المراد بولي الله العالم بالله،

---

(١) ص: ٣٣٧.

(٢) الممتحنة: ١

(٣) المصدر السابق، ص: ٣٣٩.

(٤) رواه الترمذي في المناقب، رقم: (٣٨٦٢)، جـ٥/٦٩٦، وقال: حسن غريب.

(٥) جـ١١/٣٤٢.

المواظب على طاعته المخلص في عبادته. وقد استشكل وجود أحد يعاديه لأن المعاداة إنما تقع من الجانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه.

وأجيب بأن المعاداة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلا بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لأبي بكر، والمبتدع في بغضه للسني، فتقع المعاداة من الجانبين، أما من جانب الولي فلله تعالى وفي الله، وأما من جانب الآخر فلما تقدم.

وكذا الفاسق المجاهر ببغضه للولي في الله وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته.

وقد تطلق المعاداة ويراد بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل ومن الآخر بالقوة.

وقال ابن هبيرة في "الإفصاح": قوله "عادى لي وليا" أي اتخذه عدوا، ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته وهو إن تضمن التحذير من إيذاء قلوب أولياء الله ليس على الإطلاق بل يستثنى منه ما إذا كانت الحال تقتضي نزاعا بين وليين في مخاصمة أو محاكمة ترجع إلى استخراج حق أو كشف غامض.

فإنه جرى بين أبي بكر وعمر مشاجرة، وبين العباس وعلي، إلى غير ذلك من الوقائع.

قال الحافظ: وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلة من الجانبين مع أن المخلوق في أسر الخالق، والجواب أنه من المخاطبة بما يفهم، فإن الحرب تنشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالب، فكأن المعنى فقد تعرض لإهلاكي إياه. فأطلق الحرب وأراد لازمه أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب.

قال الفاكهاني: في هذا تهديد شديد، لأن من حاربه الله أهلكه، وهو من المجاز البليغ، لأن من كره من أحب الله خالف الله، ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت في جانب الموالاة ، فمن والى أولياء الله أكرمه الله.

وقال الطوفي: لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة، وقد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديق وصديق العدو عدو، فعدو ولي الله عدو الله فمن عاداه كان كمن حاربه ومن حاربه فكأنما حارب الله".

المراد بقوله: "كنت سمعه الذي يسمع به ..." الحديث

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في بيان ذلك[1] عددا من الأجوبة فقال: "وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ؟ والجواب من أوجه:

أحدها: أنه ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح.

ثانيها: أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به.

ثالثها: المعنى أحصل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ.

رابعها: كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه.

---

(١) الفتح، جـ١١/٢٤٤-٣٤٥.

خامسها: قال الفاكهاني وسبقه إلى معناه ابن هبيرة: هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف، والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه، وحافظ بصره كذلك إلخ.

سادسها: قال الفاكهاني: يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله، وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملى بمعنى مأمولي، والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي، ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك ، وبمعناه قال ابن هبيرة أيضا.

وقال الحافظ: وقال الطوفي: اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته، حتى كأنه سبحانه يترل نفسه من عبده مترلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية "**فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي**" قال: والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية، قالوا: فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر، قالوا فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

قال الخطابي: هذه أمثال، والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده ، ومن السعي إلى الباطل برجله. وإلى هذا نحا الداودي، ومثله الكلاباذي، وعبر بقوله أحفظه فلا يتصرف إلا في محابي، لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما يكرهه منه.

سابعها: قال الخطابي أيضا: وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة.

وقال بعضهم: وهو منتزع مما تقدم لا تتحرك له جارحة إلا في الله ولله، فهي كلها تعمل بالحق للحق.

ثم قال: وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق، تعالى الله عن ذلك، وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج.

ثم قال: وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث "**ولئن سألني، ولئن استعاذني**" فإنه كالصريح في الرد عليهم.

أكبر كرامة للولي في الآخرة هي الفوز بأعلى الجنان

إكرام الله الحقيقي لعبده الصالح التقي يظهر يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين، ذلك هو الإكرام الأكبر والفوز الأعظم، قال تعالى: ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ**﴾[1].

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله ﷻ: ﴿**وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾[2]:

---

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، جـ٤/٣٠٢.

"ظفر بما يرجو ونجا مما يخاف".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤوا إن شئتم: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾** [1].

وقال عز وجل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [2]

نماذج من الكرامات

سنذكر في هذه الصفحات نماذج لبعض كرامات عباد الله الصالحين من صالحي الأمم السابقة وبعض الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

نماذج من كرامات صالحي الأمم السابقة

١. قصة مريم

لقد أكرم الله السيدة مريم بكرامات كثيرة منها:

- قال تعالى: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾ [3]

قال الإمام القرطبي[4]: "قال ابن عباس: كان جذعا نخراً فلما هزت نظرت إلى أعلى الجذع فإذا السعف قد طلع، ثم نظرت إلى الطلع قد خرج من بين

---

(١) الرحمن: ٦٠.

(٢) الواقعة: ١٠ – ١٦.

(٣) مريم: ٢٥ – ٢٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٩٥/١١.

السعف، ثم أخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا، ثم رطبا، كل ذلك في طرفة عين، فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينشدخ[1] منه شئ.

وقال القرطبي رحمه الله[2]: "أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع".

• وقال ﷻ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[3]

جاء في تفسير ذلك[4]: "وكان زكريا إذا دخل عليها يجد عندها فاكهة الشتاء في القيظ وفاكهة القيظ في الشتاء، فقال: ﴿يا مريم أنى لك هذا﴾ فقالت: ﴿هو من عند الله﴾.

• كلام عيسى عليه السلام في المهد معجزة له وكرامة لها هي فعندما اتهموها بالزنا تعريضاً: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾[5] أكرمها الله بأن ردّ عليهم عيسى عليه السلام وتكلم وهو في المهد: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾[6].

• ولادتها عيسى عليه السلام بدون زوج إكرام لها كذلك. فهذا أمر خارق للعادة.

---

(١) ينشدخ: قال في المصباح، جـ١/٣٠٧، شدخت القضيب كسرته فانشدخ.

(٢) المصدر السابق، ص: ٩٤.

(٣) آل عمران: ٣٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، جـ٤/٧١.

(٥) مريم: ٢٨.

(٦) مريم: ٢٩ – ٣٠.

• وقد أكرمها الله كذلك بذكر اسمها في القرآن فهي المرأة الوحيدة التي ورد ذكر اسمها في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة.

فعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"**.[1]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **"خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد"**.[2]

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ: **"أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم، امرأة فرعون"**.[3]

قال القرطبي[4] معلقاً على قوله ﷺ: **"كمل من الرجال** ..." الحديث: "قال علماؤنا رحمة الله عليهم: الكمال هو التناهى والتمام، ويقال في ماضيه ‹‹كمل›› بفتح الميم وضمها، ويكمل في مضارعه بالضم، وكمال كل شيء بحسبه. والكمال المطلق إنما هو لله تعالى خاصة. ولا شك أن أكمل نوع الإنسان الأنبياء ثم يليهم الأولياء من الصديقين والشهداء والصالحين.

وإذا تقرر هذا فقد قيل: إن الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوة

---

(١) مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة، رقم: (٢٤٣١).

(٢) قال في مجمع الزوائد، جـ٩/٢٢٦: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح.

(٣) قال الحافظ في الفتح، جـ٧/١٣٥، أخرجه النسائي بإسناد صحيح، والحاكم مرفوعاً.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، جـ٤/٨٣.

فيلزم عليه أن تكون مريم عليها السلام وآسية نبيتين، وقد قيل بذلك. والصحيح أن مريم نبية، لان الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين". انتهى.

قلت: والصواب أن مريم ليست نبيّة لأن أعلى درجة تصل إليها امرأة هي درجة الصدّيقية قال تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿ **وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ** ﴾[1]. فهذا صريح القرآن يبيّن رتبة مريم عليها السلام ويبين كذلك أنها ليست نبية. وأما مسألة الوحي فقد أوحى الله إلى النحل، وأوحى إلى أم موسى، فالوحي درجات ومراتب.

قال الإمام النووي[2] معلقاً على قوله ﷺ: "**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء** ..." الحديث.

قال القاضي عياض: "هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوّة النساء وبنوة آسيا ومريم والجمهور على أنهما ليستا بنبيتين بل هما صدّيقتان ووليّتان من أولياء الله تعالى. ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه، والمراد هنا التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوى".

٢. قصة أصحاب الكهف

قال تعالى: ﴿ **إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾** ﴾[3]

---

(١) المائدة: ٧٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٥/١٩٨-١٩٩.

(٣) الكهف: ١٠ - ١١

جاء في تفسير ذلك[1]: "قال ابن عباس: إن مَلِكا من الملوك يقال له دقيانوس ظهر على مدينة من مدائن الروم ... وكان بعد زمن عيسى عليه السلام فأمر بعبادة الأصنام فدعا أهلها إلى عبادة الأصنام، وكان بها سبعة أحداث[2] يعبدون سراً، فرفع خبرهم إلى الملك وخافوه فهربوا ليلا، ومروا براع معه كلب فتبعهم فآووا إلى الكهف فتبعهم الملك إلى فم الغار، فوجد أثر دخولهم ولم يجد أثر خروجهم، فدخلوا فأعمى الله أبصارهم فلم يروا شيئا، فقال الملك: سدوا عليهم باب الغار حتى يموتوا فيه جوعا وعطشاً".

وروي في تفصيل قصتهم غير ذلك والله أعلم بالصواب.

٣. قصة الغلام الذي كان يأتي الراهب والساحر

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَه، ُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، جـ١٠/٣٥٩.

(٢) أحداث: جمع حدث: شاب.

فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ! أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ، فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ[1] الأَكْمَهَ[2] وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ.[3] فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ بِاللَّه: فَشَفَاهُ اللَّهُ.

فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلامِ، فَجِيءَ بِالْغُلامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ. فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ[4] فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ: فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ[5] فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ

---

(١) يبرئ: يشفي.

(٢) الأكمه: الذي يولد أعمى.

(٣) الأدواء: جمع داء وهو المرض.

(٤) جليس الملك: الوزير الذي كان أعمى فأبصر.

(٥) الذروة: القمة.

بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[1] فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِك: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ[2] وَاحِد، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي[3] ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ ارْمِنِي؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِد، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ[4]، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلام. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ[5] فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ،

فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاس.

---

(١) قرقور: نوع من السفن، قال في المعجم الوسيط، جـ٢/٧٣٦، السفينة الطويلة العظيمة.

(٢) الصعيد: الأرض البارزة.

(٣) الكنانة: بيت السهام.

(٤) كبد القوس: مقبضها، المصباح، جـ٢/٥٢٣.

(٥) صدغ: قال في المصباح جـ١/٣٣٥: الصدغ: ما بين لحظ العين إلى أصل الأذن، والجمع أصداغ مثل قفل وأقفال ويسمى الشعر الذي تدلى على هذا الموضع صدغ.

فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّت[١] وَأَضْرَمَ[٢] النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقحْمُوهُ[٣] فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ[٤] أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلام: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ". [٥]

٤. قصة جُرَيْج

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إلا ثَلاثَةٌ[٦]: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْج، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً[٧] فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي[٨] فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ[٩]. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ[١٠] يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لافْتِنَنَّهُ

---

(١) خدّت: شُقّت.

(٢) أضرم: أوقد.

(٣) أقحموه: ألقوه.

(٤) تقاعست: وقفت وجبنت.

(٥) مسلم، رقم: (٣٠٠٥).

(٦) أي من بني إسرائيل، وإلا فعدد الذين تكلموا في المهد أكثر من ذلك، يبلغ سبعة.

(٧) صومعة: بيت يتخذ للعبادة عند النصارى، انظر المعجم الوسيط، جـ١/٥٣٢.

(٨) هل أستمر في صلاتي أم أقطعها، وأجيب أمي فوفقني لأفضلهما.

(٩) مومسات: جمع مومسة: زانية.

(١٠) بغي: زانية.

لَكُمْ. قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ. وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. فَقَالَ أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ فُلانٌ الرَّاعِي. قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لا أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ. قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ: وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَتَرَكَ الرَّضَاعَ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ فَقَالَتْ: حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتَ اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا. فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا".[1]

(١) متفق عليه، البخاري جـ٦/٣٤٤-٣٤٨، ومسلم،: (٢٥٥٠).

٥. قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ:

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُم: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لا أَغْبِقُ[١] قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلا مَالاً[٢] فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ[٣] عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْمَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا والصبيّة يتضاغون[٤] حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ منه.

قَالَ الأخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ[٥] مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ. فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ

---

(١) أغبق: لا أقدّم في الشرب عليهما أحداً من أولادي ولا خدمي.

(٢) مالاً: خدماً.

(٣) أرح: ارجع.

(٤) يتضاغون: يتصارخون.

(٥) سنة مجدبة.

فَعَلْتُ: ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ، مِنْ الإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! لا تَسْتَهْزِئُ بِي. فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا. اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ".[1]

٦. قصة الرجل الذي سمع صوتاً في السحاب: اسق حديقة فلان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاةٍ[2] مِنْ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلان، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ[3]، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلانٌ، لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ لاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى

---

(١) متفق عليه، البخاري، جـ٤/٣٦٩-٣٧٠، ومسلم: (٢٧٤٣).

(٢) فلاة: صحراء.

(٣) الحرّة: الأرض ذات الحجارة السوداء.

مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ".[1]

٧. مخاطبة البقرة لمن كان يركبها

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **"بينما رجل راكب بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، وإنما خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم؟ فقال النبي ﷺ: "آمنت بهذا أنا وأبو بكر، وعمر".**[2]

٨. قصة الرجل والخشبة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ. قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلاً. قَالَ: صَدَقْتَ. فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ[3] مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ[4] فُلانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلاً فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ. وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ وَإِنِّي

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٩٨٤).

(٢) البخاري في صحيحه كتاب المزارعة ومسلم في كتاب فضائل الصحابة والترمذي في كتاب المناقب.

(٣) زجج: سوّى الموضع وأصلحه، قاله الخطابي، انظر الفتح، جـ٤/٤٧١.

(٤) تسلفت: قال ابن التين: والمعروف تعديته بحرف الجر، استلفت من فلان، انظر الفتح، جـ٤/٤٧١.

أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ[1] فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ. فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا فَلَمَّا نَشَرَهَا[2] وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لاتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ. قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا".[3]

نماذج من كرامات بعض الصحابة ﷺ

١. أبو بكر الصديق ﷺ

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ أن أصحاب الصفة[4] كانوا أناساً فقراء، وأن النبي ﷺ قال مرة: **"من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس وبسادس"**. أو كما قال: وأن أبا بكر ﷺ جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة، وأن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ، ثم لبث حتى العشاء، ثم رجع فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله. قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أوعشيتهم؟ قالت: أبوا حتى

---

(١) ولجت: دخلت.

(٢) نشرها: أي بالمنشار.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الكفالة باب الكفالة في القرض والديون والأبدان، رقم: ٢٢٩١.

(٤) الصفة: المظلة التي جعلها النبي ﷺ في مؤخرة مسجد المدينة، يأوي إليها من لا أهل له ولا صاحب من الفقراء.

تجيء وقد عرضوا عليهم[1]. قال: وذهبت أنا فاختبأت، فقال: يا غنثر[2]، فجدع[3] وسب، وقال: كلوا لا هنيئاً، والله لا أطعمه أبداً.

قال: وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا[4] من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فقال لامرأته: يا أخت بني فراس[5] ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات!

فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان يعني يمينه، ثم أخذ منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين قوم عهد، فمضى الأجل، فتفرقنا اثني عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها جميعاً".[6]

وكذلك من كراماته رضي الله عنه إخباره أن في بطن زوجته أنثى.[7]

٢. عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لقد أكرم الله عمر بن الخطاب بكرامات كثيرة نذكر منها ما يأتي:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"لقد كان فيما قبلكم من**

---

(١) وفي رواية: وقد عرضنا عليهم فامتنعوا.

(٢) غنثر: الغبي الجاهل.

(٣) جدّع: شتم.

(٤) ربا: زاد.

(٥) هي من كنانة أي يا أخت القوم المنتسبين إلى بني فراس.

(٦) متفق عليه، البخاري، جـ٦/٤٣٦، ومسلم رقم: (٢٠٥٧)، وأحمد جـ١/١٩٨.

(٧) مجموع الفتاوى، جـ١١/٣١٨.

الأمم محدَّثون[1] **فإنْ في أمتي أحدٌ فإنه عمر**".[2]

• وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه**".[3]

• عن غضيف بن الحارث قال: مررت بعمر بن الخطاب، ومعه نفر من أصحابه فأخذ كمي رجل منهم، فقال: يا فتى ادع لي بخير، بارك الله فيك. قال: قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو ذر الغفاري. قال: قلت: يغفر الله لك أن أحق.

• قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لك: نعم الغلام. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به**".[4]

• وعنه ﷺ قال: "**إيه يا ابن الخطاب، فوالذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غير فجّك**".[5]

• وعن ابن عمر ﷺ قال: ما سمعت عمر ﷺ يقول لشيء فط: إني لاظنّه كذا إلا كان كما ظنّ.[6]

---

(١) محدَّث مُلهَم، قال البغوي في شرح السنة، جـ١٤/٨٣: فالمحدث الملهم يلقى الشيء في روعه يريد قوماً يصيبون إذا ظنوا، فكأنهم حدّثوا بشيء، فقالوا وتلك منـــزلة جليلة من منازل الأولياء.

(٢) متفق عليه، البخاري، جـ٧/٤٠-٤١، ومسلم: (٢٣٩٨).

(٣) قال محقق شرح السنة جـ١٤/٨٥: حديث صحيح أخرجه أحمد ٢م٥٣-٩٥، والترمذي: (٣٦٨٣)، وصححه ابن حبان، رقم: (٢١٧٥).

(٤) قال محقق شرح السنة جـ١٤/٨٥: أخرجه أحمد ٥م١٤٥-١٧٥-١٧٧، وأبو داود (٩٢٦٢)، وابن ماجة (١٠٨)، وفيه عنقدة بن إسحاق ومع ذلك صححه الحاكم، جـ٣/٨٦-٨٧، ووافقه الذهبي وهو يتقوى بحديث ابن عمر السابق.

(٥) متفق عليه، البخاري، جـ٧/٣٧، وفي الفضائل ومسلم (٢٣٩٦).

(٦) البخاري، جـ٧/١٢٥.

• وعن علي ﷺ قال: "ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ﷺ".[١]

• وعن ابن عمر ﷺ قال: "ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه، وقال فيه عمر ﷺ إلا نزل فيه القرآنُ على نحو ما قال".[٢]

• وقال عبد الله بن مسعود: "ما رأيت عمر قط إلا وكأن بين عينيه ملكاً يسدّده".[٣]

• وعن ابن عمر ﷺ، أن عمر بعث جيشاً وأمّر عليهم رجلاً يدعى سارية، فبينما عمر يخطب، فجعل يصيح: يا سارية الجبل! فقدم رسول من الجيش، فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدونا فهزمونا فإذا بصائح يصيح: يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل، فهزمهم الله تعالى".[٤]

---

(١) قال محقق شرح السنة جـ٨٦/٤: فيه شريك هو ابن عبد الله: سيء الحفظ وباقي رجاله ثقات، وذكره صاحب المشكاة: (٦٠٣٥) وعزاه إلى البيهقي في دلائل النبوة.

(٢) ذكره ابن حبّان في صحيحه عقب الحديث (٢١٨٥، المصدر السابق.

(٣) شرح السنة، جـ٨٦/١٤.

(٤) قال الألباني في تحقيقه لأحاديث مشكاة المصابيح، جـ١٦٧٨/٣، أثر رقم: (٥٩٥٤) معلقاً على ما قاله البغوي: "رواه البيهقي في دلائل النبوة"، قال الألباني ورواه ابن عساكر وغيره بإسناد حسن ونحوه.
وقال العجلوني في "كشف الخفاء ومزيل الألباس" جـ٥١٤/٢-٥١٥ أثر رقم: (٣١٧٢) (يا سارية الجبل): "قاله عمر بن الخطاب وهو يخطب يوم الجمعة حيث وقع في خاطره أن الجيش الذي أرسله مع سارية إلى نهاوند بفارس لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل، فقال ذلك في أثناء خطبته ورفع به صوته فألقاه الله في سمع سارية فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم. وكذا رواه الواقدي عن أسامة بن زيد عن ابن أسلم عن أبيه عن عمر. وأخرجها سيف مطولة عن رجل من بني مازن ، والبيهقي في الدلائل ، واللالكائي في شرح السنة، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء عن ابن عمر قال: وجه عمر جيشا وولى عليهم رجلا يدعى سارية ، فبينما عمر يخطب جعل ينادي "يا سارية، الجبل!" ثلاثا. ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هزمنا فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادي "يا سارية الجبل"

• وعن نافع عن ابن عمر قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحِجاب، وفي أسارى بدر".[1]

• وعن ابن عمر ﷺ قال: لما توفي عبد الله بن أُبَيّ بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: **"إنما خيرني الله"**. فقال: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً**﴾[2] **وسأزيد على سبعين**". قال: إنه منافق. فصلّى عليه رسول الله ﷺ وأنزل الله ﷻ: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ**﴾[3].

ومع هذا الإلهام والإكرام فإن عمر ﷺ كان يخطئ في ظنه في بعض الأمور كما حدث هذا بالنسبة لجمع القرآن وفي قتال المرتدين وغيرهما فسبحان من أبى أن تكون العصمة إلا له ولمن عصمهم وهم الرسل صلوات الله وسلامه

ثلاثا، فأسندنا ظهرنا إلى الجبل، فهزمهم الله. قال فقيل لعمر: إنك كنت تصيح هكذا وهكذا. رواه حرملة في جمعه لحديث ابن وهب ، وإسناده كما قال الحافظ ابن حجر حسن. ولابن مردويه عن ابن عمر عن أبيه أنه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال " يا سارية الجبل ! من استرعى الذئب ظلم". فالتفت الناس بعضهم لبعض ، فقال لهم علي : ليخرجن مما قال. فلما فرغ سألوه فقال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا، وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد وإن جاوزوا هلكوا، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر وذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم. قال: فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا. قال في اللآلئ : وقد أفرد الحافظ القطب الحلبي لطرقه جزءا، ووثق رجال هذه الطريق. وقال: ذكره ابن عساكر وابن ماكولا وغيرهم وسارية له صحبة. انتهى. وروي أن عمر عندما سئل عن ذلك قال: هي كلمة أجراها الله على لساني.

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، فضائل عمر ﷺ، صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١/١٦٦-١٦٧.

(٢) التوبة: ٨٠.

(٣) التوبة: ٨٤.

عليهم أجمعين وعلى رسولنا خاصة مزيد من الصلاة والتسليم لما شرّفه الله عليهم وميّزه عنهم .

٣. عثمان بن عفان ﷺ

دخل عليه رجل فقال له: يدخل أحدكم وأثر الزنا على عينيه ــوكان وهو في طريقه إليه نظر إلى امرأة أجنبيةــ فقال الرجل أوحي بعد رسولِ الله؟ فقال عثمان: لا ولكنها فراسة المؤمن، اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله.[١]

٤. عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

عن عروة ﷺ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد توفّي النبي ﷺ وما في رفّي من شيء يأكله ذو كبد إلا شعير في رفّ لي، فأكلتُ منه حتى طال عليّ، فَكِلتُه ففنى".[٢]

قال ابن بطال: فيه أن الطعام المكيل فناؤه معلوم للعلم بكيله، وأن الطعام غير المكيل فيه البركة لأنه غير معلوم مقداره".[٣]

٥. أبو هريرة ﷺ

عن أبي العالية عن أبي هريرة ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ بتمرات فقلتُ: ادع لي فيهن بالبركة، قال: فقبض ثم دعا ثم قال: **"خذهن فاجعلهن في**

---

(١) قال في كشف الخفاء جـــ١/٤١-٤٢: قال في الدرر: رواه الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامة وأخرجه الترمذي أيضاً من حديث أبي سعيد.

(٢) البخاري كتاب الرقاق باب فضائل الفقر، رقم: (٦٤٥١).

(٣) الفتح، جـــ١١/٢٨٠.

مزود[1]، فإذا أردت أن تأخذ منهن فأدخل يدك فخذ ولا تنثر بهن نثراً فحملت من ذلك كذا وكذا وسقا في سبيل الله، وكنا نأكل ونطعم وكان المزود معلق بحقوى لا يفارقه، فلما قُتِل عثمان انقطع".[2]

٦. سعد بن أبي وقاص ﷺ

عن جابر بن سمرة ﷺ قال: شكا أهل الكوفة سعداً، يعني ابن أبي وقاص، ﷺ إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فعزله واستعمل عليهم عمّاراً، فشكَوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلّي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، فقال: أما أنا والله فإنّي كنتُ أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم[3] عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد[4] في الأُلَيين، وأخف في الأُخريين، قال: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، وأرسل معه رجلاً ــأو رجالاًــ إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجداً إلا سأل عنه يثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبس فقال رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة، فقال: أما إذا أنشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، لا يعدل في القضية، قال سعد: اللهم فأطِل عمره، وأطِل فقره وعرّضه للفتن. وكان بعد ذلك إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيته قد سقط حاجباه على

---

(١) قال في المصباح، جـ١/٢٦٠، المزود بكسر الميم وعاء التمر يعمل من أُدُم وجمعه مزاود.

(٢) قال الحافظ في الفتح، جـ١١/٢٨٠-٢٨١، أخرجه الترمذي وحسنه البيهقي من طريق سهل بن زياد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة نحوه.

(٣) أخرم: أنقص.

(٤) أركد: أطيل.

عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن".[1]

قال الحافظ في الفتح معلقاً على دعوة سعد على هذا الرجل[2]: "جاء في الخبر **"من دعا على ظالمه فقد انتصر"** فلعله ـأي سعداً ـ أراد الشفقة عليه بأن عجل له العقوبة في الدنيا فانتصر لنفسه وراعى حال من ظلمه لما كان فيه من وفور الديانة. ويقال إنه إنما دعا عليه لكونه انتهك حرمة من صحب صاحب الشريعة وكأنه قد انتصر لصاحب الشريعة.

ثم قال: ومن أعجب العجب أن سعداً مع كون هذا الرجل واجهه بهذا وأغضبه حتى دعا عليه في حال غضبه، راعى العدل والإنصاف في الدعاء عليه إذ علقه بشرط أن يكون كاذباً وأن يكون الحامل له على ذلك الغرض الدنيوي".

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في جامع العلوم والحكم[3]: "كان سعد بن أبي وقاص مجاب الدعوة ... ودعا على رجل سمعه يشتم علياً، فما برح من مكانه حتى جاء بَعيرٌ نادٌّ[4] فخبطه بيديه ورجليه حتى قتله.

قال الحافظ في الفتح: وكان سعد معروفاً بإجابة الدعوة، روى الطبراني من طريق الشعبي قال: قيل لسعد: متى أصبت الدعوة؟ قال: يوم بدر، قال النبي ﷺ: **"اللهم استجب لسعد"**.

وروى الترمذي وابن حبان والحاكم من طريق قيس بن أبي حازم عن سعد

---

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب الأذان، رقم: ٧٥٥، ومسلم رقم: (١٦١٠)، ١٣٨-١٣٩.

(٢) الفتح، جـ٢/٢٤٠.

(٣) ص: ٣٤٦.

(٤) نادّ: ندّ البعير نداً نفر وشرد، المصباح المنيرجـ٢/٥٩٧، مادة ندر.

أن النبي ﷺ قال: **"اللهم استجب لسعد إذا دعاك"**.[1]

وقد روي أن سعداً طلب من الرسول ﷺ أن يدعو له بأن تجاب دعوته فقال له: **"أطب مطعمك تكن مجاب الدعوة"**.

قال ابن رجب الحنبلي[2]، وأكثر من كان مجاب الدعوة من السلف، كان يصبر على البلاء ويختار ثوابه ولا يدعو لنفسه بالفرج منه.

وقد روي أن سعد بن أبي وقاص كان يدعو للناس لمعرفتهم له بإجابة الدعوة، فقيل له: لو دعوت الله لبصرك، وكان قد أضر[3] فقال: قضاء الله أحبّ إليّ من بصري.

وابتلى بعضهم بالجذام فقيل له: بلغنا أنك تعرف اسم الله الأعظم، فلو سألته أن يكشف ما بك؟ فقال: يا ابن أخي! إنه هو الذي ابتلاني وأنا أكره أن أرده وقيل لإبراهيم التيمي وهو في سجن الحجّاج لو دعوت الله تعالى؟ فقال: أكره أن أدعوه أن يفرج عني مالي فيه أجر.

وكذلك سعيد بن جبير صبر على أذى الحجاج حتى قتله، وكان مجاب الدعوة، كان له ديك يقوم بالليل بصياحه إلى الصلاة فلم يصح ليلة في وقته، فلم يقم سعيد إلى الصلاة، فشق ذلك عليه فقال: ماله قطع الله صوته، فما صاح الديك بعد ذلك، فقالت له أمّه: يا بني! لا تدع بعد هذا على شيء.

٧. سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وزوج فاطمة بن الخطاب رضي الله عنه وهو من

---

(١) الفتح، جـ٢/٢٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص: ٣٤٨.

(٣) عمي أي صار ضريراً في آخر عمره.

العشرة المبشرين بالجنة.

فعن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم، وادعت أنه أخذ شيئاً من أرضها، فقال سعيد: أنا كنتُ آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟! قال: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوّقه إلى سبع أرضين"**.

فقال له مروان: لا أسالك بيّنة بعد هذا، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها، واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت".(١)

٨. عبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله ﷺ

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: عندما حضرت أُحد دعاني أبي من الليل، فقال: ما أُراني(٢) إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليَ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليّ ديناً فاقض، واستوص بإخوتك خيراً، فأصبحنا، فكان أول قتيل، ودفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه فجعلته في قبر على حدة".(٣)

وابن المنكدر قال: سمعت جابراً يقول: "لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهونني، والنبي ﷺ لم ينه وقال

---

(١) متفق عليه، البخاري، جـ٦/٢١١، ومسلم رقم: (١٦١٠)، (١٣٨)، (١٣٩).

(٢) أراني: أظنني.

(٣) البخاري، جـ٣/١٧٢.

النبي ﷺ: **"لا تبكه ما زالت الملائكة تظلّه بأجنحتها حتى رفع".**[1]

٩. أُسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما

من أنس رضي الله عنه أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجاً من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين، بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله.

قال النووي[2]: رواه البخاري[3] من طرق، وفي بعضها أن الرجلين أسيد ابن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما.

١٠. خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب[4] لا صخب فيه ولا نصب.[5]

ولا غرو أن يكرم الله عز وجل خديجة رضي الله عنها فقد جاء في فضلها قوله ﷺ: **"خير نسائها[6] مريم وخير نسائها خديجة".**

وكان النبي ﷺ يذكرها ويذكر حسن عهدها ويحسن ويهدي إلى

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، رقم: ٤٠٨٠.

(٢) رياض الصالحين، ص: ٥٧٠.

(٣) البخاري كتاب مناقب الأنصار باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشير رقم الحديث: (٣٨٠٥).

(٤) من قصب، قال ابن التين: المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف، الفتح، جـ٧/١٣٨.

(٥) البخاري كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي خديجة رقم: (٣٨٢٠).

(٦) "نسائها" الضمير يرجع في نسائها إلى الدنيا، وقيل إلى الأمة التي كانت منها مريم وفي الثاني إلى الأمة التي كانت منها خديجة، انظر الفتح، جـ٧/١٣٥.

صويحباتها حتى بعد وفاتها ولم يتزوج عليها حتى ماتت وكانت أم المؤمنين عائشة تغير منها وهي بالدار الآخرة أكثر من غيرتها من ضرائرها الأحياء لمكانة خديجة رضي الله عنها في قلبه ولحسن معشرها ولإنجابها له الولد.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "ما غرت على امرأة ما غرتُ على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين وأمره ربه ﷻ أو جبريل، أي يبشرها ببيت في الجنة من قصب".(١)

وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ عن خديجة: **"آمَنَت بي إذ كفر بي الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله من ولدها إذا حرمني أولاد النساء".**(٢)

قال الحافظ(٣)" وكان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة، إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية، والمتفق عليه من أولاده منها القاسم وبه كان يكنّى مات صغيراً قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله ولد بعد البعثة فكان يقال له الطاهر والطيب، ويقال هما أخوان، وماتت الذكور صغاراً باتفاق.

ووقع عند مسلم من طريق حفظ بن غياث هذه في آخر الحديث، قالت عائشة: "فأغضبته يوماً فقلت خديجة، فقال: "إني رزقت حبها"، قال: القرطبي: كان حبه ﷺ لها لما تقدم ذكره من الأسباب، وهي كثيرة كل منها كان سبباً في إيجاد المحبة.

---

(١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها، رقم: (٣٨١٦).

(٢) قال الحافظ في الفتح، جـ٧/١٣٧، أخرجه أحمد.

(٣) المصدر السابق.

وقال الحافظ: ومما كافأ النبي ﷺ به خديجة في الدنيا أنّه لم يتزوّج في حياتها غيرها، فروى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة، قالت: "لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت". وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار. وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها، واختصّت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه ﷺ عاش بعد تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة، ومن نكد الضرائر الذي ربما لو حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها. ومما اختصّت به كذلك سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان فسنّت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت "أن من سن سنة حسنة" وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله ﷻ.

١١. جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

روى الإمام البخاري بسنده[١] عن الشعبي أن ابن عمر رضي الله عنه كان إذا سلّم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين.

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **"هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء".**[٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: "رأيت جعفر بن أبي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، وباب مناقب جعفر بن أبي طالب، رقم: (٣٧٠٩).

(٢) قال الحافظ في الفتح، جـ٧/٧٦ أخرج الطبراني بإسناد حسن.

طالب يطير مع الملائكة".[1]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضّب الجناحين بالدم".**[2]

وعن ابن عباس ﷺ مرفوعاً: **"دخلت البارحة الجنة، فرأيت فيها جعفر يطير مع الملائكة"** وفي طريق آخر عنه: **"إن جعفر يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله عن يديه".**[3]

وسبب إكرام جعفر ﷺ بهذين الجناحين جهاده وموقفه في غزوة مؤتة عندما اشتد القتال بين المسلمين والكفّار في مؤتة وكانت الراية في يد زيد بن حارثة فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخر صريعاً فأخذها جعفر فقاتل حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه، فعقرها، ثم قاتل حتى قُتِل، فكان جعفر أوّل من عقر فرسه في الإسلام عند القتال، فقطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره، فقطعت يساره، فحتضن الراية ــلكي لا تقع على الأرضــ حتى قتل وكان له ثلاث وثلاثون سنة ثم أخذها عبد الله بن رواحة.[4]

١٢. العباس بن عبد المطلب ﷺ

عن أنس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا

---

(١) قال الحافظ في الفتح جـ٧/٧٦، أخرجه الترمذي، والحاكم وفي إسناده ضعف ولكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد.

(٢) قال الحافظ في الفتح، جـ٧/٧٦: أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد على شرط مسلم.

(٣) قال الحافظ في الفتح جـ٧/٧٦: وإسناده جيد وطريق أبي هريرة في الثانية قوي إسناده على شرط مسلم.

(٤) انظر زاد المعاد، جـ٢/٣٧٥-٣٧٦، فصل في غزوة مؤتة.

نتوسل إليك بعمّ نبينا فاسقنا، قال: فيسقون".[1]

١٣. سفينة مولى رسول الله ﷺ

عن ابن المنذر أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أسر، فانطلق هارباً يلتمس الجيش، فإذا هو بالأسد، فقال: يا أبا الحارث[2]! أنا مولى رسول الله ﷺ، كان من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد له بصبصة[3] حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوتاً أهوى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد".[4]

وروى البيهقي عن محمد بن المنكدر عن سفينة مولى النبي ﷺ قال: ركبت سفينة في البحث فانكسرت بي، فركبت لوحاً منها فأخرجني إلى أجمة[5] فيها أسد، إذ أقبل الأسد فلما رأيته قلت: يا أبا الحارث! أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ فأقبل نحوي حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معي حتى أقامني على الطريق، ثم همهم ساعة وضربني بذنبه فرأيت أنه يودعني".

١٤. سعد بن معاذ ﷺ

عن البراء ﷺ قال: أهديت للنبي ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها

---

(١) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر العباس، رقم (٣٧١٠)، والمراد بيتوسلون: يطلبون منه أن يدعو ربّه.

(٢) وهي كنية الأسد.

(٣) تحريك الذنب.

(٤) مشكاة المصابيح، جـ٣/١٦٧٦، أثر رقم (٥٩٤٩، كتاب الفضائل والشمائل، وقال رواه البغوي في شرح السنة. قال الألباني: رواه الحاكم ٦٠٦/٣ بنحوه وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، مشكاة المصابيح الهامش جـ٣/١٦٧٦.

(٥) أجمة: الشجر الملتف والجمع أجم مثل قصبة وقصب، والآجام جمع الجمع المصباح جـ١/٦.

ويعجبون من لينها، فقال: أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين".[1]

وعن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **"اهتز العرش لموت سعد بن معاذ"**.[2]

وروى الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما حُمِلَت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخفّ جنازته، وذلك لحكمه في بني قريظة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **"إن الملائكة كانت تحمله"**.[3]

قال ابن حجر[4] رحمه الله: "والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه: يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه: اهتز له ومنه اهتزّت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت ... وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش ويؤيده حديث أن جبريل قال: من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واستبشر به أهلها".

أخرجه الحاكم، وقيل هي علامة نصبها الله لمن يموت من أوليائه ليشعر ملائكته بفضله، وقال الحربي: إذا عظموا شيئا ينسبوه إلى عظيم كما يقولون: قامت لموت فلان القيامة و أظلمت الدنيا، ذلك وهذه منقبة عظيمة لسعد.

ثم قال الحافظ: وقد جاء حديث اهتزاز العرش لسعد بن معاذ عن عشرة من الصحابة أو أكثر وثبت في الصحيحين.

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن معاذ، رقم (٣٨٠٢).

(٢) البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن معاذ رقم: (٣٨٠٣).

(٣) الترمذي، كتاب المناقب باب مناقب سعد، جـ٥/٦٩٠، رقم: (٣٨٤٩).

(٤) الفتح، جـ٧/١٢٤.

١٥. عاصم بن ثابت وخُبيب بن عدي وزيد بن الدَّثنة وأصحابهم ﷺ

روى الإمام البخاري بسنده في صحيحه[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: "بعث النبي ﷺ سرية عيناً[٢] وأمّر عليهم عاصم بن ثابت هو جد[٣] عاصم بن عمر ابن الخطاب، قال: فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فتتبعوهم بقرابة من مائة رامٍ، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منـــزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارَهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد[٤] وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصمٌ: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهما هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه. وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قاتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد[٥] بها

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، رقم الحديث (٤٠٨٦).

(٢) لاستكشاف والاستخبار.

(٣) قال الحافظ: هو خال عاصم بن عمر، الفتح، جـ٧/٣٨١.

(٤) فدفد: هي الرابية المشرفة، الفتح، جـ٧/٣٨١.

(٥) يستحد: يحلق عانته.

فأعارته قالت: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعةً عرف ذاك مني وفي يده الموسى فقال: أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً[1] من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزق رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً ثم قال:

ما أبالي حين أقتل مسلما ... على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله.

وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصمٌ قتل عظيماً من عظمائهم يومَ بدرٍ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر[2] فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء".

وروى البيهقي في كتاب الاعتقاد[3] قصة هؤلاء النفر ثم قال: وزادوا: استجاب الله لعاصم يوم أصيب فأخبر رسول الله ﷺ أصحابه يوم أصيب خبرهم وذكر عن عاصم ما بعث الله عليه من الدبر حتى حمته، وذكره محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي عن عاصم بن عمر بن قتادة وزاد: فلما حالت

---

(١) وهي كافرة، فالفضل ما شهدت به الأعداء.

(٢) الدَّبر: الذنابير وقيل ذكور النحل ولا واحد له من لفظه، الفتح جـ٧/٣٨٤.

(٣)

بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فبعث الله الوادي[1] فاحتمل عاصماً فذهب به وقال: وقد كان عاصم أعطى الله عهداً لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك أبداً في حياته. قال ابن إسحاق: فكان عمر بن الخطاب يقول: يحفظ الله المؤمن فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عنهم في حياته. وقال البيهقي: وروينا عن بريدة بن سفيان استجابة الله دعاء خبيب على الذين قتلوه فلم يحل الحول ومنهم أحد غير رجل لبد بالأرض حين رآه يدعو.

ووقد روي[2] أنه دعا عليهم بقوله: "اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً[3] ولا تغادر منهم أحداً".

قال الحافظ في الفتح[4]: "وذكر ابن إسحاق أنهم كانوا ستة ــيعني سرية عاصمــ وسماهم وهم: عاصم بن ثابت، ومرثد بن أبي مرثد، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق، وخالد بن البكير.

وجزم ابن سعد بأنهم كانوا عشرة وساق أسماء الستة المذكورين وزاد: معتب بن عبيد، قال: وهو أخو عبد الله بن طارق لأمه، وكذا سمى موسى بن عقبة السبعة المذكورين لكن قال: معتب بن عوف.

قال الحافظ في الفتح[5]: "وفي رواية بريدة: فقال عاصم: "اللهم إني أحمي لك دينك، فاحمي لي لحمي"

---

(١) الوادي: السيل.

(٢) قال الحافظ في الفتح، جـــ٣٨٣/٧ في رواية إبراهيم بن سعد.

(٣) بدداً: متفرقين.

(٤) جـــ٣٨١/٧.

(٥) المصدر السابق.

ثم قال[1]: في رواية بريدة بن سفيان أن عاصماً لما قُتِل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري، وكان عاصما قتلهما يوم أحد، وكانت نذرت لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفه، فمنعته الدبر.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله معلقاً[2] على قصة عاصم وخبيب وأصحابهم: "وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أنه يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة له أن يستأمن، قال الحسن البصري: لا بأس بذلك. وقال سفيان الثوري: أكره ذلك، وفيه الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله، وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعميم، والصلاة عند القتل، وفيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل ودلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه، وفيه أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه. وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حياً وميتاً وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل. وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه.

ثم قال الحافظ ابن حجر[3]: وحكى ابن إسحاق عن معاوية بن أبي سفيان قال: "كنت مع أبي فجعل يلقيني إلى الأرض حين سمع دعوة خبيب".

---

(١) المصدر السابق ص: ٣٨٤.

(٢) الفتح جـ٧/٣٨٤-٣٨٥.

(٣) المصدر السابق، ٣٨٣.

وقال الحافظ: وفي رواية أبي الأسود عن عروة "فلما وضعوا فيه السلاح ـأي خبيباًـ وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله العظيم، ما أحبُّ أن يفديني بشوكة في قدمه".

١٦. أبو ذر الغفاري[١] ﷺ

عندما جاء أبو ذر إلى مكة ليتثبت من أمر الرسول ﷺ في أول الأمر جلس في الحرم واستغنى بماء زمزم و لم يطعم شيئاً غيرها مدة ثلاثين من يوم وليلة كما جاء في قصة إسلامه التي رواها الشيخان[٢] واللفظ لمسلم: "... فقد كنت ههنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال: فمن كان يطعمك؟ قال: قلت ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن[٣] بطني وما أجد على كبدي سخفة[٤]، قال: ـأي الرسولـ: **"إنها مباركة إنها طعام طعم"**.

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم[٥]: **"إنها طعام طعم"** أي تشبع شاربها كما يشبعه الطعام.

١٧. البراء بن مالك الأنصاري ﷺ

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"كم من ضعيف**

---

(١) هو جندب بن جنادة الغفاري وغفار بطن من كنانة، الفتح جـ٧/١٧٣.

(٢) البخاري كتاب مناقب الأنصار باب إسلام أبي ذر الغفاري، رقم: (٣٧٦١)، ومسلم، فضائل أبي ذر في كتاب فضائل الصحابة، صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٦/٢٩-٣٤.

(٣) عكن: جمع والعكنة: الطي في البطن من السمن، المصباح، جـ٢/٤٢٤.

(٤) سخفة جوع: لم يشعر بجوع.

(٥) جـ١٦/٣٠.

متضعف ذو طِمرَين[1] **لو أقسم على الله لأبَرَّه، منهم البراء بن مالك"**. وأن البراء لقي زحفاً من المشركين فقالوا له: يا براء إن النبي ﷺ قال: **"لو أقسمتَ على الله لأبرّك"** فأقسم على ربِّك، قال: أقسم عليك يا ربّ لما منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السويس فأوجعوا في المسلمين، فقال: أقسم يا براء على ربّك، قال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم ورزقتني الشهادة، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً".[2]

وعن الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **"كم من أشعث أغبر ذي طِمرَين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبَرّه، منهم البراء بن مالك"**.[3]

١٨. أبو طلحة وأم سُليم[4] رضي الله عنهما

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"دخلتُ الجنة فسمعتُ خَشْفة**[5] **فقلت: من هذه؟ قالوا: هذه الغميصاء بن ملحان أم أنس بن مالك"**.[6]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"أُريتُ الجنّةَ فرأيتُ**

---

(١) طِمرَين: ثوبين خَلِقَين.

(٢) البيهقي في الاعتقاد، ١٥٨.

(٣) الترمذي، كتاب المناقب، جـ٥/٦٩٣، رقم: ٣٨٥٤، وقال البيهقي، هذا حديث صحيح حسن.

(٤) هي أم أنس بن مالك وزوجة أبي طلحة واسمها الغميصاء بنت ملحان، قال ابن عبد البر، أم سليم هي الرميصاء والغميصاء والمشهور فيه الغين أم حرام الرميصاء ومعناهما متقارب، والرمص والغمص قذى يابس وغير يابس يكون في أطراف العين، صحيح مسلم، بشرح النووي، جـ١٦/١١.

(٥) خشفة بفتح الخاء وسكون الشين، وقيل بفتحها : حركة المشي وصوته، صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٦/١١.

(٦) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أم سُلَيم.

امرأة أبي طلحة ثم سمعت خشخشة[1] أمامي فإذا بلال".[2]

و عن أنس قال ﷺ قال: "مات ابن[3] لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة! أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب[4]، وقال: تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ: "**بارك الله لكما في غابر[5] ليلتكما**". قال: فحملت قال فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً[6] فدنوا من المدينة فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب إنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى قال: تقول أم سليم يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد انطلق فانطلقنا، قال: وضربها المخاض[7] حين قدما فولدت غلاما فقالت لي أمي يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على

---

(١) خشخشة: صوت المشي في اليابس، المصدر السابق.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أم سُليم.

(٣) هو أبو عمير الذي كان يداعبه الرسول ﷺ بقوله: "يا أبا عُمَير ما فعل النُّغَير؟، المصدر السابق.

(٤) وفي رواية قيل قال لها: "والله لن تغلبيني على الصبر".

(٥) غابر ليلتكما: أي ماضيها، صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٦/١١.

(٦) أي لا يدخلها في الليل.

(٧) فضربها المخاض: هو الطلق ووجع الولادة.

رسول الله ﷺ فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، قال: فصادفته ومعه ميسم فلما رآني قال: **"لعل أم سليم ولدت"**. قلت نعم فوضع الميسم، قال: وجئت به فوضعته في حجره ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في في الصبي فجعل الصبي يتلمظها قال فقال رسول الله ﷺ: **"انظروا إلى حب الأنصار التمر"**. قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله.[1] وقد روي أن عبد الله هذا ولد له عشرة أبناء كلهم حفظ القرآن وجاهد في سبيل الله.

١٩. أنس بن مالك رضي الله عنه

عن أنس رضي الله عنه عن أمّ سُليم[2] أنها قالت: يا رسول الله خادمك أنس ادعُ الله له، فقال: **"اللهم أَكثِر مالَه وولدَه وبارك له فيما أعطيْتَه"**.[3]

وعن أنس رضي الله عنه قال: جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله! وقد أزّرتني بنصف خمارها وردّتني بنفصه فقالت: يا رسول الله! هذا أُنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له، فقال: **"اللهم أكثر ماله وولدَه"**. قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم".[4]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الأنصار باب فضائل أمّ سليم، صحيح مسلم شرح النووي، جـ١٦/١١-١٣.

(٢) والدته.

(٣) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل أنس، كتاب المساجد، باب جواز الجماعة في النافلة، رقم: (٦٦٠).

(٤) صحيح مسلم، فضائل الصحابة باب فضائل أنس، كتاب المساجد، باب جواز الجماعة في النافلة، رقم: (٦٦٠).

وعن أنس ﷺ قال: مر رسول الله ﷺ فسَمِعت أمي أمُّ سُلَيم صوته فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله أُنيس، فدعا لي رسول الله ﷺ ثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين في الدنيا وأرجو الثالثة[1] في الآخرة.[2]

وقال الإمام النووي[3] في شرحه لصحيح مسلم معلقاً على الأحاديث السابقة: "هذا من أعلام نبوته ﷺ في إجابة دعائه وفيه فضائل لأنس وفي دليل لمن يفضل الغني على الفقير، ومن قال بتفضيل الفقير أجاب عن هذا بأن هذا قد دعا له النبي ﷺ بأن يبارك فيه ومتى بورك فيه لم يكن فتنة ولم يحصل بسببه ضرر ولا تقصير في حق ولا غير ذلك من الآفات التي تتطرق إلى سائر الأغنياء بخلاف غيره، وفيه هذا الأدب البديع وهو أنه إذا دعا بشيء له تعلّق بالدنيا ينبغي أن يضمّ إلى دعائه طلب البركة فيه والصيانة ونحوهما. وكان أنس وولده رحمة وخيراً ونفعاً بلا ضرر بسبب دعاء رسول الله ﷺ.

ثم قال النووي: وثبت في صحيح البخاري عن أنس أنه دفن من أولاده قبل مقدم الحجاج بن يوسف مائة وعشرين والله أعلم.

وشكى أنس بن مالك ﷺ عطش أرضه بالبصرة، فتوضَأ وخرج إلى البرية وصلى ركعتين، ودعاء فجاء المر وسقا أرضه ولم يجاوز المطر أرضه إلا يسيراً.[4]

---

(١) الثالثة دعا له بدخول الجنة.

(٢) صحيح مسلم فضائل الصحابة، باب فضائل أنس، صحيح مسلم بشرح النووي.

(٣) صحيح مسلم بشرح الووي، جـ١٦/٤٠-٤١.

(٤) انظر جامع العلوم والحكم، ص: ٣٤٦.

٢٠. أنس بن النضر عم أنس بن مالك ﷺ

عن أنس ﷺ أن ابنة النضر لطمت جارية لها فكسرت ثنيتها، فأتوا النبي ﷺ فأمر بالقصاص".[١] وزاد في السنن[٢]: أن الرُّبَيِّع بنت النضر كسرت ثنية جارية لها، فعرضوا عليهم الأرش[٣] فأبوا، فطلبوا منهم العفو فأبوا، فقضى بينهم رسول الله ﷺ بالقصاص فقال أنس بن النضر ـأخوهاـ: أتكسر ثنية الربيِّع؟ والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فرضي القوم وأخذوا الأرش. فقال رسول الله ﷺ: **"إن من عباد الله من لو أقسَمَ على الله لأبّرَّه"**.

قال الحافظ ابن حَجَر[٤] معلقاً على قوله ﷺ: **"إن من عباد الله"** إلى أن هذا الاتفاق ـأي الرضى بأخذ الأرشـ إنما وقع إكراماً من الله لأنس بن النضر ليبر يمينه، وأنه من جملة عباد الله الذين يجيب دعاءهم ويعطيهم أربهم.

وقال الحافظ معلقاً[٥] على قول أنس بن النضير: "أتكسر سن الربيع؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها": "وقد استشكل إنكار أنس بن النضر كسر سن الربيع مع سماعه من النبي ﷺ الأمر بالقصاص. وأجيب بأنه أشار بذلك إلى التأكيد على النبي ﷺ في طلب الشفاعة إليهم أن يعفوا عنها، وقيل: كان حلفه قبل أن يعلم أنّ القصاص حتم، فظنّ أنه على التخيير بينه وبين الدية أو العفو، وقيل لم يرد الإنكار المحض والرد بل قاله توقّعاً ورجاء من فضل الله أن يلهم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب السن بالسن، رقم: (٦٨٩٤).

(٢) انظر الفتح جـ١٢/٢٢٤.

(٣) الأرش: قال في المصباح جـ١/١٢: أرش الجراحة ديتها والجمع أروش، مثل فلس وفلوس، وأصله الفساد ثم استعمل في نقصان الأعيان.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق، ص: ٢٢٥.

الخصوم الرضا حتى يعفوا أو يقبلوا الأرش وبهذا جزم الطيبي فقال: لم يقله ردّاً للحكم بل نفى وقوعه لما كان له عند الله من اللطف به في أموره والثقة بفضله أن لا يخيبه فيما حلف به ولا يخيب ظنه فيما أراده بأن يلهمهم العفو وقد وقع الأمر على ما أراد.

٢١. أسيد بن حضير الذي تغشّته السحابة عند قراءته لسورة الكهف ﷺ

عن البراء بن عازب ﷺ قال: كان رجل يقرأ سورة الكفه وعنده فرس مربوط بشطنين[١] فتغشته سحابة[٢] فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك، فقال: **"تلك السكينة تنزّلت للقرآن"**.[٣]

٢٢. النعمان بن خلف بن نوفل ﷺ

قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: وعن ابن أبي الدنيا بإسناد له أن النعمان بن نوفل قال يوم أُحُد: اللهم إني أقسم عليك أن أُقتَل فأُدخَل الجنة، فقتل فقال النبي ﷺ: **"إن النعمان أقسم على الله فأَبَرَّه"**.

٢٣. حنظلة غسيل الملائكة ﷺ

قال ابن كثير[٤] قال ابن إسحاق: والتقى حنظلة بن أبي عامر واسمه عمرو، ويقال عبد عمرو صبغى، وكان يقال لأبي عامر في الجاهلية الراهب، لعبادته

---

(١) الشَطَن: بفتح الشين والطاء الحبل، صحيح مسلم جـ١/٥٣٧.

(٢) تغشته سحابة: يعني عليه. رياض الصالحين، ص: ٤١٦.

(٣) متفق عليه، البخاري، جـ٩/٥٢، ومسلم رقم: ٧٩٥، كتاب صلاة المسافرين.

(٤) انظر السيرة النبوية لابن كثير، جـ٣/٤٠-٤١.

فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، لما خالف الحقّ وأهله وهرب من المدينة هرباً من الإسلام ومخالفة للرسول عليه السلام. وحنظلة الذي يعرف بحنظلة الغسيل لأنه غسلته الملائكة. فقد على حنظلة أبا سفيان فرآه شداد بن الأوس، فضربه شداد فقتله فقال رسول الله ﷺ: **"إن صاحبَكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه؟"** فسئلت صاحبته ـأي زوجتهـ وهي جميلة بنت أبيّ ابن سلول وكان عروساً عليه تلك الليلة، فقالت: خرج وهو جُنُب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله: **"لذلك غسلته الملائكة"**.

٢٤. عبد الله بن جحش رضي الله عنه

قال الحافظ بن رجب في جامع العلوم والحكم[١]: روى أبو نُعيم بإسناده عن سعيد أن عبد الله بن جحش[٢] قال: يا رب إذا لقيتُ العدو غداً فلقِّني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حَرْدُه[٣] أقاتله فيك، ويقتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتُك غداً قلتَ: يا عبد الله من جدع أنفَك وأذنَك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت. قال سعيد: لقد لقيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط.

٢٥. العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه

كان العلاء بن الحضرمي عاملاً لرسول الله ﷺ على البحرين فخرج في سرية فعطشوا فصلّى، ثم قال: اللهم يا عليم يا حكيم، يا عليُّ يا عظيم، إنّا

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص: ٣٤٦، وزاد المعاد، جـ٢/٢٤٢.

(٢) وهو أخ زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٣) حرده: غضبه، قال في المصباح، جـ١/١٢٨، حرد مثل غضب وزنا ومعناه وقد يسكن المصدر والسكون أكثر.

عبيدُك، وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضّأ، ولا تجعل لأحد[1]فيه نصيباً غيرنا، فساروا فرجع بعضُ أصحابه إلى موضع النهر فلم ير شيئاً وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط".[2]

ودعا الله لّما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمرّوا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يَرَوا جَسَدَه إذا مات، فلم يجدوه في اللحد[3] قال ابن كثير[4]: جهّز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي، قال أنس: وكنت في غزاته فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بدرونا فعفوا آثار الماء والحر شديد فجهدنا العطش ودوابنا وذلك يوم جمعة لما مالت الشمس لغروبها صلّى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء، وما ترى في السماء شيئاً، قال فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً وأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا. ثم رأينا عدوّنا وقد جاوزوا خليجاً في البحر إلى جزيرة فوقف على الخليج وقال: يا عليّ، يا عظيم، يا حليم، يا كريم، ثم قال: أجيزوا بسم الله. قال: أجزنا ما يبلّ الماء حوافر دوابنا فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدوَّ عليه فقتلنا وأسرنا وسبينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته فأجزنا ما يبلّ الماء حوافر دوابنا.

---

(١) يعني من الأعداء.

(٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ص: ٣٤٦.

(٣) مجموع الفتاوى، جـ١١/٢٧٨-٢٧٩، وشمائل الرسول لابن كثير، ص: ٢٩٦-٢٩٧، وقال ابن كثير: وذكر البخاري في التاريخ لهذه القصة إسناداً آخر.

(٤) المصدر السابق.

٢٦. سلام الملائكة وعيادتهم لعمران بن حصين ﷺ في مرضه

وكانت الملائكة تسلم على الصحابي الجليل عمران بن حصين ﷺ في مرضه[١]. وقد استمر مرضه ثلاثين سنة.

٢٧. شرب خالد بن الوليد السم ﷺ

روى ابن أبي شيبة بسنده قال: لما قدم خالد بن الوليد الحِيرة نزل على بني المرازية قثال: فأتى بالسم فأخذه فجعله في راحته وقال: بسم الله، فاقتحمه فلم يضره بإذن الله شيئاً".[٢]

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح[٣]: "وقد أخرج ابن أبي شيبة وغيره أن خالد بن الوليد لما نزل الحيرة وقيل له: احذَر السم لا تسقيكه الأعاجم، قال: ائتوني به، فأتوه به، فأخذ بيده ثم قال: بسم الله واقتحمه فلم يضره".

وقال ابن كثير في البداية والنهاية وهو يتكلم عن بعث خالد بن الوليد ﷺ إلى العراق: "ثم سار خالد فنزل الخورنق والسدير والنجف وبث سراياه هاهنا وهاهنا، يحاصرون الحصون من الحيرة يستنزلون أهلها قسراً وقهراً، صلحاً ويسراً وكان في جملة ما نزل بالصلح قوم من نصارى العرب فيهم ابن بقيلة المتقدم ذكره، وكتب لأهل الحيرة كتاب الأمان، فكان الذي راوده عليه عمر ابن عبد المسيح بن بقيلة ووجد خالد معه كيساً، فقال: ما في هذا؟ وفتحه خالد فوجد فيه شيئاً فقال ابن بقيلة: هذا سم ساعة، فقال: ولم استصحبته

---

(١) صحيح مسلم، جـ٢/٩٨. وابن حجر في تهذيب التهذيب، جـ٣/١٢٥.

(٢) ابن أبي شيبة، جـ١٢/٥٥٤، رقم الأثر (١٥٥٧٧) قال محققه: أخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام، ٢/٤٢ من طريق يونس.

(٣) جـ١٠/٢٤٨.

معك؟ فقال: حتى إذا رأيتُ مكروهاً في قومي أكلته، فالموت أحبّ إليّ من ذلك، فأخذه خالد في يده وقال: إنه لن تموت نفسٌ حتى تأتيَ على أجلها، ثم قال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم، قال: وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه، فبادرهم فابتلعه، فلما رأى ذلك ابن بقيلة قال: والله يا معشر العرب، لتملكن ما أردتم ما دام بينكم أحدٌ مثل هذا ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال: لم أر كاليوم أوضح إقبالاً من هذا ثم دعاهم وسألوا خالداً الصلح فصالحهم وكتب لهم كتاباً بالصلح وأخذ منهم أربعمائة ألف درهم عاجلة".[1]

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح[2] معلقاً على ما رواه البخاري في كتاب الطب عن أبي هريرة: "... **من تحسّى**[3] **سماً فقتل نفسه فسمّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً** ..." الحديث رقم (٥٧٧٨): وأما مجرد شرب السم فليس بحرام على الإطلاق لأنه يجوز استعمال اليسير منه إذا ركب معه ما يدفع ضرره إذا كان فيه نفع، أشار إلى ذلك ابن بطال ...

ثم قال: فكأنّ المصنف ــيعني البخاريــ رمز إلى أن السلامة من ذلك وقعت كرامة لخالد بن الوليد فلا يتأسى به في ذلك لئلا يفضي إلى قتل المرء نفسه ويؤيد ذلك حديث أبي هريرة في الباب ولعله كان عند خالد في ذلك عهد عمل به، فشرب خالد للسم كان تحدياً لهم فلا ينبغي لأحد أن يحتسي سمّاً.

---

(١) البداية والنهاية، جـــ٦/٣٤٧.

(٢) جـــ١٠/٢٤٨.

(٣) تحسى: تجرّع، الفتح، جـــ١٠/٢٤٨.

٢٨. عامر بن فهيرة ﷺ

قال ابن تيمية[١] رحمه الله: قُتِل شهيداً فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه وكان لّما قُتِل رفع فرآه عامر بن الطفيل وقد رُفِع وقال عروة فيرون الملائكة رفعته.

٢٩. سلمان وأبو الدرداء ﷺ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكان سلمان وأبو درداء يأكلان في صحفة[٢] فسبحت الصفحة أو سبح ما فيها.[٣]

٣٠. أمّ أيمن رضي الله عنها

خرجت مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش، فلما كان الفطر وكانت صائمة سمعت حسّاً[٤] على رأسها فرفعته فإذا هو دلوٌ معلَّقٌ فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها[٥].[٦]

٣١. زنّيرة[٧] رضي الله عنها

قال ابن هشام[٨]: أعتقها أبو بكر الصديق ﷺ، وأصيب بصرها حين

---

(١) مجموع الفتاوى، جـ١١/٢٧٦-٢٧٧.

(٢) صحفة: قدح.

(٣) المصدر السابق.

(٤) حسّاً: السح الصوت الخفيف، انظر المصباح جـ١/١٣٥.

(٥) كانت تشرب الماء ولكنه ما كانت تشعر بالعطش.

(٦) المصدر السابق.

(٧) قال السهيلي في الروض الأنف، جـ٢/٧٨: زنيرة أعتقها أبو بكر وأول اسمها زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فعيلة ... والزنيرة واحدة الزنانير وهي الحصا الصغار.

(٨) السيرة النبوية جـ٢/٦٨.

أعتقها فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزّى، فقالت: كذبوا وبيت الله. ما تضرّ اللات والعزّى وما تنفع فردّ الله بصرها.[1]

٣٢. صاحب الخص

وقال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم[2]: واحترقت خصاص[3] بالبصرة في زمن أبي موسى الأشعري وبقي وسطها خُصٌّ لم يحترق، فقال أبو موسى لصاحب الخص: ما بال خصك لم يحترق؟ فقال: إني أقسمت على ربي ألا يحرقه. فقال أبو موسى: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"في أمتي رجال طُلس[4] رؤوسهم، دنسٌ ثيابهم، لو أقسموا على الله أبرّهم"**.

٣٣. الأحنف بن قيس رضي الله عنه

لما مات الأحنف بن قيس وقعت قلنسوة رجل في قبره، فأهوى ليأخذه فوجد القبر قد فسح فيه مدّ البصر.[5]

---

(١) السيرة النبوية، جـ٢/٦٨.

(٢) ص: ٣٤٦.

(٣) خصاص: خُصّ: قال في المصباح جـ١/١٧١، البيت من القصب والجمع أخصاص، مثل قفل وأقفال.

(٤) طلس: إذا تساقط شعره، انظر المعجم الوسيط، جـ٢/٥٦٧، مادة طلس.

(٥) مجموع الفتاوى، جـ١١/٢٨١-٢٨٢.

نماذج من كرامات التابعين ومن تبعهم بإحسان

١. أويس[١] القرني ﷺ

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إن خير التابعين رجُلٌ يقال له أويس وله والدة وكان به بياض[٢] فمروه فليستغفر لكم"**.[٣]

وعن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد[٤] أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس ابن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد ثم من قَرَن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"يأتي عليكم أُوَيس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قَرَن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة بها بَرّ لو أقسم على الله لأَبَرَّه فإن استطعتَ أن يستغفر لك فافعل"**. فاستغفر لي، فاستغفر له.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء[٥] الناس أحب إليّ. قال: فلما كان من العام المقبل حج

---

(١) هو أويس بن عامر القرني من بني قَرَن بطن من مراد باليمن، قُتِل بصفِّن. انظر صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٦/٩٤.

(٢) بياض: بَرَص.

(٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أُوَيس.

(٤) أي الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو واحدهم مدد، صحيح مسلم بشرح النووي، المصدر السابق.

(٥) غبراء: عامة الناس.

رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، قال: تركته رث[1] البيت قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قَرَن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرّ، لو أقسم على الله لأبرّه فإن استطعتَ أن يستغفر لك فافعل"**. فأتى أويساً ـأي الرجلـ فقال: استغفر لي، قال ـأي أويسـ: أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لي. قال ـأي أويسـ: لقيتَ عمر؟ قال: نعم، فاسغفر له ففطن له الناس، فانطلق على وجهه. قال أسير: وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة".[2]

قال الإمام النووي معلقاً على قوله ﷺ لعمر: **"فإن استطعتَ أن يستغفر لك فافعل..."**. قال: "هذه منقبة ظاهرة لأويس رضي الله عنه وفي استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم".

خير التابعين

قال النووي: وقوله ﷺ: **"إن خير التابعين رجلٌ يقال له أويس ..."** هذا صريح في أنه خير التابعين، وقد قال أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد ابن المسيب، والجواب أن مرادهم سعيداً أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها، لا في الخير عند الله تعالى، وفي هذه اللفظة معجزة ظاهرة أيضاً.

---

(١) رث: الرثاثة والبذاذة بمعنى واحد، وهو حقارة المتاع وضيق العيش، صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٦/٩٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أويس، جـ١٦/٩٥-٩٦.

٢. أبو مسلم الخولاني رحمه الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١] وهو يتكلم عن الخوارق.

وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخَولاني الذي ألقي في النار فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمى بالخشب من مدها ثم التفت إلى أصحابه فقال: تفقدون من متاعكم شيئا حتى أدعو الله عز وجل فيه فقال بعضهم: فقدت مخلاة[٢]، فقال: اتبعني فتبعه فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها.

وطلبه الأسودُ العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله. قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائماً يصلّي فيها وقد صارت عليه برداً وسلاماً؛ وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله.

ووضعت له جارية السم في طعامه فلم يضره. وخببت امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت فدعا لها فرد الله عليها بصرها.

وقال الحافظ ابن كثير في شمائل الرسول[٣] بعد أن ذكر سياق القصة السابق عن شيخه ابن تميمية رحمه الله قال: وهذا الذي أورده شيخنا، بهذه الصفة، قد أورده الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر رحمه الله في ترجمة أبي مسلم عبد الله بن أيوب في تاريخه من غير وجه عن عبد الوهاب بن إسماعيل بن

---

(١) مجموع الفتاوى جـ١١/٢٧٩.

(٢) مخلاة: زنبيل.

(٣) ص: ٥١٦.

عياشي الحطيمي، حدثني شراحبيل بن مسلم الخولاني أن الأسود بن قيس ذي الخمار العنسي باليمن تنبأ، فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني، فأتي به، فلما جاء به قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا أسمع، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا أسمع، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم.

قال: فردد عليه ذلك مراراً، ثم أمر بنار عظيمة فأجّجت فألقي فيها فلم تضره. فقيل للأسود أنفِه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك فأمره فارتحل.

فأتى المدينة وقد قُبِض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد، ثم دخل المسجد وقام يصلّي إلى سارية، فبصر به عمر بن الخطاب، فأتاه فقال: فمن الرجل؟ فقال: من أهل اليمن، قال: ما فعل الرجل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذلك عبد الله بن أيوب. قال: فأنشدك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم. قال: فاعتنقه ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد ﷺ من فُعِل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن.

قال إسماعيل بن عياش: فأنا أدركتُ رجالاً من الأمداد الذي يمدون إلينا من اليمن، من خولان، ربما تمازحوا فيقول الخولانيون للعنسيين: صاحبُكم الكذاب حرق صاحبنا بالنار و لم تضرّه.

٣. عامر بن عبد قيس رحمه الله

وقال شيخ الإسلام[1]: وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم

(١) مجموع الفتاوى، جـ١١/٢٧٩-٢٨٠.

في كمّه، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها.

ومر بقافلة قد حبسها الأسد فجاء حتى مس بثيابه الأسد ثم وضع رجله على عُنُقه وقال: إنما أنت كلبٌ من كلاب الرحمن، وإني أستحي أن أخاف شيئاً غيره. ومرت القافلة.

ودعا الله أن يهوِّن عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار.

ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه.

٤. الحسن البصري رحمه الله

وقال شيخ الإسلام[١]: "وتغيب الحسن البصري عن الحجاج فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله ﷻ فلم يروه".

ودعا على بعض الخوارج وكان يؤذيه فخرّ ميتاً.[٢]

٥. صلة بن أشيم رحمه الله

وقال شيخ الإسلام[٣]: مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق عليّ منّة، ودعا الله ﷻ فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته، قال: يا بنيّ خذ سرج الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات الفرس. وجاع مرة بالأهواز فدعا الله ﷻ واستطعمه، فوقعت خلفه دوخلة[٤] رطب في ثوب حرير فأكل التمر وبقي الثوب عند زوجته زماناً.

---

(١) مجموع الفتاوى، جـ١١/٢٨٠.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص: ٣٤٦.

(٣) مجموع الفتاوى، جـ١١/٢٨٠.

(٤) دوخلة: قال في المعجم الوسيط جـ١/٢٧٥: الدوخلة زنبيل من خوص يجعل فيه التمر والجمع دواخل.

وجاء الأسد وهو يصلي في غيفة[1] بالليل فلما سلّم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولّى الأسدُ وله زئير.

٦. مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه

كان إذا دخل بيته سبحت معه آنيته وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة فأضاء لهما طرف السوط.[2]

نماذج من كرامات هذا العصر

من كرامات المجاهدين الأفغان

يقول الدكتور عبد الله عزام[3] في كتابه "آيات الرحمن في جهاد الأفغان" حاكياً لبعض كرامات المجاهدين الأفغان في جهادهم ضد الشيوعيين.

- حدثني فتح الله أن طائرة ألقت قذيفة فاحترقت الخيمة ولم يصب أحد من المجاهدين بداخلها.
- نصر الله تصيبه رصاصتان وتسقطان في جيبه، حدثني محمد منجل حدثني نصر الله وكان مجاهداً في غزني فأصابته رصاصتان ولم تجرحاه وسقطتا في جيبه فأراهما للمجاهدين معه شهد له المجاهدون.
- وحدثني عبد الرشيد عبد القادر بغمان: شاهدتُ ثلاثة مرات النعاس يصيب (يغشى) المجاهدين عند هجوم الروس فينام المجاهدون ٢-٣ دقائق فيقومون بعزم جديد وينتصرون على الروس.

---

(١) غيفة: شجرة انظر لسان العرب مادة غيف.

(٢) مجموع الفتاوى، جـ١١/٢٨.

(٣) انظر ص: ١٠١-١٣٩.

• حدثني محمد منجل، غزني، شلجر قال: رأيت بعيني الدبابة مرت على أختر محمد فلم يمت وعندما رأوه حياً عادت ومرّت عليه فلم يمت.

ثم أخذوه مع اثنين من المجاهدين وأطلقوا على الثلاثة النار من الرشاش فلم يمت واستشهد اثنان وسقط الثالث على الأرض وجاءوا وواروه بالتراب وبعد أن ذهب الشيوعيون قام وعاد إلى المجاهدين ولا زال حيّاً يجاهد.

• حدثني أرسلان قال: عرفت مكان الشهيد (عبد البصير) في الليل المظلم من رائحته العطرة.

• رائحة الشهيد ولي جان على بعد ٢،٥ كلم.

• وحدثني زبير مير عالم في شهر شباط ١٩٨٣م استشهد معهم سلطان محمد فاحتضن (الكلاشن) وجاء الروس وحاولوا كثيراً فرفض أن يسلمهم إياه حتى قطعوا يده.

• حدثني مولوي عبد الكريم: رأيت ١٢٠٠ (ألف ومائتي) شهيداً ما رأيتُ شهيداً واحداً أكلته الكلاب بينما تأكل الشيوعيين.

خاتمة

لقد تم البحث بحمد الله وتوفيقه وإعانته وتوجيهه والذي قصدت من ورائه الخلوص إلى ما يأتي:

أولاً: إن ولاية الله ليست قاصرة على أناس معينين، ولا على بيوتات مخمصوصة وليست هي بالنسب والوراثة وإنما هي ثمرة الإيمان والتقوى. فكل مؤمن تقي فهو ولي الله تعالى. ولكن الناس يتفاوتون في ولايتهم لتفاوتهم في الإيمان والتقوى.

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [1]

وقال ﷺ: "**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**".[2]

وقال ﷺ: "**إن آل بني (فلان) ليسوا لي بأولياء**".[3]

ثانياً: إن ولاية الله هي ثمرة لأتباع الرسول ﷺ، وموافقة سنته في كل الأمور ولذلك فإن أفضل أولياء هذه الأمة هم أصحابه البررة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون وعلماء وفقهاء الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) هود: ٤٥ - ٤٧

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

ثالثاً: إن أفضل الأولياء هم العلماء العاملون بعلمهم وإن لم يكن العلماء التقّاة هم الأولياء فليس لله ولي كما قال الإمامان أبو حنيفة والشافعي.

رابعاً: إن أهم ما يميز عباد الله الصالحين أداء وإتقان ما فرضه الله على عباده والتي أهمها الصلوات المكتوبات، وصيام رمضان، وأداء الزكاة المفروضة، والإكثار من النوافل والتطوع لجبر ما نقص من الفرائض.

خامساً: إن أهم ما ينبغي أن يتصف به أولياء الله المتقون محبة الله ورسوله، والحب في الله والبغض في الله، والدعوة إلى الله بالحسنى، والتوكل والإنابة إليه في كل وقت وحين، وأن يتميزوا على من سواهم بمكارم الأخلاق.

سادساً: إن كرامات أولياء هذه الأمة هي في الحقيقة امتداد لمعجزات رسولنا وقائدنا وحبيبنا محمد ﷺ. لهذا فإن الشرط الأساس والضابط الأول للتمييز بين الكرامة وغيرها من الأحوال الشيطانية والسحر والاستدراج، هو متابعة الرسول ﷺ وعدم مخالفته.

كما قال الإمام المطلبي الشافعي رحمه الله: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تقبلوه ولا تغتروا به حتى تعرضوه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب.

سابعاً: إن حدوث الخارقة وحدها ليس علامة من علامات الصلاح إذ إنّ هناك خوارق جسام يجريها الله ﷻ _لحكمة يعلمها هو_ على يد ألد أعداء الله وأكبر دجاجلة الدنيا بأسرها _المسيح الدجال، عندما ينـــزل في آخر الزمان. فقد روي أنه يأمر السماء أن تمطر على من اتبعه، ويأمر الأرض أن تنبت وتخرج كنوزها وهو مدعي الألوهية!!!

ثامناً: إن أكبر كرامة للعبد الصالح في هذه الحياة الدنيا هي الاستقامة على

أمر الدين والتوفيق لمتابعة سنة سيد المرسلين.

وأخيراً أقول إن الكمال لله وحده وما من عمل بشري إلا وهو عرضة للخطأ والنقصان وقد أبى الله أن يكتب الكمال لكتاب سوى كتابه الكريم.

قال الإمام المزني ــصاحب الشافعيــ قرأت الرسالة[1] على الشافعي ثمانين مرة[2] فكان في كل مرة يقف على خطأ. فقال لي هيه يا مزني أبى الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه.

أما والأمر كما قال الإمام الورع الشافعي رحمه الله فعليك يا أخي القارئ إن جدت في هذا الكتاب خيراً أن تحمد الله على ذلك، وإن وجدت خطأً فاستغفر لي فما أردتُ إلى الإصلاح ما استطعتُ وأقول كما قال العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[3]

وصلى الله وسلم وبارك على من ختم الله به الرسالة والنبوة والولاية وأكمل به الدين وشرفنا وأسعدنا بالانتساب إلى ملته ودينه وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) الرسالة في أصول الفقه للإمام الشافعي، فهو أول من ألف في هذا الفن وأجاد والخلق كلهم عيال عليه في هذا المجال.

(٢) وقيل خمسمائة مرة.

(٣) هود: ٨٨

المراجع

۞ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة الحافظ ابن دقيق العيد المتوفَّى سنة ٧٠٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

۞ الأذكار المنتخة من كلام سيد الأبرار، لمحي الدين بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ) وعليه شرح لابن علان طبع سنة ١٩٧٣م المكتبة الثقافية، ببيروت.

۞ الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

۞ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي المتوفى في ١٣٩٣/١٢/١٧هـ، المطابع الأهلية، الرياض.

۞ الاعتصام للإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

۞ الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، طبع في المطبعة العربية باكستان حديث أكاديمي.

۞ إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، راجعه طه عبد الرؤوف سعيد، دار الجيل، بيروت.

۞ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) دار المعرفة، بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي.

۞ آيات الرحمن في جهاد الأفغان، للدكتور عبد الله عزام الطبعة الثانية، ١٩٨٤م-١٤٠٤هـ، مطبعة كاظم دبي، الإمارات العربية المتحدة.

۞ البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير المتوفى ينة ٧٧٤هـ، طبعة جديدة

منقحة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
۞ تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى سنة ٩٥١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
۞ تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق عبد الله هاشم اليماني طبع ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
۞ تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، (١٣٩٣هـ) مطبعة المنار، مصر.
۞ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
۞ تلبيس إبليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج أبن الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، الطبعة الثانية، سنة ١٣٦٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
۞ تنـــزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي ابن محمد بن عراق الكناني (٩٠٧-٩٦٣هـ) الطبعة الثانية ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
۞ تهذيب مدارج السالكين لابن القيم الجوزية، تهذيب عبد المنعم صالح العلي، مطبعة كاظم دبي، الإمارات العربية المتحدة.
۞ تهذيب الأسماء واللغات للنووي دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
۞ الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر بيروت، لبنان.

۞ جامع الأصول في أحاديث الرسول لأبي السعادات المبارك ابن الأثير الجزري (٥٤٤-٦٠٦هـ) تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح ومكتبة دار البيان طبع ١٩٣٢هـ-١٩٧٢م.
۞ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه أحمد ومحمود شاكر دار المعارف، بمصر، طبع سنة ١٩٦٠م.
۞ الجامع الصحيح سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩-٢٩٧هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي.
۞ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي من علماء القرن الثامن الهجري، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
۞ حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة لموسى محمد علي، دار التراث العربي الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
۞ الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، دار الفكر، بيروت.
۞ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
۞ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي (٥٠٨-٥٨١هـ)، ومعه السيرة النبوية لابن هشام المتوفى سنة ٢١٣هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
۞ رياض الصالحين تأليف الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ) حققه وخرّج أحاديثه عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق راجعه

الشيخ شعيب الأرناؤوط الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ-١٩٨١م. دار المأثور دمشق توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض.

۞ زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام الجليل الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥٢هـ) تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية القاهرة طبع ١٣٧٣هـ-١٩٥٢م.

۞ سبل السلام تأليف الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٠٥٩-١١٨٢هـ).

۞ سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة العلمية، ببيوت.

۞ سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) مراجعة وضبط محمد محي الدين عبد الحميد، دار الباز، مكة المكرمة.

۞ سنن الدارقطني للإمام علي بن عمر الدارقطني (٣٠٦-٣٨٥هـ) تحقيق عبد الله هاشم يماني (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) دار المحاسن للطباعة، القاهرة، ودار المعارف، ببيروت.

۞ سنن الدارمي، للحافظ الحجة أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (١٨١-٢٥٥هـ) نشر حديث أكاديمي فيصل آباد، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

۞ سنن سعيد بن منصور للحافظ سعيد بن منصور المتوفى سنة ٢٢٧هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.

۞ السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، دار المعرفة، بيروت.

۞ سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية السندي اعتنى بها وضبطها عبد الفتاح أبو غدة الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، دار البشائر الإسلامية.

۞ السيرة النبوية لابن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد دار المعرفة بيروت طبع ١٣٩٥-١٩٧٥م.
۞ شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد، مطابع الصفا، مكة المكرمة.
۞ شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ٤٣٦-٥١٦هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاوش الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، المكتب الإسلامي بيروت.
۞ شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني والتوضيح بقلم زهير الشاوش، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
۞ شرح معاني الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي الحنفي (٢٢٩-٣٢١هـ) الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) دار الكتب العلمية، بيروت.
۞ الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجرّي المتوفى سنة ٣٦٠هـ تحقيق محمد حامد الفقي الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
۞ شمائل الرسول للحافظ ابن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت.
۞ صحيح البخاري بحاشية السندي لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
۞ صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦٢هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث، بيروت.
۞ صحيح مسلم بشرح النووي نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

۞ صفة الصفوة للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ٥١٠-٥٩٧هـ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت.
۞ ضعيف الجامع الصغير وزيادة الفتح الكبير تأليف محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، بيروت، المكتب الإسلامي.
۞ طرح التثريب في شرح التقريب لزين الدين أبي الفضل، الحافظ العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ، وابنه أبي زرعة العراقي المتوفى سنة ٨٢٦هـ، دار التراث العربي، بيروت.
۞ طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم الجوزية، حققه عبد الله الأنصاري، مطابع الدوحة، قطر.
۞ غاية المعاني في الرد على النبهاني لمحمود شكري الآلوسي، طبع جامعة العلوم الأثرية، جلم، باكستان.
۞ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
۞ فتح القدير لمحمد علي الشوكاني، دار المعارف، بيروت.
۞ الفوائد للعلامة ابن القيّم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، مكتبة الرياض.
۞ كتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
۞ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
۞ كتاب الفتن والملاحم، وهو النهاية من تاريخ الحافظ ابن كثير (٧٠٠-٧٧٤هـ)، تصحيح وتعليق الشيخ عبد الله الأنصاري، نشر مؤسسة النور

ومكتبة الحرمين، الرياض الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
۞ كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسّر المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني المتوفى سنة ١١٦٢هـ، إشراف وتعليق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
۞ لسان العرب لابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت.
۞ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
۞ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر مؤسسة المعارف بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
۞ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن القاسم مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.
۞ المختار من كنوز السنة النبوية، للدكتور محمد عبد الله دراز عني بنشره عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، مطابع قطر الوطنية، الدوحة الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
۞ مختصر منهاج القاصدين، تأليف الإمام أحمد بن محمد المقدسي، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق.
۞ المدخل لابن الحاج، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
۞ مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، المكتب الإسلامي، بيروت.

۞ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف العلامة أحمد بن محمد ابن علي الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية، بيروت.
۞ معالم السنن لأبي سليمان الخطابي وبهامشه تهذيب ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.
۞ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي على الكتب الستة ومسند الدارمي، وموطأ مالك ومسند أحمد رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين مكتبة بريل في مدينة لندن سنة ١٩٢٦م.
۞ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طبع ١٩٤٥م.
۞ المعجم الوسيط قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر ومحمد النجار وأشرف على طبعه عبد السلام هارون، المكتبة العلمية طهران.
۞ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
۞ الوابل الصيب من الكلم الطيب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) حققه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دمشق.

الفهرس

مقدمة الطبعة الثانية ٢

مقدمة الطبعة الأولى..... ٣

الفصل الأول: تعريف الولاية..... ٦

تعريف الولاية لغة واصطلاحاً..... ٧

تعريف الولاية لغة ٧

تعريف الولاية شرعاً..... ٨

الأدلة على أن كل المؤمنين أولياء الله ١٠

الولاية ليست بالوراثة ١٢

طبقات الأولياء..... ١٥

المراد بالإيمان والتقوى..... ١٦

الإيمان..... ١٦

التقوى ١٨

التقوى لغة..... ١٨

التقوى شرعاً ١٩

الفصل الثاني: أهم صفات أولياء الله..... **٢١**

أ. الاشتغال بالعلم الشرعي ٢٢

العلم بالتعلم ٢٤

ب. محبة الله ورسوله ﷺ..... ٢٧

ج . إتقان الفرائض ٣٣

الفرض والواجب ٣٥
أداء الواجبات وترك المحرمات سبب في دخول الجنة ٣٧
آراء أهل العلم في المراد بمن قال: (لا إله إلا الله)..... ٣٩
أقسام الفرائض ٤٢
الصلاة المكتوبة..... ٤٢
المحافظة على إقامة الصلاة ٤٥
حكم صلاة الجماعة..... ٤٧
أمر الأهل ومن يعول بالصلاة ٤٨
صيام شهر رمضان ٤٩
عدل الراعي في رعيته الخاصة والعامة..... ٥١
الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ٥٣
مراتب الجهاد ٥٥
مراتب جهاد النفس ٥٦
مراتب جهاد الشَّيْطان ٥٨
أفضل الجهاد..... ٥٨
الجهاد الأكبر ٥٩
الجهاد بالنفس، والمال، والكلمة ٦٠
د. الإكثار من النوافل ٦٤
تلاوة القرآن وتدبّره ٦٥
فضل تلاوة القرآن..... ٦٥
الصلاة ٦٧
الأفضل أداء النوافل في البيت ٦٩

قيام الليل ٦٩
أفضل صلاة الليل ٧١
صفة صلاة الليل ٧٢
الصيام..... ٧٣
أفضل الشهور والأيام صياماً سوى رمضان ٧٥
صوم الدَّهر ٧٨
أفضل الصيام صيام داود ٨١
الأيام المحرَّم صومها ٨٣
الإنفاق ٨٥
فضل الإنفاق ٨٥
الإنفاق من الطيب ٨٧
الإمساك عن الإنفاق من المهلكات..... ٩٠
أفضل الصدقة جهد المُقِلّ..... ٩٢
أمثلة من إيثار الصحابة والتابعين..... ٩٣
المنّ والأذى مبطلان للصدقة..... ٩٦
المنّ من الكبائر..... ٩٨
الأقارب أولى بالإنفاق من غيرهم..... ٩٩
الذكر باللسان ٩٩
المراد بالذكر ٩٩
أفضل الذكر ١٠٠
ما ورد في فضل الذكر والترغيب فيه..... ١٠٢
موافقة السنّة في الذكر وغيره..... ١٠٥

الاجتماع على قراءة القرآن في المساجد وغيرها ١٠٦
المراد بحلق الذكر ١٠٩
السماع ليس بذكر ١١١
لنهي عن الزيادة في العبادة والذكر ولو في الصورة والكيفية ١٢١
الذكر بالاسم المفرد والمُضمَر ١٢٣
هـ. الدعوة إلى الله ١٢٥
حكم الدعوة إلى الله ١٢٦
فضل الدعوة إلى الله ١٢٧
كيفية الدعوة إلى الله ١٢٩
المراد بالحكمة ١٢٩
المراد بالدعوة ١٣١
غاية الدعوة إلى الله ١٣١
أخلاق الداعية ١٣١
الإخلاص وصدق النية ١٣٢
العلم ١٣٢
القدوة الحسنة ١٣٢
الحلم والرفق ١٣٣
الصبر والأناة ١٣٤
الجُرأة والشجاعة والصدع بأمر الله ١٣٤
و. الزهد والتقلل من الدنيا ١٣٥
فضل الزهد في الدنيا والتقلل منها ١٣٥
أيهما أفضل للعبد الفقر، أم الكفاف، أم الغنى؟ ١٤٠

أ. الفقر أفضل من الغنى ١٤٠
ب. الغنى أفضل ١٤٠
ج. الكفاف أفضل ١٤٦
المراد بالزهد ١٥٤
ز. الحب في الله والبغض في الله ١٥٦
فضل الحب في الله ١٥٦
تحريم الهجران والتخاصم ١٥٨
جواز الهجران إن كان لله ١٥٩
الاقتصاد في الحب والبغض ١٦١
الفجور في الخصومة ١٦٢
المناصحة هي قوام الحبّ في الله ١٦٢
ح. حب السلف الصالح والاقتداء بهم والسير على طريقهم ١٦٣
الآيات والأحاديث التي وردت في فضل الصحابة..... ١٦٤
حكم من أبغض الصحابة ١٧٢
الصحابة كلهم عدول ١٧٢
أفضل الصحابة..... ١٧٥
الإمساك عما شجر بين الصحابة..... ١٧٩
ط. عدم الغلو في الصالحين..... ١٨١
صور الغلو في الأنبياء والصالحين ١٨٢
١. المبالغة في المدح والثناء والكذب فيه ١٨٢
٢. التصوير وعمل الأنصاب وبناء القباب على القبور ١٨٤
٣. بناء القباب واتخاذ القبور مساجد..... ١٨٨

٤. دعوى أن الرجل الصالح يعلم الغيب وينفع ويضر..... ١٩٠
٥. اعتقاد أن بعض المشايخ يمكنهم الاستغناء عن شرع محمد ﷺ ١٩١
ي. الاعتصام بالكتاب والسنة ومجانبة البدعة..... ١٩٥
الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة..... ١٩٥
النهي عن البدع..... ١٩٧
ليست هناك بدعة حسنة قط ١٩٨
ك. مجانبة أهل البدع والأهواء..... ٢٠٢
ل. الورع وترك الشُّبَه..... ٢٠٣
م. الاشتغال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٠٤
فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ٢٠٤
حكم الاشتغال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ٢٠٦
الاستطاعة شرط في الأمر بالمعروف ٢٠٧
العدالة ليست شرطاً في الأمر والنهي ٢٠٩
التحذير وعقاب ترك الأمر والنهي ٢١٢
ن. الاهتمام بأمر المسلمين ٢١٣
ت. التَّوَكّل على الله ٢١٥
تعريف التوكل..... ٢١٥
فضل التوكل على الله..... ٢١٨
السعي والكسب لا ينافي التوكّل..... ٢٢٠
الرقية لا تنافي التوكل على الله ٢٢٤
ث. حسن الخُلُق..... ٢٢٧
كان خلقه القرآن ٢٢٧

فضل حسن الخلق ٢٢٨
طيب الكلام وطلاقة الوجه..... ٢٢٩
حسن المعاملة ٢٣٠
الحلم وكظم الغيظ والعفو عن الجاهلية ٢٣٢
نماذج من حلمه وكظم غيظه ﷺ ٢٣٣
عدم الغضب إلا إن انتُهِكَت حرمات الله ٢٣٥
الحياء..... ٢٣٦
الحياء قسمان ٢٣٧
حياء شرعي وحياء غير شرعي ٢٣٨
لا يعيب طعاماً قدم له ٢٣٩
السخاء والكرم..... ٢٣٩
ذمّ الشحّ والبخل ٢٤١
حكم الضيافة ٢٤٨
النهي عن التكلف للضيف ٢٥١
الإكثار من زيارة أهل التقوى والصلاح من الإخوان ٢٥٢
عدم الحسد والبغضاء ٢٥٣
تعريف الحسد..... ٢٥٤
مراتب الحسد..... ٢٥٥
خ. التوبة والإنابة إلى الله ٢٥٦
الأمر بالتوبة والاستغفار..... ٢٥٧
فرح الله بتوبة عبده..... ٢٥٧
الذنوب التي يتاب منها..... ٢٥٨

أ. حقوق الله ﷻ ٢٥٩
ب. حقوق الآدميين ٢٥٩
مَن همّ بحسنة أو سيئة و لم يعملها ٢٥٩
تضعيف الحسنات ٢٦٢
السيئات لا تضاعف ٢٦٣
ذ. حفظ اللسان ٢٦٤
الإكثار من الكلام واللغو فيه ٢٦٤
التحدث بكل ما سمع ٢٦٧
الكذب ٢٦٧
الأدلة على تحريم الكذب وذمه ٢٦٨
ما يجوز من الكذب ٢٦٩
قول الزور أو شهادة الزور ٢٧٠
السب واللعن ٢٧٠
النهي عن لعن المسلم ٢٧١
من لَعَنَ أو فَسَّقَ من لا يستحق ارتدّ عليه قوله ٢٧٢
المراد برجوع الكفر والفسق لقائله ٢٧٣
جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين. ٢٧٤
لعن العصاة المعينين ٢٧٥
سب الوالدين من الكبائر ٢٧٦
النهي عن الدعاء على النفس والولد ٢٧٧
الغيبة ٢٧٨
تعريف الغيبة ٢٧٨

التعريض بالغيبة ٢٧٩
حكم الغيبة ٢٨٠
الأدلة على تحريم الغيبة ٢٨١
تحريم سماع الغيبة ٢٨١
ما يباح من الغيبة..... ٢٨٣
النميمة ٢٨٥
تعريف النميمة ٢٨٥
حكمها ٢٨٥
أدلة تحريمها ٢٨٥
الفصل الثالث: الخوارق والكرامات ٢٨٧
تعريف الكرامة ٢٨٨
دليل الكرامة من الكتاب والسنة..... ٢٨٨
دليل الكرامة من القرآن ٢٨٩
دليل الكرامة من السنة ٢٩٠
ضابط الكرامة الأساس هو الاستقامة على أمر الدين..... ٢٩٠
أنواع الفِرَاسة والإلهام ٢٩٤
١. فراسة إيمانية ٢٩٥
٢. وفراسة رياضية ٢٩٥
٣. وفراسة خَلْقية ٢٩٦
مذاهب الناس في إثبات الكرامة ٢٩٦
الفرق بين الكرامة، والأحوال الشيطانية، والسحر، والاستدراج ٢٩٨
فتنة المسيح الدجّال ٣٠١

ألقاب باطلة: مثل الأوتاد، والأقطاب، وخاتم الأولياء، والغوث ٣٠٤
الغوث ٣٠٥
الأوتاد ٣٠٦
خاتم الأولياء ٣٠٦
كرامات أولياء هذه الأمة هي امتداد لمعجزاته ﷺ ٣٠٧
ما أكرم الله به أولياءه ٣٠٧
١. "لهم البشرى في الحياة الدنيا" ٣٠٧
رؤيا النبي ﷺ ٣١٠
ما المراد بـــ "فكأنما رآني في اليقظة"؟ ٣١٣
٢. "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ٣١٣
٣. تولي الله لمحاربة أعداء أوليائه ٣١٤
المراد بمحاربة الله ٣١٥
المراد بقوله: "كنت سمعه الذي يسمع به ..." الحديث ٣١٧
أكبر كرامة للولي في الآخرة هي الفوز بأعلى الجنان ٣١٩
نماذج من الكرامات ٣٢٠
نماذج من كرامات صالحي الأمم السابقة ٣٢٠
١. قصة مريم ٣٢٠
٢. قصة أصحاب الكهف ٣٢٣
٣. قصة الغلام الذي كان يأتي الراهب والساحر ٣٢٤
٤. قصة جُرَيْج ٣٢٧
٥. قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار ٣٢٩
٦. قصة الرجل الذي سمع صوتاً في السحاب ٣٣٠

٧. مخاطبة البقرة لمن كان يركبها ٣٣١
٨. قصة الرجل والخشبة ٣٣١
نماذج من كرامات بعض الصحابة ﷺ..... ٣٣٢
١. أبو بكر الصديق ﷺ ٣٣٢
٢. عمر بن الخطاب ﷺ..... ٣٣٣
٣. عثمان بن عفان ﷺ ٣٣٧
٤. عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ٣٣٧
٥. أبو هريرة ﷺ ٣٣٧
٦. سعد بن أبي وقاص ﷺ ٣٣٨
٧. سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. ٣٤٠
٨. عبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله ﷺ. ٣٤١
٩. أُسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما..... ٣٤٢
١٠. خديجة بنت خويلد رضي الله عنها..... ٣٤٢
١١. جعفر بن أبي طالب ﷺ. ٣٤٤
١٢. العباس بن عبد المطلب ﷺ..... ٣٤٥
١٣. سفينة مولى رسول الله ﷺ. ٣٤٦
١٤. سعد بن معاذ ﷺ. ٣٤٦
١٥. عاصم بن ثابت وخُبيب بن عدي وزيد بن الدَّثنة ﷺ. ... ٣٤٨
١٦. أبو ذر الغفاري ﷺ. ٣٥٢
١٧. البراء بن مالك الأنصاري ﷺ. ٣٥٢
١٨. أبو طلحة وأم سُليم رضي الله عنهما..... ٣٥٣
١٩. أنس بن مالك ﷺ. ٣٥٥

٢٠. أنس بن النضر عم أنس بن مالك ﷺ. ٣٥٧
٢١. أسيد بن حضير ﷺ. ٣٥٨
٢٢. النعمان بن خلف بن نوفل ﷺ. ٣٥٨
٢٣. حنظلة غسيل الملائكة ﷺ. ٣٥٨
٢٤. عبد الله بن جحش ﷺ. ٣٥٩
٢٥. العلاء بن الحضرمي ﷺ..... ٣٥٩
٢٦. سلام الملائكة وعيادتهم لعمران بن حصين ﷺ ٣٦١
٢٧. شرب خالد بن الوليد ﷺ السم. ٣٦١
٢٨. عامر بن فهيرة ﷺ. ٣٦٣
٢٩. سلمان وأبو الدرداء ﷺ..... ٣٦٣
٣٠. أمّ أيمن رضي الله عنها. ٣٦٣
٣١. زنّيرة رضي الله عنها..... ٣٦٣
٣٢. صاحب الخص..... ٣٦٤
٣٣. الأحنف بن قيس ﷺ..... ٣٦٤
نماذج من كرامات التابعين ومن تبعهم بإحسان ٣٦٥
١. أويس القرني ﷺ ٣٦٥
٢. أبو مسلم الخولاني رحمه الله..... ٣٦٧
٣. عامر بن عبد قيس رحمه الله..... ٣٦٨
٤. الحسن البصري رحمه الله ٣٦٩
٥. صلة بن أشيم رحمه الله ٣٦٩
٦. مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه..... ٣٧٠
نماذج من كرامات هذا العصر ٣٧٠

من كرامات المجاهدين الأفغان ٣٧٠
خاتمة ٣٧٢
المراجع ٣٧٥
الفهرس..... ٣٨٣